الجمهورية اللبنانية

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

دار الكتب

خزائن الكتب العربية
في الخافقين

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية
والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

خزائن الكتب العربية في الخافقين

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي
مؤسس دار الكتب اللبنانية
والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

المجلد الرابع

طبعته لجنة تكريم المؤلف







رسمه المهدى من لجنة تكريمه الى دار الكتب في بيروت

أجلو عن الدنيا وتبقى صورتي ... ذخراً لأهلي والاحبّة في الورى
يتذكّرون بها الوداد مع الوفا ... يوماً يحجّبني الردى تحت الثرى

توطئة

دبجتها لجنة تكريم المؤلف

في هذه الآونة والبلاد سائرة سيرها مع الايام ظهر رجل أوتي كرَم القلب وكرَم اليد حاملاً اعباء دراسات عميقة طوال ستين حولا . وقدّم للامة اللبنانية خلاصة جهده وزبدة خبرته وعلمه . ففي هذه الصفحات المعدودات يمرّ القارىء ببحث طريف يمثّل جهاد هذا الرجل الفذّ رجل العلم الصحيح والاخلاق العالية .

ان حياة الفيكنت فيليب دي طرّازي اوسع من ان يعيها كتاب واحد . لان صلتها بالاوساط العلميـــة جعلتها في مركز جدير بالاعتبار . اما اليوم وقد اعتزل علّامتنا العمل في مكتبة غذّاها بماله وسقاها بعرق جبينه وصبغها بدم فؤاده فلا نرى الا ان نطرّز لصنعه هذا المجيد حلة نزيّنها بلآلىء الثناء ونلوّنها بضروب الامتنان . ونتطلع بعد هذا الى مواصلة جهاده في مضمار التأليف والتحبير .

فلجنتنا فخورة بعمل يسير تُسديه الى هـــذا العلّامة الجليل . وما الحفلة التكريمية التي اقامتها له سوى لسان ضعيف من ألسنة الامّة لا يتفوّه الا بالحق . والآن يطيب لها ان تتحف ابنـــاء الضاد بلمحة نمّقتها يراعة هذا الرجل الصادق الطويّة النبيل المزايا . وقد اودعها اخبار مكتبة وطنية انشأهـــا هو بجهوده وسخائه . ولولاه لم يكن لروّاد العلم في لبنـــان مرجع يعتمدونه في ابحاثهم ومطالعاتهم .

ان هذه اللمحة التاريخية التي نقدمها اليوم بسرور وافتخار، الى الادباء الكرام في الامصار العربية، وعلماء المستشرقين في الديار الغربية ، تنم عن عبقرية الفيكنت دي طرّازي وثقافته العالية . فهي طرفة نفيسة من طرفه يجدر بكل وطنيّ ان يتصفحها ويتمثل بادب منشئها ويزيّن بها خزانة كتبه . وسنردفها بجزء ثان تضمّن ترجمة حياته وخلاصة اعمال لجنتنا في مهرجان تكريمه .

هكذا يتيسر لنا ان نبدي عاطفة عرفان الجميل لمن نُجلّ علمه وفضله باسم الوطن والثقافة وباسم ابناء الجيل الجديد .

لجنة تكريم

مؤسس دار الكتب اللبنانية

مقدمة المؤلف

اقترح عليّ فريق من الادباء والاصدقاء ان اضع لمحة تاريخية عن دار الكتب التي أتيح لي انشاؤها في بيروت . فلم اتردد في تلبية الطلب لِما في ذلك من فوائد جلّى لخاصة القوم وعامتهم .

بادرت الى مراجعة ما لديّ من وثائق ورسائل ومفكرات ونظمتها في فصول متسلسلة طبقاً لمواضيعها وتواريخها . وادرجت في تلك الفصول اخبار هذا المعهد الكتابي منذ ابرزته الى الوجود حتى ساعة اعتزالي عن العمل فيه (١٩١٩ — ١٩٣٩) دون ان اتعرض لشيء من اخباره بعد التاريخ المذكور . وهي حقبة من حياتي انفقتها في خدمة العلم وآله وتعزيز الادب ورجاله . وما زلت في انتهاجي هذه الخطة الرشيدة اتابع العمل اعلاء لمنار المعارف وساتابعه باذن الله تعالى في ما تبقى من حياتي . اما اخبار دار الكتب بعد اعتزالي عنها فللتاريخ ان يقول كلمة الحق فيها .

لا بدّ لي في هذا المقام من المجاهرة بعواطف الشكر لكل من نشّطني الى وضع هذه اللمحة التاريخية . واخصص بالذكر اللجنة المحترمة التي اقامت حفلة لتكريمي في دار الكتب عينها باسم الوطن والثقافة . فانها علاوة على عاطفتها الشريفة انتقت من مؤلفاتي هذا الكتاب وحرضتني ان انشره بالطبع خدمة للتاريخ وتخليداً لذكرى حفلتها المشار اليها . فاقابل مَكرمتها بمعرفة الجميل والثناء الوافر .

فيليب دي طرازي

الباب الثامن عشر

دار الكتب اللبنانية

الفصل الاول

فكرة انشاء دار الكتب منذ اكثر من ستين سنة

فطرتُ منذ حداثتي على الولع بالكتب وجمعها وعلى العناية بها حتى اصبح هذا الكلَف ملازماً لي اينما ذهبت وحيثما حللت . وقد نشرت عام ١٨٨٥ وبعده مقالات شتى على صفحات الجرائد نوّهت فيها بوجوب تأسيس مكتبة عامة في مدينة زاهرة، كبيروت كانت وما برحت تعدّ عاصمة للثقافة في الشرق الادنى . وهذه الفكرة رسخت في ذهني رسوخاً متيناً حملني على التشبث بكل ذريعة لاخراجها الى حيّز العمل . فكنت لا اضن بالغالي والنفيس في مشترى ما اعثر عليه من الكتب معتزماً ان اجعل خزانة كتبي نواة لهذا المشروع الوطني .

عرضت فكرتي على ولاة بيروت العثمانيين ولاسيما على نصوحي بك ورشيد باشا وخليل باشا وعزمي بك وغيرهم ممن كانت لهم علاقات وثيقة بافراد اسرتي . وصرّحت لكل منهم في حينه بالفوائد الناجمة عن تأسيس مكتبة عامة يختلف اليها القراء والمتأدبون من جميع طبقات الامّة . فكانوا يرتاحون الى هذا الاقتراح ويحبّذونه واعدين بعرضه على الباب العالي ليكتسب صبغة رسمية . وقد تعاقب

الولاة والحكام تعاقب الايام والاعوام دون تحقيق الامنية وبلوغ المرام . ولعلّ السياسة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) قضت بطمس تلك الفكرة . لان السلطان المشار اليه كان يوجس خوفاً من كل مجتمع يضم بين زواياه ارباب القلم واصحاب النهضة الفكرية . ذلك ما حدا بالكثيرين منهم ان يهجروا وطنهم العثماني ويؤثروا العيش تحت سماء الحرية في بلاد الله الواسعة .

لبثتُ راسخاً في فكرتي لا احيد عنها قيد شعرة ولم ابالِ بالاتعاب والاسهار والاسفار وانفاق المال . لاني كنت مقتنعاً كل الاقتناع ان وطني لن يترقى في سلّم الحضارة الا بمدارسه ومكتباته . قالت مجلة المنارة (١) ما نصه : « رقيّ البلاد بمكاتبها . فحيث المكاتب هناك الادباء والعلماء . واننا لنشكر الله تعالى لانه بعث في الجمهورية اللبنانية رجلاً عصامياً كرّس وقته وماله وحياته لاتحاف البلاد بمكتبة وطنية اهلية تظل ابوابها مفتوحة لكل طالب علم وراغب في ازدياد المعارف . وهو الفيكنت فيليب دي طرّازي امين دار الكتب والآثار » .

وكتبت مجلة الشهباء في هذا الصدد ما نصه(٢) : « لا يزال الفيكنت فيليب دي طرّازي مؤسس المكتبة الوطنية في بيروت يجاهد منذ نصف قرن في خدمة العلم والثقافة بهمة واخلاص لا يعرفان الملل حتى تكللت مساعيه الطيبة بالنجاح. وقد دهش الجميع بما شاهدوه من مشروع خطير كمشروع المكتبة يستقل بتحقيقه رجل واحد ... ان حياة الفيكنت دي طرّازي هي سلسلة جهود سلختها من عالم التجارة منذ حداثته الى عالم الكتب . فألّف نيفاً وثلاثين كتاباً بين مطبوع ومرشّح للطبع . وجمع من الآثار الكتابية ما لا يعدّ ولا يحصى . فاحتفظ ببعضها في مكتبته الخاصة ونفح بالبعض الاخر دور الكتب والمعاهد في شتى الانحاء » .

---

(١) مجلة المنارة : في جونية : تموز وآب ١٩٣٧
(٢) مجلة الشهباء في حلب : شهر تموز ١٩٣٧

الفصل الثاني

تحقيق الفكرة وموظفو دار الكتب الاولون

دارت الايام دورتها فخرجت بلاد سوريا ولبنان من حكم العثمانيين عـام ١٩١٨ واحتلتها جيوش الدولة الفرنسية . عنـد ذاك انتهزت الفرصة فجددت الجهود للفوز بالمرغوب . فلاقيت تنشيطاً من ارباب هـذه الدولة وأسست دار الكتب في منزلي سنة ١٩١٩ غير هيّاب لِما يعترض مشروعي من عقبـات ومصاعب . ورحت اعمل سراً بلا ضجة في تجهيز حاجات المكتبة ريثما وثقت من نجاحها وثباتها . تلك كانت اول بزرة لهـذه الشجرة التي بدت كحبة خردل . ثم نمَت اغصانها ونضجت ثمارها فظـلّلت المئـات من روادها ولذّذت الالوف من طلابها .

غير انه ما كادت تذيع الصحف عام ١٩٢٠ نبأ تأسيس دار الكتب حتى هبّ غير واحد من عشاق المناصب يعاكسوني ويناهضون مساعيّ طمعاً براتب الوظيفة . وهم يجهلون او يتجاهلون اني ما اقدمت على هذا المشروع طمعاً بالربح بل خدمة للعلم والوطن . واقوى برهان عـلى ذلك اني لبثت اعواماً اقوم بجميع نفقات المكتبة وادفع من جيبي رواتب موظفيها دون ان يساعدني احد على الاطلاق .

ولم تلبث ان ضاقت داري عن استيعاب ما جهزته من الخزائن والاعندة وما جمعته من الكتب والمجلات . فاخذت افتش عن مركز موافق للمكتبة في قلب المدينة . فوقع اختياري على الطبقة العليا من بناية المدرسة البروسيوية المعروفة بمدرسة « الدياكونيس » . لانها جامعة بين الناحية العلمية والمزايا الصحيـة . وهي مبنية في بقعة جميلة تخترقها اشعة الشمس وتكتنفها الحدائق النضيرة .

انتقلت الى تلك البناية الفسيحة في مطلع العام ١٩٢١ ونقلت اليها ما كنت اعددته من كتب وخزائن واطلقت عليهـا اسم « دار الكتب الكبرى » . ثم انتقيت ثمانية ادباء يساعدونني في مصلحتي وهم : الاستاذ الشاعر الياس حنيكاتي ، والاستاذ ديمتري حائك مدعي عام محكمة التمييز لعهدنا وشقيقه الدكتور لويس حائك ، والسيد جان عكاوي من كبار تجارنا ببغداد في الزمان الحاضر ، والاستاذ كميل بك شمعون النائب والوزير اللبناني . والمرحومون الاستاذ المحامي جورج بشاره ، واديب عورا وغيليوم فابري .

ومع قيام كل من اولئك الموظفين بعمله الخاص فانهم كانوا كابناء اسرة واحدة يتعاونون بروح طيبة وحمية وطنية في ما يؤول الى هذا المعهد بالخير والفلاح . وقد حفظت انا لكل منهم ذكرى حسنة مستمطراً غيوث الرحمة على الدارجين وداعياً للاحياء بالعافية والتوفيق وطول العمر .

الفصل الثالث

تسجيل دار الكتب باسم الحكومة اللبنانية واهداء مكتبتي الخاصة اليها

بعدما وثقت من تحقيق فكرتي ونجاح مسعاي في انشاء المكتبة اخذت افاوض الحكومة اللبنانية لتعترف بها وتضمها الى سائر دوائرها الرسمية .

غير ان الكومندان ترابو حاكم لبنان الكبير (١٩٢٠ – ١٩٢٣) مانع في هذا الضم لانه كان يرتاب كسائر ابناء الغرب في ثبات ما يقوم به ابناء الشرق من المشاريع الخطيرة . فاعرض عن الاعتراف بالمكتبة وابى ان يرصد لها اعتماداً في موازنة الدولة . اما انا فلبثت اواصل النهوض باعباء المكتبة كلها ريثما تجلّى للحكومة ضرورة هذا المشروع وخطورته وحاجة لبنان اليه . فلم ترَ الا ان تعترف به وتضمه الى دوائرها لِما احرزه من ثقة اهل الادب ورضى خاصة القوم وعامتهم . فكان هذا الاعتراف برهاناً واضحاً على ان الشرقيين لا يقلون عن الغربيين كفاءة وثباتاً في مشاريعهم .

وتمّ اعتراف الحكومة هذا في ٨ كانون الاول ١٩٢١ فسجّلت حينذاك لدى كاتب العدل « النوتير » دار الكتب وجميع محتوياتها باسم الحكومة اللبنانية تأميناً لمستقبلها وحذراً من ان تعبث بها يد اثيمة . اطمأنّ بالي بتسليمها الى حكومة تتعهدها وتحرص على كنوزها . هكذا اصبحت دار الكتب منذ ذاك التاريخ منوطة بمديرية المعارف العامة ثم بوزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة . وبعدما سلّمتُ دار الكتب الى الحكومة اخذت منذ السنة ١٩٢٢ انقل اليها تدريجاً من خزانة كتبي الخاصة اغلب ما حوته من مخطوطات ومطبوعات. وقد اناف عددها على خمسة الاف وستمائة مجلد بينها ما ندر وجوده وعزّ الحصول على نظيره !

الفصل الرابع

تدشين دار الكتب ورأي الحكام والادباء فيها

بتاريخ ٢٥ تموز من السنة ١٩٢٢ جرى تدشين المكتبة برعاية الجنرال غورو المفوّض السامي الفرنسي وحضور اركان السلطتين اللبنانية والفرنسية وجم غفير من اعيان البلاد وادبائها . واخذت رسائل التحبيذ والتنشيط تتوارد الينا من اركان المفوضية الفرنسية العليا ومن ارباب الدولة اللبنانية بدءاً من الجنرال غورو فالجنرال فيغان فالجنرال سرايل فالمسيو بونسو ومن الكومندان ترابو حاكم لبنان الكبير ومن خلفه المسيو لاون كايلا . ومن الاستاذ شارل دباس وحبيب باشا السعد رئيسي الجمهورية اللبنانية . ومن خلفها الاستاذ اميل اده . ومن اوغست باشا اديب رئيس الوزارة وغيرهم . وجميعهم افرغوا عبارات الثناء على نهوضنا بتأسيس دار الكتب وعلى اهتمامنا بانماء ثروتها وتعزيزها . وكل تلك الرسائل الرسمية موقعة بخطوطهم ومحفوظة في خزائننا .

وما ان ذاع بين الخاصة والعامة نبأ تأسيس دار الكتب وتدشينها حتى اخذ العلماء واهل البحث يتقاطرون الى زيارتها والانتفاع من محتوياتها . ونشرت الجرائد عنها الفصول الطوال ونظم الشعراء اجود القصائد في الاشادة بها . نذكر منها تاريخاً شعرياً للسيد مصباح رمضان قال :

تسدي بيروت لفيليب ومعارفه الغرّا شكراً
وتضيف اليه ألف ثناً أرّخ دار الكتب الكبرى (١٩٢١)
١٠٠٠ ٩٢١

وانشد الياس بك الباشا قائم مقام زحله هذه الابيات :

لبيروت أمّ الشرع اقدم شهرةٍ يردّدها التاريخ في اطيب الذكرى

وآثارها دلّت عليها بما حوتْ من الكتب الغراء في دارها الكبرى
فشكراً لذي الفضل العميم مديرها وللعلم والآداب في عصرنا البشرى

وانشد السيد فتح الله بك خياط الموصلّي قال :

هنيئاً لدار الكتب مَن انت عزّها وبدرُ علاها الالمعيّ مديرُها
اذا باهت الآداب فيك بني الورى فانك يا فيليب حقاً اميرُها

وانشد السيد نجيب لادقاني مؤرخاً :

يا اهل بيروت الافاضل أسّستْ دار لكم منها الفوائدُ تُكتسبْ
وبسعي فيليب مؤسّسها حوتْ كنز النفائس من لسان بني العربْ
دُعيتْ بدار الكتب والاحرى بانْ تدعى بدار الشهْب في فلك الادبْ
قولوا لِمن حمل اليراع مقرّظاً تأسيسها واجاد في ما قد كتبْ
يا مَن بماء التبر سال يراعُهُ أرّخْ كتبتَ بهِ سطورك من ذهبْ

١٩٢١

وكتب احد الشعراء على اثر زيارته دار الكتب ما يلي :

أتدري يا سيدي الفيكنت ماذا تمنيتُ بعد زيارتي الاخيرة لهذا الصرح الخالد الذي جاهدتَ قبل الجميع في تأسيسه وجمع كتبه القيّمة وتنظيمها ؟

تمنّيت ان احيا مع الصرح ادهراً وأطرق طول العمْر للعلم بابهُ
فأطوي حياتي باحثاً ومنقّباً لكي اجتني من كل فنّ لُبابهُ

وقد دعت الحمية الادبية بعض انصار دار الكتب واصدقائها فانتخبوا بعض قصائد ومقطعات شعرية نُظمت فيها وفي مؤسّسها . واستكتبوها أبرع الخطاطين وجعلوها ضمن اطارات جميلة اتحفوا بها هذا المعهد الثقافي . ثم علّقوها على جدران الرواق المؤدي الى المدْرس الكبير اقراراً بمعرفة الجميل .

ونضمّ الى هولاء الشعراء مـا كتبه رهط من السراة والادباء والحكام والوزراء في سجل المكتبة الذهبي معربين عن اعجابهم واستحسانهم . وقد سردنا تصريحاتهم مرتبة بحسب التسلسل التاريخي .

كتب الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق بتـاريخ ٣١ تشرين الثاني ١٩٢٤ ما نصه : « لو كان كل النـــاس يقومون بما يُفرض عليهم لوطنهم قيام صديقي الحميم السيد فيليب دي طرّازي لكانت هذه الامّة المتفسخة بخير . اني لمعجب بما بدا من همته في جمع خزانة كتب أعلت شأن ثغر الشام اعجابي به عندما كان يتصدق كل يوم عـلى الفقراء ايام الحرب العظمى والمحنة الكبرى (١٩١٤ – ١٩١٨) » .

وكتب الاستاذ جبران تويني وزير المعارف العامّة والفنون الجميلة ما يـلي : « كلمة اعجاب بهمّة منشىء هـــذه المكتبة العالم البحاثة الفيكنت فيليب دي طرّازي . وثناء على جَلده ونشاطه وانفاقه من ماله ومن وقته في سبيل ايجـاد هذا الاثر الخالد » . ٢ نيسان ١٩٢٧

وكتب الامير خالد شهاب رئيس الوزارة اللبنانية عندما كان نائباً عن لبنان الجنوبيّ في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٨ ما نصه : « هي المرّة الاولى التي ازور فيهـا دار الكتب الكبرى لجامعهـــا العالم الكونت دي طرّازي . اني اقدّر الجهود العظيمة المبذولة للحصول على ما فيها من النفائس القيّمة والتي يتعذّر حتى على الجماعات الوصول اليها . فحق على كل لبناني ان يشكره على جمع هذه النفـائس . ومن الواجب على الحكومة ان تمده باشدّ المساعدة لاتمام عمله الكبير . وكنائب لبناني اقدّم له عظيم شكري وامتناني » .

وكتب الاستاذ الفيلسوف امين الريحاني بتاريخ ١٥ كانون الثاني ١٩٣٢ مـا نصه : «أحسب نفسي سعيداً عندما اتمكن ولو مرّة في السنة من زيارة هذه المكتبة لاصافح مؤسّسها ومديرها ومغذّيها صديقي الكنت طرّازي . واشكره باسم العلم وابناء هذه المدينة على همته وغيرته . واسأل الله تعالى ان يطيل بايامه » .

وكتب الاستاذ كرَم البستاني بتاريخ ٥ ايلول ١٩٣٣ قال : « اذا دخلت دار الكتب الكبرى وطوّفت بين خزائنها المرصوفة فيها كتب العلوم والفنون والآداب اطرق خاشعاً امام عَظمة الادمغة التي ولّدت تلك الآثار ينبوعاً فيّاضاً في شتى المعارف . ثم امِل طرفك نحو غرفة صغيرة جلس الى منضدة فيها رجل يطفح وجهه عبقرية وبشراً وتطيب نفسه حياءً وتواضعاً . وقل : حيّ الله الفيكنت فيليب دي طرّازي رجل العلم والعمل الذي اوجد من العدم هذا الكنز الثمين دون ان تمتد يد سخية لمساعدته ! بيد انه قد كان له من همته التي لا تعرف الكلال ومن سخائه الذي لا ينضب معينه خير مساعد ومعين . واذا كان كل فرد يُقدر بعمله فبمَ نقدر هذا الرجل العبقري ؟ » .

وكتب الاستاذ بركات احد محرّري جريدة « الاهرام » وشيخ الصحافة المصرية بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٣٧ ما يلي : « اذا ذُكر الادب في لبنان خاصّة والشرق عامة كان اسم الكنت طرّازي عَلماً له . وغداً عندما يتطلّع ابناؤنا الى آثار آبائهم ومن تقدمهم فسيكون لهم من هذه الشخصية الفذّة احسن قدوة وخير مثال » .

وكتب السيد رشيد عالي الكيلاني رئيس وزارة العراق بتاريخ ٦ نيسان ١٩٣٧ ما يأتي : « اسعدني الحظ بزيارة دار الكتب اللبنانية الكبرى فسرّني ما شاهدت فيها من كتب نفيسة وآثار قيّمة في مختلف المواضيع . واعجبني تنسيقها وترتيبها بما يسهّل للمولع في التدقيق والتنقيب الحصول على ضالته المنشودة . ولا غرو في ان هذا العمل المشكور يدلّنا دلالة واضحة على ما لامين الدار البحاثة المدقق الاستاذ الفاضل الفيكنت فيليب دي طرّازي من اياد بيضاء في خدمة العلم ومن حرص شديد على الاكثار من رشف مناهله العذبة » .

وكتب السيد نجيب اميوني وزير المعارف والفنون الجميلة في الجمهورية اللبنانية بتاريخ ٨ نيسان ١٩٣٧ قال : « عرفت حضرة الفيكنت فيليب دي طرّازي في

اول عهد الوزارة اللبنانية الاولى . فعرفت فيه الجهود الجبارة التي بذلها لتأسيس دار الكتب . فاليه يرجع كل الفضل لاقامة هـذه المنارة المعدودة مفخرة من المفاخر في هذه الديار . تولى ادارتها بحكمة وحنكة ولياقة ولباقة تجلّت في اقواله وافعاله . فكان المثل الاعلى للنشاط والجهاد واللطف والظرف . جزاه الله تعالى عن الوطن خيراً » .

وكتب الاستاذ صادق البصّام وزير معارف العراق وزميله علي ممتاز الدفتري وزير المالية بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٣٧ ما يلي : « اذا كان مجد كل امّة يقوم على جهود بعض افرادها القلائل الذين يبلغون مرتبة الابطال كلّ في دائرة اختصاصه . فان الجهد الذي قام به الاستاذ الفيكنت فيليب دي طرّازي في تكوين دار الكتب الكبرى في بيروت هو من اهم الاسس التي يقوم عليها مجد الامّة العربية الحديث . ونرجو ان تكلل مساعي الفيكنت المشكورة بالنجاح التامّ لتقدم هذا المعهد الثقافي الجليل وتكامله » .

وكتب الامير خليل ابي اللمع وزير المعارف اللبنانية بتاريخ ١٧ آب ١٩٣٧ ما يلي : « عبارة الاعجاب والثناء على همة واجتهاد حضرة منشىء هذه المكتبة ومديرها الفيكنت فيليب دي طرازي المحترم » .

وكتب السيد عبد القادر آل باش اعيان سليل الخلفاء العباسيين في مدينة البصرة بتاريخ ٨ تموز ١٩٣٨ ما نصه : « من حسن حظّي توفقت الى زيارة دار الكتب التي اسسها العلامة الفيكنت فيليب دي طرازي في بيروت . فالجهود التي قام بها هي جهود جبارة خالدة . وارجو ان يكون قدوة صالحة في عمله للاجيال القادمة » .

وكتب الدكتور منصور فهمي باشا مدير دار الكتب المصرية وعميد جامعة فاروق الاول بالاسكندرية بتاريخ ٩ ايلول ١٩٣٨ قال : « أحيّي جهود جناب الفيكنت طرّازي مدير دار الكتب وادعو له ولها بدوام التقدم المطّرد » .

حسبنا ما اثبتناه من آراء بعض الحكام وتصريحات حمَلة الاقلام في اللغة العربية . وهناك الشيء الكثير مما كتبه الامراء والسفراء والوزراء والبطاركة وقناصل الدول وغيرهم . وقد دوّنوا اقوالهم في السجل الذهبي باللغات العربيـة والفرنسية والانكليزية والايطالية والسريانية والالمانية واليابانية الخ . فاكتفينا بما بسطناه حباً بالايجاز .

الفصل الخامس

رحلاتي الى اوربا ومصر ومقابلتي لبعض الملوك في سبيل دار الكتب

ما كادت تدخل المكتبة في حوزة الحكومة اللبنانية حتى ارتحلتُ في سَلخ السنة ١٩٢١ الى فرنسا والى بعض انحاء اوربا تعزيزاً لشؤونها وانماء لثروتها . وكنتُ قبل ذلك مرتبطاً بصلات ادبية مع كثيرين من حملة الاقلام الغربيين ومع بعض الجمعيات والمجامع العلمية التي افتخر بكوني عضواً من اعضائها . وقد يسّرت لي تلك الصلات ان اتعرف بالوزارات والمحافل العلمية ودور الكتب والجامعات والمؤلفين وارباب المطابع . هكذا تمكنت من تحصيل ما احتاجت اليه المكتبة البيروتية من نفائس الاسفار كالمعاجم والموسوعات والمؤلفات الاساسية على اختلاف مواضيعها ولغاتها وبلدانها ومؤلفيها

ولبلوغ امنيتي ما اضعتُ دقيقة واحدة في اثناء الرحلة بلا عمل . ففي النهار كنت اتردّد الى معاهد العلم وانتقي من الاسفار ما اراه ذا فائدة لابناء وطني . ولم اتخلّف عن ارتياد مستودعات الكتب القديمة التي علاها الغبار او دفنتها الايام ضمن كفَن كثيف من نسيج العنكبوت . والحق اقول اني على رغم ما تجشمته من الاتعاب لم اشعر قط في حياتي بلذّة اطيب من تلك اللذة . ذلك لاعتقادي اني اشتغل لاعلاء شأن العلم ونشره بين اهل بلادي المحبوبة . اما في الليل فكنت انقطع الى كتابة الرسائل واعداد التقارير وتهيئة ما يلزم لليوم التالي .

وفي السنة ١٩٢٥ توجّهت مرّة ثانية الى فرنسا وزرت بلجيكا وهولندا وانكلترا وموناكو والمانيا والنمسا وايطاليا فلم يكن التوفيق في رحلاتي هذه

باقل منه في رحلتي الاولى . وقد جمعت في خلالها اكثر من ثمانية عشر الف مجلّد اودعتُها مائتين وثلاثين صندوقاً ارسلتها كلها بمثابة هدية الى دار الكتب . واردفتُها بعدد وافر من الكتب بعثت بها ضمن رزم بريدية .

وفي اثناء تلك الرحلات انشأت صلات عديدة بين دار الكتب اللبنانية وبين الجامعات والمجامع العلمية ومعاهد الطباعة والصحافة وغيرها . وقد اغتبطت بمقابلة السيد غستون دومرغ رئيس الجمهورية الفرنسية في ١٦ نيسان ١٩٢٥ وحدثته عن مهمّتي فنشطني الى مواصلة العمل ولم يتخلّف عن تمهيد السبل لنجاح مسعاي .

ثم توّجهت الى موناكو وزرت اميرها البرت الاول فاحسن وفادتي وتكرّم باهداء جميع مطبوعات الامارة الى دار الكتب اللبنانية . وفي مقدمتها مجموعته الشهيرة البالغة زهاء مائة مجلد ضخم وهي تتضمن ابحاثاً خطيرة عن شتى العلوم البحرية . وهذه المجلدات المزدانة بالرسوم النفيسه تزيّن اليوم خزائن دار الكتب المشار اليها .

وقد سافرت ثلاث مرّات الى القطر المصري في سبيل دار الكتب. وتشرّفت بمقابلة جلالة الملك فؤاد الاوّل وانشدته القصيدة التالية التي التزمت فيها ان تكون القافية في جميع الابيات لفظة واحدة يختلف معنى كل منها عن معنى الاخرى . ثم استكتبتها نجيب بك هواويني خطاط جلالة الملك وجعلتها ضمن اطار ثمين فـُعلـّقت في احدى قاعات قصر عابدين طبقاً لامر جلالته وهذا نصها :

تحية العلم

لن تبرحَ الايّام خافقة الـعَلـَمْ (١) يَغني ذويه في الـغِمار عن الـعَلـَمْ (٢)

وتَرى عساكر مِصر تمرحُ تحته مع انها رَسختْ كما رسخَ العَلـَمْ (٣)

---

(١) الراية (٢) المنارة (٣) الجبل

ويهزّهم مَن زانَ صدر اشدّهم ... بأساً وأوقاهم ذِماماً بالـعَلَمْ (١)
مُلكٌ عـلا الأملاكَ مرتبةً كما ... تعلو على النّكرات مرتبة الـعَلَمْ (٢)
بالعدلِ لم ينفكّ موسوماً وما ... بسوى الحنانِ فؤاده المولى عَلَمْ (٣)
فاذا هَدى النّصْبُ الضلولَ عن الهُدى ... فسناؤه الهادي اليـه هو الـعَلَمْ (٤)
او كان يمتازُ الطِرازُ برقمهِ ... فجـلاله لِطراز سؤدده عَلَمْ (٥)
كلّ العروش تقاصرتْ عن عرشهِ ... كتقاصُر العَلم القصير عن الـعَلَمْ (٦)
فالدّين عزّ به فعـادَ صلاحهُ ... بصلاح نيّته كما عـاد الـعَلَمْ (٧)
نشرَ الفؤادُ لِوا الفنونِ وما لها ... مِنْ قبله عينٌ ولا أدنى عَلَمْ (٨)
ان كارمَ الكُرماء فهو لهم كرَمْ ... او عالمَ العُلماء فهو لهمْ عَلَمْ (٩)
او وَلدتْ شفَةَ الزمان بمُلكهِ ... كلمَ الشقاق شكت بصارمه الـعَلَمْ (١٠)
فالخافقان قـدِ استمدّا نورَهُ ... اذ عرشه الوضّاء بينهما عَلَمْ (١١)
عَلمَ اللواءَ حسامُه بدم العِدى ... ودمُ العِدى بلوائـه نعمَ الـعَلَمْ (١٢)
لو هزّ خطياً عـلى دهرٍ عَتا ... لغَدا عليه النصرُ يُعقدُ كالـعَلَمْ (١٣)
وبـهِ بنو فرعونَ عزّوا اذ حمى ... اطرافَ مُلكهمِ بتعزيزِ الـعَلَمْ (١٤)
وأَجلّت الدنيـا مفاخرَهُ التي ... تَغني عن التعريف وهوَ بها عَلَمْ (١٥)

---

(١) الوسام . وحرف الجر هنا معلق بلفظة زان (٢) نقيض اسم النكرة (٣) فعل ماضٍ بمعنى وَسم (٤) منصوب في الطريق يهتدى به (٥) رسم الثوب ورقمه (٦) الجبل الطويل (٧) اي علم الدين كما يقال عز الدين وصلاح الدين (٨) اثر . (٩) اي اذا غالب الكرماء بالكرم غلبهم بالكرم او غالب العلماء بالعلم غلبهم بالعلم . وحرف اللام في « لهم » هو لام التقوية (١٠) شق في الشفة العليا او في احد جانبيها (١١) علم هو الفصل بين الارضين والعرش . هنا مجاز مرسل من باب تسمية المحل وهو كرسي الملك اي مصر باسم الحالّ فيه . ولا مراء في ان ترعة السويس في مصر فاصلة بين الشرق والغرب والتعليل لاستمدادهما النور من ذلك العرش معاً لا يبعث على العجب وهو الفاصل بينهما (١٢) السمة (١٣) ما يعقد على الرمح (١٤) ما يوضع بين الشيئين من الحدود (١٥) مفرد

قامت تسطّرها الجرائدُ بعدما أرِجت بريّاها الجوائبُ والعلَمْ (١)
تطوي صحائفَنا الدهورُ وانّما تُبقي مآثرَهُ مخلّدة العَلَمْ (٢)
لله درّ المستغيثِ به فلمْ يُخذَلْ رفيقٌ مستغيث بالعَلَمْ (٣)
بمديحه ارتفعت قوافيّ التي تأبى سواهُ لا بديوانِ العَلَمْ (٤)
في العِلمِ آيات له مشهورة أبداً ودونك معجزاتي في العَلَمْ (٥)
بالحمدِ دبّجها ابنُ طرّازي فما يخشى معارضةً أتاها ابنُ العَلَمْ (٦)

ثمّ عرضتُ على جلالة الملك مهمّتي في الحصولْ على الكتب التي نشرتها الحكومة المصرية فلم يرَ الا تلبية طلبي . قالت جريدة « المصري » (٧) : « كانت للمغفور له الملك احمد فؤاد ملك مصر مكرمة كبيرة على دار الكتب اللبنانية . اذ تفضّل جلالته واصدر امراً الى جميع وزارات الحكومة المصريّة بارسال جميع مطبوعاتها الى الدار المشار اليها . وقد قال الكونت فيليب دي طرّازي انه لا ينكر فضل مصر على هذه الدار كما لا ينسى ايضاً فضل دار الكتب المصريّة التي اهدته طائفة من الكتب القديمة لها قيمتها العظيمة ... »

وفي خلال رحلاتي شاهدني كثيرون من الادباء اتنقّل من مكتبة الى مكتبة ومن معهد الى معهد اراجع اربابها واستجديهم والفت انظارهم تعزيزاً لدار الكتب اللبنانية . ومن اولئك الادباء اذكر مسيو بونور مستشار المعارف الذي وقف على اعمالي في تلك الرحلات . فجاهر في دار الكتب اللبنانية عينها بخطاب بليغ القاه بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٤٠ فقال مخاطباً منشئها :

---

(١) الجوائب والعلم هما جريدتان من كبريات الجرائد العربية اشتهرت اولاهما في القسطنطينية والثانية في القاهرة (٢) العلامة (٣) سيد القوم (٤) ديوان شعر مطبوع في بيروت سنة ١٩٠٧ بعنوان « نفثات القلم على يد العلم » (٥) لفظة العلم
(٦) اشارة الى الخوري يوسف العلم وكانت قد جرت بينه وبين الناظم مناقشات شهيرة كما هو معروف لدى الخاص والعام .
(٧) جريدة « المصري » في القاهرة : تاريخ ٢٤ مايو ١٩٣٧

« ... كدتَ تكون كراهب يستجدي اكفّ المحسنين في عهد الحروب الصليبية . او كدت تكون كرسول نشيط لدى حمَلة الاقلام والعلماء لترقية مدينةَ الكتب هذه . فرحتَ تطرق ابواب ناشري الكتب وطبّاعيها وجمّاعيها وتجتاز عتبات المجامع العلمية حتى ذلّلت العقبات واصبت الغرض الذي توخيته... وزبدة القول انك في مشروعك هذا اتيت بالمعجزات ثم قفلتَ عائداً من غزوتك مثقلًا بالغنائم والكنوز ... وقد توّصلت بتلك الهمة ان تخلق من العدم مدينة الكتب هذه ... »(١) .

ولم تغمّض الجرائد عن التلميح الى ما تجشمته في رحلاتي من وفرة العناء وما كابدته وحدي من المشقات في سبيل انتقاء الكتب وجمعها وشحنها . وقد نهضت بذلك كله دون معاون يعاونني في مهمّتي على الاطلاق . قالت جريدة « النهار » بتاريخ ٩ حزيران ١٩٣٧ على اثر حفلة تدشين دار الكتب الجديدة ما نصه :

« ... انا لا يعنيني كيف جرت الحفلة ... انما يعنيني من كل هذا شيء واحد هو انه لولا الفيكنت دي طرّازى لما كان لنا مكتبة وطنية . رجلٌ فرد آمن برسالة الكتاب يومَ كان الناس ولا يزال اكثرهم لا يقيمون لهذه الرسالة وزناً في تثقيف الامّة . فكرّس نفسه وماله في سبيل مشروعه هازئاً بالصعاب « شاحداً » الكتب من الافراد والمؤسسات في مختلف اقطار الدنيا . وقد اعطى مثلًا عالياً باهداء كتبه الخاصّة النفيسة الى المكتبة . فكانت نواتها المعتَبرة وكان هو معتبِراً « الشحادة » في سبيل العلم اغلى الكرامات ! وظل يعمل طوال سنين بلا ضجة غارقاً بين الصحائف والمخطوطات لا يلتفت الى احد ولا يلتفت اليه احد ! » (٢) .

اما انا ففي كل تلك الرحلات لم اثّقل على خزانة الدولة بشيء من النفقات

---

(١) راجع الجزء الثاني من هذا الكتاب : فصل ٢ رقم ٥
(٢) جريدة النهار في بيروت : ٩ حزيران ١٩٣٧

بل قمت بها كلها على حسابي الخاص متيقناً ان النتيجة عائدة الى خير بلادي . وهذه مراسيم رؤساء الدولة المحفوظة في خزائني ابلغ برهان على ما اقول . وكنت اودّ لو تكررت تلك الرحلات بغيـــة انماء المكتبة وتوثيق العرى بينها وبين اصدقاء عديدين اذخّرتهم لها في الديار الاجنبية . غير ان هناك موانع حالتْ مع الاسف دون تحقيق هـــذه الامنية . وسألمع الى بعضها في فصل لاحق كشفاً للحقيقة .

الفصل السادس

سوء حالة دار الكتب في اثناء رحلتي الاولى والاضطرار الى اعادة تنظيمها

تركتُ دار الكتب عند رحلتي الاولى عام ١٩٢١ مطمئن البال يقوم بخدمتها ثمانية موظفين امناء طبقاً لخطة رسمتُها لهم . لكنني حين عودتي اليها في ٢٧ نيسان ١٩٢٢ تمزق فؤادي كمداً لِما شاهدته فيهـــا من خلل وفوضى فضلاً عن بعثرة كتبها . لان مدير المعارف العامة انتهز فرصة تغيّبي فسرّح اولئك الموظفين ولم يُبقِ منهم سوى اديب عورا الذي كان اصغرهم سناً واقلهم راتباً . ثم انتقى لادارتها رجلاً لم يُخلق لمثل هذه المصلحة الفنية الدقيقة .

تألمت تألماً شديداً عندما شاهدت الوفاً من المجلدات التي بعثتُ بها من اوروبا قد حشرها ذلك الموظف الغبي كيفما كان بين الوف المجلدات المنسّقة سابقاً . فاختلط الحابل بالنابل ولم يبقَ اثر للتنظيم الفنّي الذي سهرت الليالي الطوال في تهيئته واتقانه والحرص عليه . فاضطررت ان اعيد تنسيق الكتب القديمة قبل الشروع بتنظيم الكتب الجديدة الوافرة العدد . ولا يخفى ما تطلّبه هـذا العمل الشاق من الدقة والعناء فضلاً عن طول الاناة . واستعنت في عملي هذا بموّظفين جدد مرّنتهم على اشغال المكتبة ولقنتهم اساليبها الفنية ضمانة لمستقبلها .

هكذا انتظم كل كتاب في محّله وشمل الاتقان وحسن التنسيق جميع نواحي المكتبة . فكان كل من ارتادها ظفر بما شاء من الكتب بسهولة دون عناء . وقد ابدى الزوّار ارتياحهم الى ذلك التنظيم وكتبوا عنه ما اوحتْه اليهم الحقيقة

وشاهدوه بامّ عينهم . من ذلك ما خطّه القس الورع مفيد عبدالكريم رئيس الطائفة الانجيلية ببيروت في سجل المكتبة الذهبي[1] قال :

« لا بدّ لمن يزور دار الكتب الكبرى هذه ويرى فيها من علامات الغيرة الوطنية والاهتمام في جمع آثارنا الادبية واظهارها بمثل هذا الترتيب والاتقان . ولا بد لمن يعرف ان عمر هذه الدار لا يتجاوز الست سنوات من ان يُبدي اعجابه الشديد وثناءه الجزيل وشكره الوافر لرجل الادب الكبير وصاحب الوطنية الصادقة الفيكونت فيليب دي طرّازي موجد هذه الدار » .

٥ ايار ١٩٢٧ — مفيد عبد الكريم

واثبت الاستاذ عبدالله يوركي حلاق في مجلته « الضاد » الحلبية عن اتقان دار الكتب ونظافتها ما نصه : « يجدر بنا ان نقول اننا لمسنا في دار الكتب الكبرى اتقاناً ما بعده اتقان ونظافة وترتيباً بالغين... ولقد نُضّدت تلك الكتب بشكل فني بديع ... »[2]

---

(١) السجل الذهبي : لدار الكتب اللبنانية : صفحة ٤

(٢) مجلة الضاد : مجلد ٧ سنة ١٩٣٧ صفحة ١٥١

الفصل السابع

انشاء دار الآثار وضم ادارتها الى ادارة دار الكتب

بعدما امتلكت الحكومة اللبنانية داراً للكتب في عاصمتها كما سبق الكلام وجّهت ألحاظها الى انشاء دار للآثار القديمة وضمت ادارتها الى ادارة دار الكتب . فظلّ مركز دار الكتب في الطبقة العليا واصبح مركز دار الآثار في الطبقة السفلى من مدرسة الدياكونيس . وقد وحّدت الحكومة ادارة هاتين الدائرتين بشخصنا في ٢٣ نيسان ١٩٢٤ وولّتنا الامانة والاشراف عليهما كلتيهما. انما قضت بالمحافظة على استقلال كل منهما بشؤونها الخاصة .

احتوت دار الآثار على ما تيسّر جمعه من عاديات حضاراتنا الفينيقية القديمة وبقايا الدول التي سيطرت على بلادنا في العصور الغابرة . وخصّصت الحكومة مبالغ سخية بالباحثين الفرنسيين ليساعدوها على نبش الكنوز الدفينة في شتى الاراضي اللبنانية وعلى درسها وتنسيقها طبقاً لاصول علم الآثار . فتوفق اولئك الباحثون في مهمتهم وأدّوا لدار الآثار وللبلاد اللبنانية خدَماً جلّى بما اكتشفوه من التحف الثمينة في نواحي صور وصيدا وبعلبك وغيرها ولاسيما في مدينة جبيل . فكان لتلك الاكتشافات شأنها في عالَمي التاريخ والاثار .

وفي السنة ١٩٢٥ لفتْنا انظار الحكومة الى اقتناء مجموعة ثمينة من نقود ومسكوكات قديمة امتلكها احد هواة الآثار مراد بك البارودي الصيدلي الشهير. فاشترتها من ورَثته بمبلغ يناهز الفي ليرة عثمانية ذهبية . وهذه المجموعة وحيدة من نوعها بين مثيلاتها في العالم كله .

عُنينا بادارة المتحف اللبناني زهاء خمسة اعوام (١٩٢٤ — ١٩٢٨) عنايتنا

بدار الكتب . فافرغنا الوسع في جمع بواكير محتوياته وانماء ثروته واذاعة مميزاته بين القريب والبعيد . وشوّقنا الخاص والعام ليزوروه فشرعوا يتقاطرون اليه افواجاً ويمتعون انظارهم برؤية ذخائره الاثرية . ولاسيما لانهم لم يألفوا مشاهدة متحف في هذه الديار قبل ذلك العهد .

وكان الدكتور جورج فورد الاميركي في صيدا قد اكتشف في اطرافها اضرحة رخامية عديدة وتماثيل وعاديات نادرة واعتزم ان يهديها الى جامعة شيكاغو. وفي ٢٠ اذار ١٩٢٦ جاء الى بيروت الدكتور يوحنا برستد رئيس القسم الشرقي في الجامعة المذكورة ليتسلم تلك التحف وينقلها الى اميركا . فلما شعرنا بالامر انطلقنا الى صيدا وبيّنا للدكتور فورد ان القانون يحظر على اي كان اخراج الاثار القديمة من بلادنا ولا يسمح بنقلها الى بلدان اخرى . وبعد اخذ وردّ اقنعنا الدكتور المشار اليه بوجوب ابقاء تلك العاديات في بلادنا . وألححنا عليه ان يهديها الى متحف بيروت فلم يتردّد في ذلك . فشكرنا له كرمه واثنينا على اريحيته . وها ان تلك الآثار تزيّن اليوم قاعات المتحف اللبناني وتُعد من اجمل كنوزه واثمنها .

ولما كان علم الاثار القديمة غير معروف لهذا العهد في بلادنا كتبنا تقريراً الى الحكومة اللبنانية واقترحنا عليها ضرورة ارسال شاب الى باريس يدرس ذلك العلم الجديد بالاعتبار . فحبذت الحكومة اقتراحنا واجرت امتحاناً رسمياً كان المجلّي فيه شاب نجيب جمع بين الحسب والادب هو الامير موريس ابن الامير حافظ ابن الامير ملحم شهاب . فسافر هذا الامير الفتى الى عاصمة الفرنسيس وحصّل باجتهاده ما حقق آمال الحكومة والامّة . ثم عاد بعد دراسة ثلاثة اعوام (١٩٢٥ – ١٩٢٨) الى الوطن وولاه رئيس الجمهورية ادارة دار الاثار خلفاً لنا بمرسوم مؤرخ في ٩ آب ١٩٢٨ . واصبحنا نحن بموجب المرسوم ذاته اميناً فخرياً لدار الآثار تنويهاً باتعابنا الوافرة في سبيله . ومن ذلك التاريخ استقلت هذه الدائرة عن دار الكتب وما برح الامير موريس متولياً منصبه فيها بما فُطر عليه من الذكاء والهمة والامانة .

وقد دفعت الحمية الوطنية فريقاً من ذوي اليسار والوجاهة وارباب الفنّ فألفوا لجنة جمعت مبلغاً من المال ضُمّ الى ما تبرعت به الحكومة لتشييد بناية فخمة خاصّة بدار الآثار . واجمعت الآراء على ان يكون مركزها عند مدخل بيروت في بقعة تحفّ بها غابة الصنوبر وطريق الشام وشارع فؤاد الاول . وقد نجزت تلك البناية الجديدة وجرت حفلة تدشينها بتاريخ ٢٧ ايار ١٩٤٢ في عهد الاستاذ الفرد نقاش رئيس الجمهورية اللبنانية .

واغتنم الاستاذ حليم دمّوس فرصة ضم ادارة دار الآثار الى دار الكتب فنظم في ذلك قصيدة عامرة الابيات قال :

انْ قلتِ فيما مضى: يا حبّذا السّلفُ ... فاليومَ يا ميّ قولي : حبّذا الخَلَفُ
حيّي ببيروت امّ الشرع مأثرةً ... أمامها كلّ حرٍّ رهبة يقفُ
حيّي بها معهدَي فنٍّ ومعرفةٍ ... اضحتْ بفضلهما الاوطان تعترفُ
فذاك معهدُ علم كلّه طُرفٌ ... وذاك معهدُ مجدٍ ملؤهُ تحفُ
تجاورا بعدما طال النوى فهما ... لامٌ تعانقها في عطفها أِلفُ
داران خلّدت الايّام طيّهما ... ذكرى البنين وذكرى للألى سَلَفوا
مفاخرٌ للعلى تُغني روائعُها ... عن كل ما وصف الرائي وما يصِفُ
وقفتُ انظر للعهد القديم وللـ ... ـعهد الجديد وبالعهدَينِ لي كلَفُ
فكلّ آتٍ لنا في صدره أَملٌ ... وكلّ ماضٍ لنا في صدره أَسفُ

. . . . .

لا يخدم الشعبَ في سرٍّ وفي علنٍ ... الا الذين بحبّ الشعب قد شُغفوا
وليس يسعى الى انهاض امّتهم ... الا رجال على امجادها عَطفوا
ما كلّ من خدم الاوطان أصلحها ... هيهات تُصلحُ أيدٍ دأبُها التلَفُ
بئس النفوسُ التي باسم الوظائف بل ... باسم الطوائف والاديانِ تختلفُ
متى أرى أمّتي والجِدّ غايتها ... وفي سبيل اتحاد السعي تأتلِفُ

فليس كالجهل لاستعباد مَن غفلوا   وليس كالعلم لاستقلال من رسفوا

.....

أريد في وطني ما عزّ في وطني   من مكرُماتٍ بها الاجداد تتّصفُ
أريد فيها ابياً ملء بُرْدته   قلب كبيرٌ الى الاصلاح ينصرفُ
وان يكون أخا بذل وتضحيةٍ   يهزّه العاليانِ : الجود والشرفُ
كذلك الفردِ من أضحت عزيمته   كدافق الموج حيث الموج يزدحفُ
مَن شاد للعلم والاحسان ابنيةً   وليس في نفسه الا التّقى هدَفُ
عَنيتُ (فيليب طرّازي) المؤرخ مَن   نسل الألى بجميل الصّنع قد عُرفوا
المنفق الوقت لا منّ ولا طمعٌ   والباذل المال لا تيهٌ ولا صلَفُ
والممتطي غارب الاسفار ليس له   الا الى طلب الاسفار مُنصرَفُ
همّ الكثيرين من قومي مراتبهم   وهمّه البحث والتأليف والصحُفُ
لولاه ما كان للآثار من أثرٍ   ولا تنظّمت القاعات والغرَفُ
ولا رأينا جنود العلم عاكفة   كظامىء الطير حول الماء يعتكفُ

.....

فدونكم منهلينِ اليوم فازدحموا   عليها واستقوا ما راق واغترفوا
فها هنا فتنةُ الالباب فابتدروا   وها هنا روضة الآداب فاقتطفوا
وهذه تحفة الاجداد فاعتبروا   وهذه شرعةُ الورّادُ فارتشفوا

ولدينا قصائد شتى في هذا الصدد نضرب عن ذكرها صفحاً ونكتفي بالالماع اليها .

الفصل الثامن

وصف بناية دار الكتب الجديدة

ضاقت معاهد المكتبة في مدرسة الدياكونيس عن استيعاب المجلدات التي كانت تتوارد عليها بلا انقطاع يوماً بعد يوم . ففاوضنا رئيس الجمهورية عام ١٩٢٩ واطلعناه على مسيس الحاجة الى بناية لدار الكتب اوسع واكبر تحاكي طراز المكتبات في عواصم الدول . ولما استيقن ذلك اظهر كل رغبة في تحقيق هذا المشروع واوعز الى الحكومة ان تنظر في الامر بعين الاعتبار . فقرّرت تشييد بناية فسيحة تُنقل اليها ذخائر هذا المعهد وتصان فيها الى مستقبل الايام .

انتقت الحكومة بقعة في قلب المدينة واقعة غربي « ساحة النجمة » وعهدت الى المهندس البارع السيد مرديروس الطونيان ان يضع رسماً لهذا الصرح الجديد . فجاءت هندسته جامعة بين العظَمة والجمال وسلامة الذوق . وقد اشتمل هذا البناء على ثلاث دوائر رسمية وهي: المجلس النيابي ودار الكتب والدوائر العقارية.

ومركز دار الكتب واقع غربي الصرح المذكور يرقى اليه من الناحية الشمالية بسلّم من رخام ابيض . وطول بناية دار الكتب يبلغ اثنين وستين متراً . وهي تتألف من ثلاث طبقات ذات هندسة رائعة ومنظر حسَنٍ يدعوان الى الاعجاب والوقار . ويصل السلم بالمكتبة رواق مدبج بخرائط علمية وصوَر بعض النوابغ . وكُتب في صدره بحروف مفضضة بيتان نظمهما مؤسس دار الكتب وهما :

للكُتُبِ أنشىءَ مقدسٌ اوحى لنا عصر الرّها ومآثر المأمونِ
في بابه ازدحمتْ اساطين النهى سعياً وراء الجوهر المكنونِ

ويلي الرواق مِدْرس كبير يلتئم فيه طلاب العلم وروّاد المطالعة والتنقيب. وقد توفرت لهم فيه جميع اسباب الراحة والسكينة وسائر اساليب التحصيل العصرية . ويبلغ طول هذا المدرس ٢٦ متراً بعرض ١٣ متراً وارتفاع ١٤ متراً. واسندت الى جدرانه في الطبقات الثلاث خزائن خشبية وحديدية رُصفت فيها الكتب على اختلاف العلوم في اللغات الشرقية والغربية . ونُصب فوق كل خزانة بحروف فضية عنوان مواضيع الكتب وفقاً للتنسيق العشري والتسلسل العلمي .

وقد سبقنا فأوحينا الى المهندس الطونيان ان يرسم المِدْرس على هذا الشكل وبالقياسات المذكورة آنفاً كي يتسنى لادارة دار الكتب ان تقوم حيناً بعد حين بحفلات تلقى فيها محاضرات علمية لفائدة الجمهور والطامعين في العلم . وفي صحن المِدْرس مقاعد لمائتي زائر يشتغلون بكل هدوء في وقت واحد . ويمكن ان يضاف الى ذلك اذا مسّت الحاجة مائة وخمسون مقعداً .

وما عدا المصابيح الكهربائية المرتكزة في جميع نواحي المكتبة فقد عُلقت في سقف المدرس ثلاث ثريات بلورية تنار بالكهرباء ليلاً في الحفلات الكبرى .

وفي صدر المدرس يقرأ الداخل هذه الآية « رأس الحكمة مخافة الله » . وقد استكتبناها بحروف كوفية ضخمة ووضعناها ضمن اطار طوله اربعة امتار واهديناها الى المكتبة . وتحت تلك الاية ارتكز اطار ثان طوله خمسة امتار اتحفنا به دار الكتب ايضاً . وقد دبّجنا مدرَجته بنقوش ظريفة يتوسطها هذا الشعر :

العلم يرفع بيتاً لا عمادَ له والجهل يهدم بيت العزّ والشرفِ

وخلاصة القول ان زائر دار الكتب يلاقي فيها ما يعجبه ويدهشه من فخامة واتقان وترتيب وتبويب وهيبة وسكوت . وهو لعمري منظر مهيب يدعو الى الاعجاب والاغتباط . على ان دار الكتب هذه اصبحت مرجعاً للثقافة يجلب الافكار والانظار بما احتوته من الاسفار وما ازدانت به جدرانها من رسوم تمثل فحول العلم وجهابذة الفن في الديار اللبنانية .

الفصل التاسع

معرض دار الكتب

اطلقنا هذا العنوان على قاعة واقعة في اوّل رواق المكتبة الى يمين الداخل . وهي تضم اثمن ما احتواه هذا المعهد من تحف فنّية وطرَف نادرة ومخطوطات قديمة مما لا يرخّص في رؤيته الا لخاصة القوم . وهذا المعرض على حداثة نشأته حوى نفائس جمة نكتفي بذكر بعضها :

اولا — خزانة في صدر القاعة تتضمن زهاء ثلاثمائة وخمسين مخطوطاً . منها كتابات فريدة في بابها ومخطوطات نعتقد انها الوحيدة من نوعها . وبينها شاهنامة الفردوسي في مجلد ضخم مزيّنة باحدى وستين صورة رائعة تعتبر من ابدع ما رسمَته ريشة مصوّر في العصور الغابرة .

ثانياً — فوق خزانة المخطوطات المشار اليها صفيحة بلوريّة كبيرة عليها كتابة طريفة مذهبة بشكل سفينة نمّقتها براعة الخطاط الشهير نسيب مكارم

ثالثاً — في صحن القاعة خزانة حُفظت فيها آثار شتى منها مصاحف قرآنية ثمينة وخطوط كوفية على رق الغزال وجلود مزينة بنقوش والوان زاهية .

رابعاً — صفيحة كبيرة يكتنفها اطار من خشب الارز رُسم عليها العَلَم اللبناني. وعند جذع الارزة في وسط العَلَم صورتا الاميرَين الكبيرَين فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢ — ١٦٣٥) والامير بشير الشهابي الثاني(١٧٦٧—١٨٥٠). وقد تفرّع منهما يمنة ويسرة حكام لبنان الكبير ورؤساء الجمهورية اللبنانية يحيط بهم المفوّضون السامون من قِبل الجمهورية الفرنسية في هذه الديار.

هكذا تبدو للناظر في تلك الصفيحة رسوم الحكام الذين تسلسلوا في الدولة اللبنانية لعهدنا هذا . وقد اهداها الكاتب الاديب فيليب فارس مفوّض الشرطة الى معرض دار الكتب .

خامساً — حبّة أرزّ طبيعية كُتبت عليها سورة الفاتحة بخط الشيخ نسيب مكارم .

سادساً — صورتان اثريّتان رسمتها براعة اللغوي الكبير الشيخ ابرهيم اليازجي وهما : صورة شقيقته الشاعرة وردة اليازجي وصورة الدكتور يوسف الجلخ . وقد كتب الشيخ ابرهيم بخطه على زوايا الصورة الثانية اربعة ابيات من نظمه وهي :

حيِّ رسماً لمن تحيّي ثَراهُ ... نسمات الرضى وبردُ العهادِ
لاح فيه مثاله بل مثال ال ... فضل والبرّ والوفا والوَدادِ
رسمَتْه يدي وفي القلب منه ... مثل ما قد رَسمْتُه بالايادي
فكأني نقلته عن فؤادي ... او كأني جعلتُ فيه فؤادي

سابعاً — حلّة للتقديس ثمينة بلغت اكلافها ثلاثمائة ليرة عثمانية ذهبية . وقد اهتمت بصنعها فتيات بارعات من اسرة شاهيّات بحلب في اواسط القرن التاسع عشر لنسيبهنّ الخوري اناطوليوس شاهيات الراهب الباسيلي الحلبي . وهذه الحلة منسوجة بخيوط الفضة ومطرزة بقصب الذهب ومرصّعة باللؤلؤ الاصلي الخالص . فاشتراها الارشمندريت ميخائيل آلوف الروميّ الملكي في زحلة . وقد رغّبتُه انا في اهدائها الى دار الكتب لِما بيني وبينه من صداقة متينة . ثم استصنعت لاجل حفظها خزانة خاصة متوّجة باسم مهديها تخليداً لذكراه .

ثامناً — صورتان زيتيتان تمثّل احداهما ناحية من نواحي بيروت منذ مائة عام . وتمثّل الصورة الاخرى تلك الناحية عينها من مدينة بيروت في العصر الحالي .

تاسعاً – مجموعة كاملة تنطوي على كل ما اصدرته الحكومة اللبنانية من اوراق بريدية وقراطيس مالية وما انشأته من انواط الشرف .

عاشراً – تُحَف جمة من رسوم وانواط تذكارية وكتابات مختلفة يطول تفصيلها في هذا المقام .

حادي عشر – سيف اسماعيل حقي بك آخر والٍ تركي في بيروت سنة ١٩١٨ وقد اشتريت هذا السيف واهديته الى معرض دار الكتب .

اعلم اني لما انشأت المعرض المذكور اقتفيت فيه آثار من تَجلّوا في هذه الحلبة من امناء دور الكتب الشهيرة على حد قول المثل « ان التشبّه بالكرام فلاح » . لان جميع دور الكتب في اصقاع اوربا واميركا ومصر تتنافس في ابراز ما لديها من الكنوز الثمينة وتُفسح لها احسن الغرف وأليقَها . وما هدفها في ذلك الا ترغيب الخاص والعام في ارتياد المكتبات للوقوف على ما خلّفه الاسلاف من الآثار الرائعة والنوادر الفنّية .

وكنت اعلّل النفس بان هذا المعرض سيزداد نموّاً ورونقاً بتوالي الايام فيُصبح مقصداً لهواة الفن والبحث من سكان بيروت والسياح النازلين فيها . غير اني ما كدت اعتزل امانة دار الكتب حتى توارى ذلك المعرض الطريف عن الابصار . ونُقلت نفائسه الغوالي من مكانها فحُشرت في غرفة بعيدة عن محور الشغل لا يُسمح لاحد ان يدنو منها او يدخلها . ولستُ ادري وجه الحكمة في هذا التدبير الذي لا يُقرّه مَن اتّصف بدقة النظر واصالة الرأي وتعزيز الفن . لاننا بينما نشاهد دوَل المعمور تتباهى بمعارضها وتتبارى في تنظيمها وانماء ثروتها نرى القائمين بشؤون هذا المعرض البيروتي الوحيد يُعرضون عن تحسينه ولا يكترثون لانمائه وصيانة كنوزه .

وغير خافٍ ما نجم بسبب ذلك من الاساءة الى العلم والاجحاف بمصلحة

الدولة . فقد اثار ذلـــك الاهمال حفيظة الادباء وثبّطهم عن مواصلة الاهتمام بالمشاريع الادبية . فكان الاحرى بامناء دار الكتب ان يحافظوا على هـــذا المعرض ويجتهدوا في ازدياد تحفه وُطرَفه ضناً بكرامة الامّة واعلاءً لشأن الوطن . فيحق لهم حينئذ ان ينشدوا مع الشاعر :

تلك آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدَنا الى الآثارِ

الفصل العاشر

رسوم نوابغ العلماء وارباب الفن في دار الكتب

تفرّدت المكتبة اللبنانية دون سائر مكتبات الشرق بما ازدانت به من رسوم اركان النهضة الادبية منــــذ القرن السابع عشر حتى القرن العشرين . فخلّدنا ذكراهم بتلك الرسوم ودبّجنا بها جدران مِدْرس المكتبة واروقتها تعظيماً لِمن تمثلهم وحضاً للخلف على الاقتداء بالسلف .

ابتكرنا نحن فكرة تلك الرسوم وتعمّقنا في درسها وابرازهـــا الى حيّز الوجود . ثم كلّفنا مشاهير الفنانين اللبنانيين دون سواهم في الوطن والمهجر ان يتولوا تصويرها بالزيت واوعزنا اليهم ان تكون ذات قياس واحد . وبعد انتهاء العمل طبقاً للخطة التي رسمناها وضعنا كلّاً من تلك الرسوم ضمن اطارٍ ذي طراز واحد. فجاءت بمجموعها معرضاً قومياً مهيباً يمثّل اقطاب علماء لبنان بريشة فنّاني لبنان على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ومراتبهم . والله سبحانه وتعالى يعلم مـا تكلفناه من التضحية والعناء والتفتيش للظفر ببعض تلك الرسوم .

ثم اننا زيّنا صدر المِدْرس بصورة رئيس الجمهورية اللبنانية يعلوها شعار الارزة . وجعلنا الى يمينها صورة الامير المجيد فخر الدين المعني الثاني والى يسارها صورة الامير الكبير بشير الشهابي الثاني يلمع فوق كل منهما سيف الامارة .

بلغ مـــا استصنعناه من الرسوم الزيتيّة نحو الستين رسماً تمثلّ ستّين عالماً من نوابغ الأمّة وأهديناها الى المكتبة . وهناك بعض رسوم أوعزنا الى فريق من ذوي الاريحيّة والفضل فاتحفوا بها المكتبة . وفي صنعنا هذا كلهِ لم نحمّل الخزانة اللبنانية غرشاً لبنانياً واحداً .

اليك بعد هذا الشرح اسماء اصحاب تلك الرسوم نسّقناها فئةً فئةً وفقاً لِما اشتهر به كل منهم في حقل العلم . واضفنا الى اسمه سنتَي ولادته ووفاته . فذكرنا السنين الهجرية بجانب العلماء المسلمين والسنين الميلادية بجانب العلماء المسيحيين . واثبتنا شيئاً مما تفرّد به بعضهم لزيادة التنويه بمزيته العلميّة او الفنيّة :

اولا – اللغويّون

المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠ – ١٧٣٢) صاحب التصانيف العديدة في كل علم ومطلب . احمد فارس الشدياق (١٨٠٤–١٨٨٧م) (١٢١٩–١٣٠٥هـ) الذي طبّق ذكره الخافقين . الشيخ يوسف الاسير (١٢٣٠–١٣٠٧) اللغويّ والشاعر والفقيه . الشيخ ابرهيم اليازجيّ (١٨٤٧–١٩٠٦) امام اللغة والشاعر والمصوّر والحفّار والمخترع . ومما يجدر ذكره عن براعة الشيخ ابرهيم اليازجي في التصوير ان رسمه المنصوب في دار الكتب هو من صنع يديه وقد اهداه الينا في حال حياته فاهديناه بدورنا الى دار الكتب . الشيخ سعيد الشرتوني (١٨٤٩ – ١٩١٢) واضع معجم « اقرب الموارد » . جبرائيل القرداحي (١٨٤٥ – ١٩٣٣) صاحب معجم « اللباب » وغيره . الشيخ عبدالله البستانيّ (١٨٥٤ – ١٩٣٠) رئيس المجمع العلميّ اللبنانيّ وواضع معجم « البستان وحديقة البستان وغيرهما » . الاستاذ جبر ضومط (١٨٥٩ – ١٩٣٠) اللغويّ والفيلسوف . الاب لويس معلوف (١٨٦٧ – ١٩٤٥) صاحب معجم « المنجد » .

ثانياً – المؤرخون

البطريرك اسطفان الدويهيّ (١٦٦٧ – ١٧٠٤) امام المؤرّخين الموارنة . نوفل نوفل (١٨١٢ – ١٨٨٧) المؤرخ والفيلسوف والقانونيّ . المطران يوسف الدبس (١٨٣٣ – ١٩٠٧) المؤرخ وصاحب التآليف العديدة . الاب لويس شيخو (١٨٥٩ – ١٩٢٧) المؤرّخ والنقّاد والصحافيّ والخطيب والرحّالة . جرجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤) المؤرّخ والصحافيّ والروائي .

ثالثاً — الاطباء

الدكتور ميخائيل مشاقه (١٨٠٠ — ١٨٨٨) الطبيب والموسيقي والمؤلف الجدليّ والمؤرخ اللبناني . الدكتور يوسف الجلخ (١٨٤٤ — ١٨٨٩) الطبيب والاديب . الدكتور بشاره زلزل (١٨٥١ — ١٩٠٥) الطبيب والخطيب واللغويّ والشاعر والصحافي والمؤلف .

رابعاً — الرياضيون والفلاسفة

الشيخ ابرهيم الحورانيّ (١٨٤٤ — ١٩١٦) اللغويّ والفيلسوف والخطيب والشاعر والرياضي والصحافيّ . الاستاذ جرجس همّام (١٨٥٦ — ١٩٢١) الرياضي واللغويّ . امين الريحانيّ (١٨٧٦ — ١٩٤٠) الفيلسوف والخطيب والناقد .

خامساً — الشعراء

الخوري نقولا صائغ (١٦٩٢ — ١٧٥٦) الشاعر والواعظ . الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ — ١٨٧١) امام اللغة العربية ومؤسس النهضة العلميّة في زمانه ومؤلف كتاب « مجمع البحرين » وكثير من كتب اللغة ودواوين الشعر. الكنت رُشيد الدحداح (١٨١٣ — ١٨٨٩) الشاعر والمؤرخ واللغويّ . الشيخ ابرهيم الاحدب (١٢٤٢ — ١٣٠٨) واضع المؤلفات الشعرية والادبية والمسرحية وناسخ المئات من الكتب المخطوطة . الشيخ قاسم الكستيّ (١٢٥٦ — ١٣٢٧) الشاعر والقانونيّ .

سادساً — الصحافيون

خليل افندي الخوري (١٨٣٦ — ١٩٠٧) مؤسس الصحافة اللبنانية والشاعر والسياسي . الشيخ عبد القادر قبّاني (١٢٦٥ — ١٣٥٤) مؤسس الصحافة الاسلامية في بيروت . سليم البستاني (١٨٤٨ — ١٨٨٤) المؤرخ والصحافي

وشريك والده المعلم بطرس في موسوعة « دائرة المعارف » . سليم بك تقلا (١٨٤٩ – ١٨٩٢) وشقيقه بشاره باشا تقلا (١٨٥٢ – ١٩٠٢) مؤسسا جريدة « الاهرام » الشهيرة في مصر . اديب اسحق (١٨٥٦ – ١٨٨٥) الخطيب والصحافي في بيروت ومصر وباريس . نعوم مكرزل (١٨٦٣ – ١٩٣٢) مؤسس اعظم جريدة عربية في اميركا الشمالية . داود بركات (١٨٦٧ – ١٩٣٣) شيخ الصحافة المصرية . الشيخ احمد حسن طبّاره (١٢٨٩ – ١٣٣٤) الصحافيّ الشهيد.

سابعاً – المحدّثون وعلماء الشرع

الشيخ مصطفى نجا (١٢٦٩ – ١٣٥٠) مفتي بيروت . الشيخ احمد عباس الازهري (١٢٧٠ – ١٣٤٥) منشىء الكلية الاسلامية . الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ – ١٣٥٤) صاحب التصانيف العديدة ومنشىء مجلة « المنار » .

ثامناً – المترجمون

شاكر شقير (١٨٥٠ – ١٨٩٦) الشاعر واللغوي ومعرّب المقالات الوافرة في « دائرة المعارف » البستانية وفي معجم « آثار الادهار » . سليمان البستاني (١٨٥٦ – ١٩٢٥) معرّب الياذة هوميرس شعراً والوزير العثماني ونائب رئيس مجلس المبعوثان في اسطنبول .

تاسعاً – المحامون وعلماء القانون .

امين الشميّل (١٨٢٨ – ١٨٩٧) الشاعر والمؤرخ والصحافي والمحامي ومؤلف الكتب العديدة . سليم باز (١٨٥٩ – ١٩٢٠) مترجم التصانيف القانونية عن اللغة التركية .

عاشراً – المصوّرون .

داود القرم (١٨٥٠ – ١٩٣٠) عميد المصورين اللبنانيين . جبران خليل

جبران (١٨٨٣ – ١٩٣١) المصوّر والاديب .والموسيقي وواضع التصانيف العديدة .

حادي عشر – المهندسون .

بشاره افندي (١٨٤١ – ١٩٢٥) اوّل مهندس في الديار اللبنانية وواضع التصاميم لاشهر السرايات والدور وباني الطرق الرئيسية في لبنان وسوريا .

ثاني عشر – المخترعون .

كامل الصبّاح العامليّ (١٣١٢ – ١٣٥٣) المخترع في الحقل الكهربائيّ .

ثالث عشر – مشاهير فنّ الطباعة .

عبدالله زاخر (١٦٦٠ – ١٧٤٨) المؤلف الجدليّ واحد مؤسسي الطباعة اللبنانية .

رابع عشر – النوابغ في شتى العلوم .

المعلّم بطرس البستاني (١٨١٩–١٨٨٣) صاحب المعاجم وموسوعة « دائرة المعارف » والصحافي ومؤسس المدرسة الوطنية وغيرها من الآثار . المطران اقليميس يوسف داود (١٨٢٩ – ١٨٩٠) صاحب التصانيف المختلفة اللغات والمواضيع وعددها ٩٧ مجلداً (راجع جدولها في كتابنا القلادة النفيسة) .

خامس عشر – رؤساء الجمعيات الادبية والمجامع العلمية .

الحاج حُسين بيهم (١٢٤٩ – ١٢٩٨) رئيس « الجمعية العلمية السورية » في بيروت وعضو مجلس المبعوثان في اسطنبول . وديع عقل (١٨٨٢ – ١٩٣٣) اللغوي والشاعر والصحافي ورئيس المجمع العلمي اللبناني .

سادس عشر – النساء الاديبات .

وردة اليازجي (١٨٣٨–١٩٢٤) الشاعرة والاديبة . مي زيادة (١٨٩٥–١٩٤١) الخطيبة والشاعرة والصحافية .

سابع عشر – امناء دور الكتب اللبنانيون في اوربا .

المطران يوسف شمعون السمعاني الماروني (١٦٨٧ – ١٧٦٨) امين المكتبة الواتكانية . المطران اسطفان عوّاد الماروني (١٧٠٩ – ١٧٨٢) امين المكتبة الماديشية في فلورنسا ثم امين المكتبة الواتكانية . القس الياس شدياق السرياني (١٧٥٠ – ١٨١٨) امين مكتبتَي مدريد والاسكوريال الملكيتين في اسبانيا . وكان ثلاثتهم من ارباب الاثار العلمية الذين تغني شهرتهم عن وصفهم .

ثامن عشر – علماء المشرقيات .

الدكتور كرنيليوس فَنْدَيك (١٨١٨ – ١٨٩٥) . الدكتور الجرّاح جورج بوست (١٨٣٨ – ١٩٠٩) . كلاهما من اميركا الشمالية وقد خلّفا في اللغة العربية تصانيف لم يسبقهما اليها احد من الناطقين بالضاد .

تاسع عشر – نوابغ اللبنانيين في نظم الشعر الفرنسي .

شكري غانم (١٨٦١ – ١٩٢٩) مؤلف الكتب التاريخية والادبية وناظم رواية عنتر التي مُثّلت على مسرح الاوبيرا بباريس وعلى مسرح الاوبيرا في القاهرة . ونائب رئيس المؤتمر العربي في باريس عام ١٩١٣ .

ويجدر بالذكر ان الحصول على رسوم هؤلاء الاعلام لم يكن من الامور الهينات وقد تكبدنا لذلك مصاعب جمة نورد منها على سبيل المثال ما تكبدناه لاحراز رسم العلامة الشيخ ابرهيم الاحدب . ولما كان هذا الشيخ لم يتصور في حياته قط لجأنا الى طريقة طريفة للفوز بهذه الامنية وهي :

لما توفي الوجيه الحاج حسين بيهم سنة ١٢٩٨ مرّ موكب الجنـازة بسوق الطويلة في طريقه من الجامع العمري الى جبانة السنطية . وكان يقيم حينذاك في احد منازل السوق المذكورة المصور الشهير جيانللي الذي ادهشته عظمة تلـك الجنازة فخطر بباله ان يلتقط صورة الموكب من ثغرة في نافذة مغلقـة في منزله دون ان يعلم به احد لان التصوير لم يكن مألوفاً لدى المسلمين في ذاك العهد . ونظراً لوجاهة آل بيهم كان من البديهي ان يشترك الشيـخ ابرهيم الاحدب في تشييع جنازة صديقه المشار اليه . وقد مرت الايام والاعوام على هـذا الحادث الذي بقي مكتوماً وقد علمته من المرحوم والدي الذي بلغـه ذلك من المصور المذكور .

ولما اردنا نصب رسم الشيخ ابرهيم الاحدب في دار الكتب وتعذر علينـا الحصول على رسمه عادت الينا ذكرى حادث المصور جيانللي الذي وافته المنية قبل اعوام . فقصدنا ابنته الوحيدة ارملة انيبال ابيلا وسألناها اذا كانت محافظة على مخلفات والدها فاجابتنا انها لا تزال تحرص عليها . وبناء عليه طلبنا منها ان تفتش لنا عن زجاجة صورة موكب الجنازة ونفحناها بليرتين ذهبيتين عثمانيتين فاجابتنا الى سؤالنا وسلمتنا الزجاجة .

ولما كان رسم الشيخ ابرهيم الاحدب صغير الحجم في الزجاجـة اضطررنا ان نكبره مرة بعد مرة . هكذا توصلنا للحصول على الرسم المنشود ثم كلفنا المصور الزيتي حبيب سرور الذي كان يعرف الشيخ ابرهيم تمام المعرفة في حال حياته ان يقوم بوضع الرسم المذكور الذي يشاهد اليوم في دار الكتب .

ذلك مثال فرد من امثلة شتى توضح جلياً ما تجشمناه من اتعـاب وجهود للفوز بوهط وافر من رسوم المكتبة .

الفصل الحادى عشر

سعى البعض بنزع رسوم دار الكتب

بعد ما اكتمل عقدُ الرسوم الذي نظمناه وطوقنا به جيد دار الكتب اللبنانية، وبعدما اعتزلنا العمل فيها بداعي الشيخوخة راح البعض ينتقدون تلك الرسوم ويقترحون نزعَها من اماكنها مدّعين انها غير ذات فائدة . وان فريقاً من الذين تمثلهم ليسوا بِمن يحق لهم ان يتصدّروا هذا المحفل الكتابي الوطني .

كاد يموّه هذا الاقتراح على بعض رجالات لبنان الرسميين غير ان اهل الحصافة منهم ثارت حفيظتهم وهبّوا يعارضون ذلك الاقتراح ويستنكرونه . وأمروا بالمحافظة على تلك الذخائر الفنية والتاريخية التي رفعت شأن المكتبة وعزّزتها .

فالعلماء الذين تمثلهم رسوم دار الكتب قد استعرضناهم فرداً فرداً في الفصل السابق. ومن ذلك الاستعراض يتجلى ما لكل منهم من الشأن والشهرة والمقام الرفيع في عالم الثقافة على اختلاف درجاتها ومناحيها. دَعْ ما لهم من تراجم ضافية وافية في كتب التواريخ والموسوعات والمجموعات وفي المجلات والصحف بما لا يترك مجالاً للارتياب في مكانتهم الادبية وفضلهم في دائرة اختصاصهم لا على لبنان فقط بل على سائر الاقطار الشرقيّة . وعُنينا نحن بتدوين اخبارهم وآثارهم في كتاب خاص تنويهاً بمفاخرهم. وقد ساقتنا الحميّة القوميّة ان ننظم في ذلك العقد النفيس صُوَرَ نوابغ لبنان الذين نتباهى بهم ونعتز بالانتماء اليهم ونتغنّى بمآثرهم على حدّ قول الشاعر :

اولئك آبائي فجئني بمثلهم　　اذا جمعَتْنا يا جريرُ المجامعُ

كنّا مصمّمين ان نضمّ الى تلك الصّوَر صُوَراً غيرها لرهط آخر من جهابذة لبنان تعظيماً لقدرهم وتخليداً لذكراهم . بيد ان اعتزالنا دار الكتب مَنَعنا عن تذوّق تلك اللذة الشهية . وقد ازداد ألمنا لِما انتاب تلك النهضة المباركة من جمود نأمل لها بعده انبعاثاً وازدهاراً .

وبين ايدينا شهادات صريحة كتبها فريق من الادباء في وصف تلك الرسوم واربابها الميامين . قال صاحب جريدة « البيرق » بتاريخ ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٧ تحت عنوان « اجمل مشروع وطني ثقافي تمّ في لبنان » ما نصه : « شاء الكنت طرّازي ان يزيّن جدران دار الكتب بمجموعة نادرة من رسوم اركان النهضة الادبية والعلمية التي اضاءت جوانب الشرق ومن رسوم كبار علماء هذه الديار في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين . فحوّل جدران صالون المكتبة الكبير الى معرض حيّ لرجال يسمع الناس بهم وتنشر الاقلام اسماءهم في مناسبات عدّة وليس بيننا مَن تشرّف بمعرفة العدد الاكبر منهم . فكان لوضع رسوم هولاء الراحلين في هذه الدار واجتماعهم بين خزائنها اجمل فكرة واسمى مقام ... ويحق للحكومة ان تعتز بوجود هذه الدار الثمينة الصامتة بين ممتلكاتها ... ان هذه الدار دار العلم والثقافة تبيّض وجه لبنان ! » .

ونردف تصريح صاحب « البيرق » بتصريح صاحب جريدة « الجمهور » في ٢١ حزيران ١٩٣٧ قال : « انْ ننسَ لا ننسى صور الادباء اللبنانيين التي تزيّن قاعة الشرف في دار الكتب . اولئك الادباء العلماء الذين نهضوا بالآداب العربية ونشروها وادخلوا اسمهم في الآداب الاجنبية . بينهم علماء علّموا في كليات باريس وروما ونظّموا مكاتب الفاتيكان والاسكوريال فرفعوا اسم لبنان . وجدير بنا ان نحيّي همّة وثقافة الفيكونت دي طرّازي الذي بنى مكتبة عامرة تُعد اليوم بفخر من خيرة المكاتب وانفعها ! » .

ومن اروع وابدع ما قيل عن رسوم دار الكتب عبارة خالدة يطيب لنا ان

نجعلها مسك الختام لهذا الفصل . وقد ادلى بها علامتنا اللبناني الكبير الدكتور فارس نمر باشا يوم تعهد المكتبة هو وحاشيته في ١٧ آب ١٩٣٧ . فانه ما كاد يلقي لحظة على تلك الرسوم حتى اندفع يجاهر قائلاً : « ان لدار الكتب اللبنانية مزيّة تفردت بها دون غيرها من المكتبات . فان ارواح نوابغ الوطن البارزة رسومهم ههنا ترفرف في جوانبها وتشرف على الغادين والرائحين . فاذا عُدّت جميع مكتبات العالم صامتة فدار الكتب اللبنانية وحدها تُعد ناطقة ! » .

الفصل الثاني عشر

تأثير دار الكتب الادبي والمادي

احدثت دار الكتب اللبنانية في الشبان تأثيراً شديداً ملك علـى عقولهم وقلوبهم . فانمت ثقافتهم وحرصت على سلامة اخلاقهم ومهّدت لهم السبل لبلوغ ما يصبون اليه عن طريق العلم .

ومن محامد دار الكتب انها اصبحت عاملاً يقظاً انقذ اولئك الشبـان من حبائل البغاء او المقامرة او معاقرة الخمرة . وردعت الكثيرين منهم عن ارتيـاد الاندية العامة التي تفسد الآداب وتفني الاموال وتقوّض بيوتات الشرف الرفيعة العماد . وبين اولئك الشبان قوم حاروا في امرهم ولم يهتدوا الى سبيل يضمن لهم مستقبلهم في الحياة . فاستدركت ذلك كله امـانة المكتبة ونهجت لهم منهاجاً يسيرون فيه سيراً مطمئناً . وبهذه الوسيلة ضمنت النجاح لعدد وافر ممن نبغوا في مختلف المهن كالهندسة والطب والزراعة والصناعة والفنون الجميلة وغيرها . وهذا يعود الى خطة سديدة ارشدتهم اليها دار الكتب فأثرت تأثيرها في اذهان الشبان فجنوا منها انضج الثمار . واعتقد انه لولا اهتمام ادارة المكتبة بهم لامسوا بليّة على آلهم وبلادهم وعلى الانسانية معاً .

هكذا كان التوفيق حليفاً لدار الكتب في اعمالها ومساعيها . فكان يرتادها الزوّار من اكثر طبقات الامة ولاسيما حمَلة الاقلام والاساتذة وطلبة الجامعات ورهط من الغرباء النازلين في بيروت . نخصص بالذكر منهم الاستاذ حسن عثمان احد خرّيجي كلية الآداب في الجامعة المصرية . فقد اختلف مراراً عديـدة الى دار الكتب اللبنانية ونقل عن كتبها ومخطوطاتها ما شاء ان ينقله . وقبل عودته الى مصر اثبت في السجل الذهبي ما نصه :

« كان لي حظ العروج على دار الكتب الكبرى للارتشاف من منهلها العلمي الفيّاض لاعداد رسالتي التي اقدمها لكلية الآداب بالجامعة المصرية عن الامير فخر الدين المعني الكبير . فلقيت من حضرة الاستاذ العـــلامة الفيكونت فيليب دي طرّازي كل رحابة وعناية ورعاية للبحث العلمي الخـالص وَخبرتُ جهوده الصادقة في سبيل الشرق الناهض ورغبته الاكيدة لتوطيد الصلات الوثيقة بـين ابنائه . واني لاذكر ايامي السعيدة التي قضيتها بهذا المعهد بكل اجلال » .

٢٤ – ٨ – ١٩٣٣ حسن عثمان
طالب بكلية الآداب بالجامعة المصرية

وممّـن اختلف الى دار الكتب من الطلاب السيد عادل ابن الشيخ عبد الكريم ابي النصر نقيب اشراف بيروت . فانّنا لما اختبرنا ذكاءه ونجابته نشطنـــاه الى درس فنّ الزراعة وصرّحنا له بشدة احتياج بلادنا الى رجال يتخرجون في هذا الفن . انطلق الشاب عادل الى تونس وفرنسا حيث اتقن الفن المذكور واحرز الشهادة الرسمية . وعند عودته الى الوطن ظل يتردد على دار الكتب مستكملاً علومه الزراعية حتى اصبح فيها ممن يشار اليه بالبنان واليـك ما دوّنه بتـاريخ ٦ ايلول ١٩٣٣ في سجل المكتبة الذهبي قال :

« اني تردّدت منذ اعوام شتى على دار الكتب الكبرى في بيروت . وذلك قبل سفري لتحصيل العلم الزراعي في اوربا وبعد رجوعي الى الوطن ... وكان ترددي على هذا المعهد للاستفادة من الكنوز التي يشتمل عليهـــا ولاسيا في علم الزراعة . لان هذا القسم في دار الكتب يُعد من اوسع الاقسام العلمية .

ولا اخال احداً يجهل ما تشتمل عليه دار الكتب الكبرى من الاسفار الزراعية على اختلاف فنونها وفروعها . واستطيع القول ان القسم الزراعي فيها يُعد اهم مرجع في جميع الديار الشرقية لطلاب هذا الفن ، واذا قلت ذلك فاني اقوله عن يقين ومعرفة وخبرة . ولا ريب في ان الفضل في تكوين القسم الزراعي وتنشيط

الطلاب لارتياد هذا الفرع المفيد لبلادنا والاستفادة من كنوزه الثمينة عائد الى همّة حضرة الوطني الجليل والكاتب المفضال الكونت فيليب دي طرّازي مؤسس دار الكتب الكبرى في بيروت . ولا ريب في ان التاريخ سيخلّد له هذا العمل الخطير الذي ضحّى في سبيله بالنفس والنفيس حباً للوطن واعلاء لشأن العلم .

٦ ايلول ١٩٣٣ المهندس الزراعي
عادل ابو النصر

وناهيك ان طلاب العلم في العاصمة اللبنانية يُعدّون بعشرات الالوف وأغلبهم من انصار دار الكتب ومريديها والمستفيدين من ذخائرها . وقد ناهز عدد اولئك الزوّار مائة في اليوم بل بلغوا احياناً مائة وخمسين او اكثر من ذلك . وخلاصة الكلام ان هذه الدار ليست مركزاً للثقافة فقط بل معقلاً حصيناً للاداب ايضاً . وقد اتخذهـا ارباب الحصافة مرجعاً يجنون منه ثمرات الحكمة ويعتمدونه في مطالعاتهم وابحاثهم . واليك ما كتبه احد حَمَلة الاقلام الى منشىء مجلة « الفنون الجميلة » بتاريخ ١ آب ١٩٣٧ قال :

« اذا صح اني فهمتُك فأنت متحدّث في صحيفتك عن أشيـاء وأشياء منها المكتبة الوطنية . فأكثِر من الاشارة بمثل هذه المؤسسات الصامتة المملوءة حكمة ، المملوءة منافع ، المملوءة فوائد يجنيها العموم . وقدّم مؤسس المكتبة الوطنيـة الفيكنت طرّازي مَثَلاً اعلى للوطنية العاملة المجاهدة الصحيحة . ولو ان رجالنا المتصدّرين عملوا في حقل الوطنية مثل ما عمل الفيكنت او نصف ما عمل لكنا في وطن يشار اليه بالبنان ويتّخذ قدوة في اقطار المعمور ! » .

وكتب صاحب جريدة « المصري » في ٢٤ مايو ١٩٣٧ قال :

« زرتُ هذه المكتبة في اثناء وجودي في عاصمة القطر الشقيق فاذا هي تزخر بالكتب النفيسة التي جُمعت من مختلف الاقطار وبجميع اللغات ... ويشرف على دارة هذه المكتبة رجل له فضل كبير على العلم والادب والثقافة في لبنان وهو

حضرة الفيكونت فيليب دي طرازي . ولولا هذا الرجل لمـّا كانت المكتبة . فهو الذي انشأها وهو الذي كرّس لها كل وقته وضحّى في سبيلها بما ضحّى لكي تكون في مستوى اكبر دور الكتب في اشهر عواصم العالم . وقد دهش الذين يعرفون الفيكونت دي طرّازي لاقدامه على هذا المشروع الجريء مشروع انشاء دار للكتب . فمثلها من المشاريع لا يقوم بها الافراد وانما تقوم بها الجماعات والحكومات » .

وكتبت جريدة « الشعلة » في ١٣ حزيران ١٩٣٧ :

« لا يجهل احد ان الفيكونت فيليب دي طرّازي ضحّى بالشيء الكثير من وقته ومن ماله في سبيل هذه المكتبة التي تُعدّ بحقٍ مفخرة من مفاخرنا الادبية ورمزاً الى النهضة العلمية في الشرق . والنشء الجديد مدينٌ له بالكثير الكثير من انتاجه ونشاطه ورقيّه ... »

الفصل الثالث عشر

موظفو دار الكتب

كان عدد الموظّفين في دار الكتب ثمانية فقط لدى تأسيسها . يُضاف اليهم تاسع بوظيفة معاون وقد مرّ ذكر اسمائهم في الفصل الثاني . وكان ذلك العدد يتلاءم واشغالها في حقبتها الاولى : فاننا اقمنا احدهم لدرس الكتب العربية وتسجيلها . واقمنا ثانيهم لدرس الكتب الافرنجية وتسجيلها . وفوّضنا الى الثالث كتابة ما ننشئه من التقارير والرسائل . وخصّصنا الموظف الرابع بترتيب الكتب والعناية بنظافتها والحرس عليها من التلَف والغبار والرطوبة وسائر الآفات . وجعلنا الموظّفين الخامس والسادس والسابع لملاحظة الزوار وخدمتهم والمحافظة على النظام الداخلي وتقديم الكتب للقراء . واقمنا الثامن معاوناً لمسجل الكتب الفرنجية لوفرة عددها .

وعلى كرور الايام ازدادت الكتب وتضاعف عدد الوافدين الى المكتبة . فتوفرت الاشغال حتى اصبح عدد الموظفين غير كافٍ للقيام بها . الا انه على رغم ازدياد الاعمال في دار الكتب اضعافَ اضعافِ ما كانت عليه في اول عمرها . وعلى رغم ازدياد علاقاتها بالبلدان القريبة والبعيدة . وعلى رغم اتساع نطاق دوائرها في البناية الجديدة . وعلى رغم ما كتبناه من التقارير السديدة العديدة الى مديرية المعارف في هذا الصدد فان عدد الموظفين العاملين في الحقل العلمي بدلا من ان يزداد بازدياد الشغل قد تدنّى ونقص وتضاءل . هكذا اصبح الموظفون في وقت من الاوقات ثلاثة فقط وهم : الاساتذة ابرهيم معوّض واديب عقل وفؤاد حدّاد.

يؤيد ذلك ما نشره مندوب جريدة « Le Jour » بتاريخ ١٦ تموز ١٩٣٦ قال ما تعريبه : « تجلّت لي مراراً همّة الفيكنت دي طرازي في دار الكتب .

وعاينت نشاط موّظفيها الثلاثة الرازحين تحت اعباء المصلحة وهم ينهضون باشغال لا ينهض بها خمسة عشر موظفاً في السراي اللبنانيـــة . ومن الثابت ان عددهم ضئيل غير كاف للقيام بكل اشغال المكتبة. ذلك كله على رغم حرمانهم الرخص الادارية الممنوحة لسائر موظفي الدولة . اما الفيكنت البالغ من العمر اكثر من سبعين سنة فانه مكبّ دائماً على العمل بهمة الشباب لا يكترث للنكبـات التي اصطدم وما انفك يصطدم بها كل يوم . بل يجد ويجهد بلا انقطاع في نجـاح دار الكتب التي هي صنيعته . وسيبقى اسمها مشفوعاً باسمه الى ما شاء الله تعالى ! » .

وقد ابدى غير واحد من الادباء الذين زاروا دار الكتب فرط اسفهم عـلى قلة موظفيها . نذكر منهم الاستاذ محمـد نقاش فانه كتب في جريدة « صوت الاحرار » بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٣٧ ما نصه : « لقد لاحظنا في اثناء زيارتنا لدار الكتب ما يكاد يكون قحطاً في الموظفين : اذ ليس هناك الا اربعة عدا امـين المكتبة » .

الفصل الرابع عشر

احصاء مجلدات دار الكتب والعناية بتجليدها

انطوت دار الكتب في عهد تولّينا امانتها على اثنين وثلاثين الف مجلد . منها ثلاثة آلاف فقط دفعت الحكومة اثمانها بينها الف مجلد اشتريناها من ورثة مراد بك البارودي . وقد احصينا ما احرزناه نحن من المجلدات على سبيل الهدايا احصاء دقيقاً فبلغ مجموعه تسعة وعشرين الف مجلّد (١) .

قالت جريدة « ارزة لبنان » بتاريخ ٢١ شباط ١٩٣٧ ما نصه : « علمنا ان مكتبتنا الوطنية تحوي الان ٣٢ الف مجلد . منها ٢٩ الف مجلد استحصلها سعادة الفيكونت دي طرّازي بمسعاه شخصياً . . . والثلاثة الاف الاخرى انفقت ثمنها خزانة الدولة . وعلى هذا يكون سعادة الفيكونت ادى لمعارف البلاد ٩٠ بالمائة مما قامت به مديرية المعارف في هذا السبيل . ومعلوم ان خزانة الدولة تنفق مرتّبات لموظفي مديرية المعارف ما لو انفقته في تعزيز عمران مكتبتنا العامة ومعارفنا لسيرنا بلا شك شوطاً قصياً في ميدان الثقافة » .

وتُقسم محتويات دار الكتب قسمين : المطبوعات والمخطوطات . فالمطبوعات وعددها اثنان وثلاثون الف مجلد تحتوي على اهم العلوم البشرية قديمها وحديثها . منها تآليف نادرة قل ما تجد لها نظيراً في المكتبات الكبرى : بينها ثلاث عشرة مجموعة يتراوح عدد مجلدات كل منها بين المائة والمائتي مجلد . وست وعشرون مجموعة يتراوح عدد مجلدات كل منها بين الخمسين والمائة .

(١) يدخل ضمن هذا العدد خمسة الاف وستمائة مجلد نقلناها الى المكتبة من خزائننا الخاصة .

اما المخطوطات فلا يبلغ عددها اكثر من ثلاثمائة واربعة واربعين مجلداً تشتمل على شتى العلوم كالتاريخ والطب والفلك والادب والدين والشرع والكيمياء الخ . وبين تلك المخطوطات ما هو مكتوب على رقّ الغزال او مزيّن بالزخارف النفيسة والصور البديعة مما اتحفنا به دار الكتب او اقتنيناه لها .

وقد استغربنا كثيراً ما نشرته جريدة « الاوريان » الفرنسية (١) بعنوان « في مملكة المخطوطات » . فالمعت هذه الجريدة الى قسم المخطوطات في دار الكتب اللبنانية وتحدّثت عن القائم بادارته الان ناسبة اليه ما لا يطابق الحقيقة . ويا ليت كاتب تلك المقالة تحرّى الحقائق من مصادرها قبل القاء الكلام على عواهنه مما جعل القراء يرتابون في صحّة كلامه فضلاً عن استنكار مدير قسم المخطوطات عينه ما نُسب اليه غلطاً . فان الكاتب جعل عدد المخطوطات الفاً وهي في الحقيقة والواقع لا تتجاوز ٣٥٠ مخطوطاً . اضف الى ذلك كثيراً من المغالطات والمبالغات التي يستنكرها العقلاء ولا يقرّها اهل المعرفة .

ثم بحثنا بحثاً متواصلاً عن مخطوطات قديمة نضيفها الى ثروة دار الكتب نباري بها مكتبات القاهرة وبغداد ودمشق فضلاً عن المكتبة الشرقية ومكتبة الجامعة الاميركية ببيروت ومكتبة دير الشرفة بلبنان والمكتبة المارونية بحلب . وبعد جهود مستمرّة عثرنا عند احد هواة الكتب على مائة وستين مخطوطة لمحنا فيها غرائب وفرائد هي وحيدة نوعها باشكال خطوطها وتعدّد مواضيعها ولا يخلو بعضها من تصاوير ظريفة ونقوش طريفة . وقد انفق صاحبها العلامة في اقتنائها اكثر من اربعمائة ليرة ذهبية بموجب لائحة اسعار مفصّلة فعرضنا عليه ان يبيعنا اياها باسم دار الكتب .

وبعد التداول مع صاحب المخطوطات المشار اليه ومع وزارة التربية الوطنية (المعارف) عُقدت لجنة من جلّة علماء بيروت مسلمين ومسيحيين اجتمعوا خمس

---

(١) جريدة الاوريان في بيروت : سنة ٢٠ رقم ٥٧٠٥ تاريخ ٢٣ اذار ١٩٤٦

مرّات في دار الكتب واشرفوا على تلك المخطوطات واحدة فواحدة . وقدروا قيمتها مائة ليرة وليرتين من الليرات العثمانية الذهبية . ثم كتبوا محضراً في ذلك وامضوه بتواقيعهم في ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٧ . فراجعنا حين ذاك صاحب المخطوطات وكدنا نقنعه بالسعر المذكور حباً لدار الكتب مع اعتقادنا انه مغبون في تخمين اللجنة . وكانت وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة قد اوفدت رئيس ديوانها الفرد شمعون لحضور تلك الجلسات والاشراف على مقررات اللجنة فما كان منه الا انه اوعز الى لجنة التخمين سرًّا ان تخفض الاسعار الى درجة يمتنع البائع عن قبولها ثم ذيل محضراً بخط يده على هذه الصورة « اضع توقيعي على هذا المحضر محتفظاً برأيٍ ابديـــه في تقريرٍ خاص ارفعه الى معالي وزير التربية الوطنية .

٢٤ – ١١ ١٩٣٧ الفرد شمعون

فـــذهبت مساعينـــا ادراج الرياح . وحرمت دار الكتب نفائس ونوادر هيهات يتسنى لها الحصول على مثلها ! !

وعلاوة على ذلك كله وجّهنا الاهتمام الى تجليد جميع ما دخل على المكتبة من كتب ومجلات وجرائد وكراريس على اختلاف حجمها ومواضيعها ولغاتهـــا . وعُنينا خصوصاً بالمحافظة على نظافة محتوياتها وصيانتها من العثّ والرطوبة وسائر الآفات التي تذهب برونق الكتب وتتلفهـــا . وبهذه الوسيلة حرصنا على تلك الكنوز الثمينة وادّينا خدمة جُلّى للادب وللخزانة اللبنانية معاً .

الفصل الخامس عشر

القراء والكتب المستعارة

كان عدد القرّاء ضئيلاً في اول عهد تأسيس المكتبة . ثم اخذ يتزايد شهراً بعد شهر بتزايد عدد الكتب وانتشار اسم المكتبة بين الناس . ولما انتصف العام الثاني من عمرها اخذ القراء يؤمّونها افواجاً حتى ضاقت بهم المقاعد واضطرّ بعضهم احياناً ان يشتغلوا بالمطالعة وهم وقوف على الاقدام .

وكنا ندوّن يوماً فيوماً عدد القرّاء ونقدم بياناً بذلك في تقاريرنا الرسمية التي اعتدنا ان نوجّهها الى وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة في نهاية كل ثلاثة اشهر. وقد اسفر الاحصاء خلال المدّة التي تولينا فيها ادارة المكتبة (١٩٢١ – ١٩٣٩) عن اكثر من مائتين وخمسة وخمسين الف قارىء . بينهم الشيخ والفتى والاستاذ والتلميذ والطبيب والصيدلي والقاضي والمحامي والمؤرخ والصحافي والشاعر والتاجر والمهندس والمصوّر والكاتب والحاسب والزارع والصانع وهلمّ جرّا . وقد لقي هؤلاء ما احتاجوا اليه من الاسفار كلها او اكثرها .

اما ما تداولته ايدي القراء من الكتب فيقدّر في المدة المذكورة باربعمائة وثمانين الف مجلد تقريباً . ويدخل ضمن هذا الاحصاء كتب شتى تعدّد طلبها وتكررت مطالعتها . ذلك ما عدا المجلات العلمية والفنية والادبية التي لا يشملها هذا الاحصاء.

ولما كان فريق من الادباء لا تسمح لهم وظائفهم او اوقاتهم او صحتهم ان يحضروا الى المكتبة في ساعاتها المحدودة للدرس والمطالعة رأت الادارة ان تتساهل معهم وتعيرهم ما يطلبونه من الكتب ليطالعوها في بيوتهم لمدة معلومة . وكانت تأخذ منهم وديعة ماليّة تعادل قيمة المستعار ثم تعيدها اليهم حينما يعيدون اليها

الكتاب . يستثنى منهم موظفو الدولة الذين عفتهم وزارة المعـــارف من دفع التأمين . فجنى بعضهم على المكتبة وتمنعوا من اعادة المجلدات التي استعاروهـــا بموجب وصولات رسمية . وحتى الآن لم تزل تلـك الكتب باقية في حوزتهم لا يعيدونها الى المكتبة ولا يدفعون اثمانها ، ولاجـل ذلك اصدرت المكتبة قراراً بمنع اعارة الكتب لاي كان حرصاً على ثروتها ومنعاً للخلل في ادارتها .

الفصل السادس عشر

المراسلات والتقارير

اخذت دار الكتب اللبنانية منذ بداية امرها تراسل فريقاً من كبار الادباء وارباب المكتبات ورؤساء المعاهد الثقافية والمجامع العلمية واصحاب دور الطباعة والصحافة في انحاء شتى في المعمورة . وجعلت تطلعهم على خبر نشأتها وتطلب منهم ان يعضدوها في مهمّتها . فاسفر هذا التراسل عن انتشار اسمها بين جهابذة العلم واساطين حَمَلة الاقلام في الديار العربية وغيرها . فبادروا الى مساعدتها وتغذيتها بما عندهم من قديم المصنفات وحديثها . واعتمدوا عليها في قضاء مصالحهم كما اعتمدت عليهم في ترويج مصالحها .

استفادت المكتبة البيروتية من تلك المراسلات فوائد جمة عادت عليها بالنفع والبركة . وحصّلت بتلك الوسيلة قسماً غير يسير من محتوياتها بمثابة هدايا . اما عدد الرسائل التي وجّهتها دار الكتب بادارتنا مدة تسعة عشر عاماً (١٩٢١–١٩٣٩) الى مختلف البلدان فاوفى على عشرة آلاف رسالة في اللغة العربية واللغات الاوربية .

ولا يدخل تحت هذا الاحصاء ما انشأناه من التقارير الرسمية التي كتبناها في مواضيع شتى وبعثنا بها الى دوائر الحكومة اللبنانية . وقس على ذلك تقارير عديدة وجّهناها الى المجامع العلمية والمعاهد الادبية .

هكذا شاع وذاع اسم دار الكتب فازدادت علاقاتها وتوثقت عراها مع كبار العلماء والمؤلفين واصحاب المكتبات الشهيرة شرقاً وغرباً .

الفصل السابع عشر

الاسئلة واجوبتها

رحبت دار الكتب بكلّ ما وجّه اليهـــا من الاسئلة العلمية والتاريخية والادبية والفنية فبادرت الى الجواب عليها بدقة وارتياح . وانطوى اغلبها على مواضيع كنا نضطرّ للجواب عليها ان نراجع ما نعرفه نحن من التآليف المطبوعة والمخطوطة التي طرقت ذلك الموضوع . وكنا نستقصي البحث والتنقيب ليـــأتي الجواب وافياً شافياً من جميع مناحيـه . ولدينا رسائل كثيرة تُعرب عن رضى السائلين وعن اقتناعهم بما كتبناه لهم من الاجوبة السديـــدة في شتى المواد التي كلّفونا بها .

على هذه الخطة سارت دار الكتب خدمة للعلم وتنشيطاً لروّام البحث حتى اربى عدد اجوبتنا على الثلاثة آلاف كما برهنت عليه تقاريرنا الرسمية المتواصلة التي بعثنا بها الى وزارة المعارف العامّة والفنون الجميلة . وهو عدد لا يستهان به عند من يدرك خطورة الابحاث العلمية وما تتطلبه من تنقيب ومراجعـــة كي يأتي الجواب سديداً مُحكماً .

الفصل الثامن عشر

ما عينته الحكومة للمكتبة من مال ضئيل في موازناتها المتتابعة عاماً بعد عام

لما انتقل هذا المعهد الى حوزة الحكومة اللبنانية في اواخر عام ١٩٢١ عيّنت له منذ السنة التابعة مبلغاً سنوياً من المال لمشترى الكتب وتجليدها . وقد احصينا المبالغ المالية التي قررتها الدولة اللبنانية في السبيل المذكور واثبتتها في موازنتها الرسمية وطبعتها حولاً بعد حول . فكان مجموعها كلها في ثماني عشرة سنة (١٩٢٢ - ١٩٣٩) يساوي زهاء ثلاثة عشر الف ليرة لبنانية فقط . انفق نصفه تقريباً على تجليد الكتب . اما النصف الاخر وقدره ستة آلاف وخمسمائة ليرة لبنانية فلم يُنفق كله في مشترى كتب . لان مديرية المعارف العامّه وعلى رأسها صبحي حيدر(١) استأثرت بحصة من الاموال المعيّنة للمكتبة فوزعتها على بعض المؤلفين والمحاسيب والمتطفلين على موائد الادب وغيرهم . وانفقت الحصّة الاخرى على ما لا علاقة له بدار الكتب مطلقاً كما يتضح ذلك من سجلاتها ومن سجلات وزارة المالية فضلاً عن سجلات دار الكتب .

---

(١) اننا لا نضمر ضغينة لمدير المعارف الاسبق صبحي حيدر ، وذلك ضناً بتربيتنا العائلية وعملا بمبادئنا المنصرفة الى الخير والسلام ومحبة القريب . واذا كنا نسبنا اليه شذوذاً وعللا في علاقاته الطويلة مع دار الكتب فلا يقع الذنب كله على هذا الرجل بل على من حوله من ذوي النفوس الصغيرة والافكار العقيمة . وناهيك ان هؤلاء كانوا يؤثرون عليه بما يخترعونه له عن المكتبة وموظفيها من امور غريبة لا تنطبق على الحقيقة . هكذا انقضت السنون الطوال وهم يلعبون من وراء الستار ويكيدون للمكتبة بما لا يتفق مع العدالة وروح الانسانية . ولا غرابة في ذلك لانهم تجاوزوا حدود وظيفتهم وانزلوا الاضرار الجسيمة بالمكتبة والعاملين فيها . ونشكر الله على ان وزارة التربية الوطنية شعرت بذلك كله فابعدت عن دوائرها اولئك المستبدين الذين ضجت السماء والارض من اعمالهم المستنكرة . ولم يكتف اولئك المستبدون بما سبق ذكره بل راحوا يهيجون احدى الجرائد الشائنة لنشر المقالات البذيئة عن المكتبة وكبار موظفيها تنكيلاً بهم وابتزازاً لاموالهم . فثارت حفيظة كرام القوم ورجال المروءة والقلم فقاموا يدافعون عن عرين المكتبة واشبالها وهم من صفوة موظفي الدولة بنزاهتهم وامانتهم وثقافتهم . هكذا انتصرت الفضيلة على الرزيلة وسكتت تلك الجرائد السافلة سكوتاً ابدياً جزاء وقاحتها وقباحتها .

وبسبب هذا الاجحاف كابدنا مصاعب ومتاعب جمّة تلافيناهـا بالفطنة والرزانة وطول الاناة . واضطررنا ان نشتري بمالنا من الكتب ما وجدنا الحاجة ماسّة اليه . ذلك لاعتقادنا الراسخ اننا ننهض بواجب مقدس خدمة للعلم وطلابه.

ومن ألمع الشهادات وابلغها على ضآلة المال الذي خصّصته الدولة لدار الكتب ما اثبته في السجلّ الذهبي اوغست باشا اديب رئيس الوزارة اللبنانية .قال بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٣١ ما تعريبه : « اهنّىء امـين دار الكتب ومؤسّسها الفيكنت دي طرّازي بالعمل الباهر الذي انجزه في اقصر وقت وبموازنة ماليّة زهيدة تافهة » .

ونشرت جريدة « النداء » بتاريخ ٩ حزيران ١٩٣٧ ما نصه : « . . . وبقي الفيكونت طرّازي يصرف على دار الكتب من جيبه مـدة ثلاث سنوات حتى قررّت الحكومة جعْلها رسمية وطنية . وخصصت لها القليل القليل من ميزانية الدولة . . . »

وصرّحت جريدة « البلاد » للشيخ يوسف الخازن في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٨ بما يلي : «نرى انه من التقتير الشديـد والاقتصاد المستنكَر ان يكون الاعتماد المفتوح في موازنة المكتبة لشراء كتب ومخطوطات ثلاثماية ليرة لبنانية سورية فقط ! اننا لا نعلم ما هي الكتب التي يمكن ابتياعها بهذا المبلغ الزهيد ولا ما هو الفراغ الذي يمكن ان يسدّه في نواقص المكتبة ... فالى هذه النقطة الجوهريّة نسترعي انتباه معالي وزير المعارف لعله يترك اثراً اكثر من الاثر الذي يخلّفه في انشاء مدرسة لقرية من القرى . لان المدرسة القروية قد تفيد وقد لا تفيـد بينما تعزيز المكتبة يفيد البلاد جميعها ويحدّث بمجدها ويدلّ على عظمتها الثقافيـة والادبية » .

تلك كانت حالة المكتبة التي عانت ما عانته من صدمات قاسية انزلت الاضرار الجسيمة بمعهد ثقافي بيّض وجه لبنان ورفع اسمه عالياً في الاوساط العلمية . وقد

تحملنا ذلك كله بصبر جميل حباً بمصلحة دار الكتب العزيزة على قلبنا . ولبثنا السنين الطوال نقاسي ما قاسيناه دون ان نتذمر او نتفوه بكلمة واحدة تزعج المتحاملين علينا بلا حق ولا عدالة . ولكي يطّلع القراء على الفرق العظيم بين المخصصات المالية للمكتبة في الآونة المذكورة وبين مخصصاتها في الآونة الحاضرة يكفي ان نراجع باب موازنة الدولة في عهديها السابق والحاضر . فنرى ان وزارة التربية الوطنية خصصت مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة لبنانية لكل من سنتَي ١٩٤٨ و١٩٤٩ ومبلغ عشرين الف ليرة لبنانية لسنة ١٩٥٠ لاجل شراء كتب ومخطوطات وتجليدها . اما في عهد ادارتنا للمكتبة مدة ثماني عشرة سنة فلم يتجاوز مجموع تلك المخصصات المالية الثلاثة عشر الف ليرة لبنانية كما يتجلى من موازنات الدولة المتتابعة عاماً بعد عام في الحقبة المذكورة . يتضح من ذلك سخاء وزارة التربية الوطنية على دار الكتب اللبنانية في العهد الحاضر وشح مديرية المعارف عليها في عهدنا السابق .

الفصل التاسع عشر

المتبرعون على دار الكتب

ان ما احرزه معهدنا الكتابيّ من الثقة والاعتبار لدى الخاصّ والعام فتح امامه باب الرقيّ والنجاح على مصراعيه . ومهّد له سبيل الوصول الى تعزيز المعارف في الارجاء اللبنانية والبلدان المجاورة . ولا يغرب عن البال ان تلك الثقة دعت رؤساء الحكومات واعيان القوم وحمَلة الاقلام في الامصار الشرقية والغربية الى اتحاف المكتبة بانفس المؤلفات . وناهيك ان طائفة صالحة من ذوي الطبقة العاملة نفحتْها ايضاً بما تيسر لها من التصانيف المفيدة .

ويطيب لي ان اثبت اسماء بعض السلاطين ورؤساء الحكومات والرجالات البارزين الذين تبرّعوا على هذا المعهد بكمية من الكتب على اختلاف لغاتها وموادها . اخص بالذكر منهم : الاستاذ شارل دبّاس رئيس الجمهورية اللبنانية . وفؤاد الاول ملك مصر . ومولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى . ومحمد علي العابد رئيس الجمهورية السورية . وكمال اتاتورك رئيس الجمهورية التركية . ومولاي محمّد الحبيب باي تونس . والامير رولان عميد الاسرة البونبرتيّة . وألبرت الاول امير موناكو . والامير محمد عليّ ولي عهد المملكة المصرية . والمرشال ليوتي المقيم الفرنسي العام في مراكش . والداماد احمد نامي بك رئيس الدولة السورية . والاميرَين العلامتَين عُمَر طوسون ويوسف كمال المصريّين . والجهبذَين الكبيرَين احمد تيمور باشا واحمد زكي باشا . وعبدالله باشا صفير في الاسكندرية . وسلّوم مكرزل صاحب جريدة « الهدى » في نيويرك . وداود بك بركات شيخ الصحافة المصرية . وورَثة الاستاذ جبر ضومط في بيروت الخ الخ .

ومن تبرّع على معهدنا بطائفـة معتبرة من الكتب : المجمع العلمي العربيّ

والجامعة السورية في دمشق . ودار الكتب المصرية في القاهرة . ومطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت . والوزارة الخارجية الفرنسية . ودار الكتب الاهلية في باريس . والمجمع العلميّ الفرنسي . وعصبة الامم في جنيف . والحكومة الايطالية في رومة . والحكومة البريطانية في لندن . وقس عليها حكومة تشيكوسلوفاكيا في براغ . ومطبعة َليْدِنْ في هولندا . ومكتبة برلين الاهلية. وحكومة اليونان في آثينا الخ الخ الخ .

الفصل العشرون

افتتاح دار الكتب اللبنانية في بنايتها الجديدة

كان السابع من شهر حزيران ١٩٣٧ يوماً مشهوداً في تاريخ الجمهورية اللبنانية جرى فيه افتتاح دار الكتب رسمياً في بنايتها الجديدة . ففي الساعة الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم توافد المدعوّون من اعيان وادباء ورؤساء الى الاشتراك في هذا المهرجان العلمي . وكان في طليعة الجميع فخامة الاستاذ اميل اده رئيس الجمهورية يحفّ به الوزراء والنواب وقناصل الدول واركان الحكومة وكبار رجال الانتداب الفرنسي وارباب الصحافة ورؤساء المعاهد العلمية .

افتُتحت الحفلة بالنشيد اللبناني : « كلّنا للوطن » . وعلى اثره اعتلينا المنبر فرحّبنا بالمدعوّين ولفظنا خطاباً عربياً وزّعناه مطبوعاً على الحضور . ولخّصنا فيه مجمل تاريخ المكتبة منذ نشأتها . ثم أزحنا الستار عن صفيحة مفضّضة عُلّقت في صدر المِدْرس ونُقشت عليها العبارة التالية : « ذكرى افتتاح دار الكتب اللبنانية برعاية فخامة الاستاذ اميل اده رئيس الجمهورية اللبنانية في ٧ حزيران ١٩٣٧ » .

وبعد هذا نهض الاستاذ ابرهيم معوّض سكرتير دار الكتب فلخّص خطابنا باللغة الفرنسية . ثم انتصب رئيس الجمهورية فاسترسل في الثناء على جهود امين دار الكتب ومؤسّسها وعلّق على صدره وسام الاستحقاق اللبناني . وتلاه مسيو غبريال بونور مستشار المعارف فاعرب عن اعجاب الدولة الفرنسية بمزايا امين المكتبة وزيّن صدره بوسام المجمع العلمي الفرنسي . فصدحت الموسيقى بالنشيدَين اللبناني والفرنسي .

وقبل الختام راح رئيس الجمهورية وجميع المدعوّين يطوفون في انحاء المكتبة وقاعاتها ويمتعون انظارهم بثروتها الادبية . وقد أعجبوا بما شاهدوه فيها من آثار الجدّ وحسن الترتيب وسلامة الذوق . وتسابق المصورون في التقاط رسوم هذا المهرجان العلمي وعرضوها في الايام التالية في دور السينما . وبرزت صحف الوطن والمهجر طافحة بمقالات بليغة نمّت عن ارتياح الرأي العام واغتباطه بافتتاح اول مكتبة عامة في عاصمة الديار اللبنانية .

وحسبنا تأييداً لذلك ما أدلت به جريدة « الاحرار » في سان باولو بالبرازيل بتاريخ تموز ١٩٣٧ قالت : « دار الكتب الاهلية اللبنانية هي اليوم من شهيرات المكاتب العامة العالمية تضاهي دور الكتب في عواصم اوربا . وربما فاقت الكثير منها بآثار الشؤون الشرقية . وهذه الشهرة وهذا التفرّد اللذان اجتمعا لها يعود الفضل فيهما الى اللبناني الامثل النبيل ورجل العلم والثقافة الممتازة الفيكونت فيليب دي طرّازي منشىء هذه الدار . وقد اقامها مجداً للبنان وللشرق واثراً يخلّد ذكره الى ما شاء الله تعالى . ولسنا نجازف بالاشادة بذكر الفيكونت فلقد قرأنا اقوال مشاهير المستشرقين الاعلام والعلماء الذين رأوا دار الكتب . فاعربوا عن اعجابهم ودهشهم مما اشتملت عليه من الاثار النادرة العلمية . وغبّطوا لبنان والبلاد الشرقية على هذا المتحف الادبي . كل ذلك بفضل الفيكونت الذي جال الاقطار سعياً وراء النادر من المؤلفات . وبذل من ماله وتجشّم الاسفار وهو لا يطلب الشهرة بل يطلب العِلم لاجل العِلم وتمجيده واقامة هياكله في وطن احبّه الحب الخالص . فوضع الفيكنت فوق هامة امته اكليلاً لا تضاهيه التيجان وجعل في يدها صولجاناً يفوق صوالج الملوك ! »

وكتبت جريدة « الاتحاد العربي » ما نصه : « لا نغالي والحق يقال ان من اشهر علماء هذا العصر وارفعهم منزلة واوسعهم ثقافة هو الفيكنت فيليب دي طرّازي صاحب المؤلفات الشهيرة ومؤسس دار الكتب الكبرى . . . استطاع

بفضل همته الجبارة ونشاطه الخارق ان يؤلف من الكتب مئات العقود احتوتها مكتبته العامرة . وهي التي تسمّى اليوم باحرف ذهبية « دار الكتب الكبرى » في الجمهورية اللبنانية . والتي اصبحت محجّ اهل العلم والادب ومقصد كل بحّاثة ومؤرخ ... ان هذا المشروع القيّم الذي يسجله له التاريخ العربي اللبناني باحرف من ذهب ... هو خير هديّة يقدمها عالم اريحي نبيـــل الى الامة اللبنانية . . . وللفيكنت دي طرّازي اياد بيضاء لا تحصى على مختلف المشاريع العلمية الوطنية. فهو الاديب الوحيد الذي يشمل الادب بالنظرة الانسانية » .

الفصل الحادي والعشرون

زوار دار الكتب اللبنانية

غدت دار الكتب في مختلف ادوارها محجاً للعظماء والعلماء ومزاراً للسيّاح والمستشرقين يتقاطرون اليها من البلدان القريبة والبعيدة . ويشرفون على ما احتوته رفوفها من الاسفار والموسوعات ويدهشون بما دُبجت به جدرانهـــا من الرسوم التاريخية . وكانوا قبـيل انصرافهم يسارعون الى مصافحتنا محبورين ويطلبون سجل المكتبة الذهبي فيفرغون فيـــه ما فاضت به قلوبهم والسنتهم واقلامهم من العواطف الشريفة . وقد حوى السجلّ المومأ اليه اسماء فريق من اعضاء الاسر المالكة والوزراء والسفراء واقطاب الدين ورؤساء المعاهد العلميـة وقناصل الدول وكبار ضباط الجيش وارباب الثقافة والصحافة وغيرهم وغيرهم .

والى القارىء اسماء فئة من كبار اولئك الزوّار مع تاريخ زيارتهم :

اولا ــ حكّام لبنان الكبير ورؤساء الجمهورية اللبنانية واحداً فواحداً بدءاً من الكومندان البرت ترابو حتى الاستاذ الفرد نقاش (١٩٢١ ــ ١٩٤١) .

ثانياً ــ المندوبون السامون للدولة الفرنسية بـدءاً من الجنرال غورو حتى مسيو غبريال بيو (١٩٢١ ــ ١٩٤٠) .

ثالثاً ــ الامير اوليموني دي سافويا ابن عم ملك ايطاليا بتاريخ ١ كانون الاول ١٩٢٤ .

رابعاً ــ البرنس يوحنا ولي عهد مملكة الساكس في المانيا بتاريخ ٢٥ اذار ١٩٢٧ .

خامساً – الاميرة اليانا شقيقة كارول الثاني ملك رومانيا سنة ١٩٢٧

سادساً – عبد القادر آل باش اعيان العباسي من سلالة الخلفاء العباسيين القاطن في البصرة بتاريخ ٨ تموز ١٩٣٨ .

سابعاً – محمد الحسين آل كاشف الغطاء في النجف الاشرف وهو كبير علماء ابناء الشيعة في العراق ٢٠ شعبان ١٣٥٠ للهجرة .

ثامناً – مفتي الجمهورية اللبنانية الاكبر الشيخ محمد توفيق خالد وقاضي مذهب الدروز الشيخ ملحم حمدان في ٢٣ شباط ١٩٣٩ .

تاسعاً – البطريرك اغناطيوس افرام الثاني رحماني تعهد المكتبة في فترات شتى .

عاشراً – غريغوريوس الرابع بطريرك الروم الارثوذكس واساقفته سنة ١٩٢٨ .

حادي عشر – اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك السريان الارثوذكس واساقفته في ٥ ايار ١٩٣٣ .

ثاني عشر – انطون بطرس عريضة بطريرك الموارنة واساقفته في ٢٠ نيسان ١٩٣٧ .

ثالث عشر – الكردينال اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني بطريرك السريان ١٨ حزيران سنة ١٩٣٧ .

رابع عشر – رؤساء المجامع العلمية واعضاؤها .

خامس عشر – الوزراء والسفراء ورؤساء المجالس النيابية واعضاؤها .

سادس عشر – رؤساء الجامعات والمدارس واساتذتها وطلبتها ذكوراً واناثاً .

سابع عشر — ارباب الصحافة ومحرّروها ومراسلوها .

ثامن عشر — رؤساء المحاكم ومستشاروها .

تاسع عشر — المحامون والمهندسون والاطباء والصيادلة .

عشرين — ارباب الصنائع والحرف والفنون .

ولولا ضيق المقام لسردنا ما دوّنه اولئك الاقطاب في السجل الذهبي المشار اليه من الاقوال المأثورة التي اعربت عن اعجابهم واغتباطهم . وقد سبقنا فاثبتنا بعضها في الفصل الرابع وفي غيره من هذه اللمحة التاريخية . وهي في الحق بيّنات ناصعات تبرهن على ما اصابته دار الكتب في بيروت من المكانة الرفيعة في عالم الثقافة . وهي التي حدتنا على ان نسير بها الى الامام بخطى سريعة راسخة مردّدين قول القائل :

نبني كما كانت اوائلنا　　　تبني ونفعل مثلما فعلو

الفصل الثاني والعشرون

كتابنا « دليل تنسيق الكتب »

سوى ما بذلناه من الوسائل المادية في سبيل دار الكتب عـلى ما مرّ شرحه وتفصيله فقد عُنينا بوضع دليل فنّي يُصبح دستوراً لموظّفيها في تنسيق كتبها وتنظيم وثائقها ولوائحها . وهذا الدليل هو زبدة دروس متواصلة وابحاث جدّية لا يستخلصها الا مَن عنّى النفس في اشغال المكتبات وعَجَم مصاعبها وتعمّق في درسها .

ولبلوغ تلك الغاية شرعنا ننقب عن مصنفات حوت طرائق متعددة لتنسيق الكتب انتهجها قبلنا مدراء المكتبات العامرة في بلاد الغرب . فتفرّغنا لمطالعتها وغُصنا على دقائقها حتى وقع اختيارنا على انتهاج طريقة التنسيق العشريّ. فقررنا ان نتخذها دعامة لمشروعنا لاعتقادنا انها ستبعث روح التجدد في نظام المكتبات العربية .

ففي هذا الدليل العربي الفريد تبسّطنا في مواضيع العلوم تبعاً للطريقة العشرية. فقسمناها عشرة اقسام او عشرة اصول كبرى لكل منها فروع . ولتلك الفروع فروعُ فروعٍ ثم اجزاء فروعِ فروعِ فروعٍ يتسلسل بعضها من بعض تسلسلاً فنياً لا يحتمل التأويل والخطأ . ولكل من تلك الاصول والفروع والاجزاء رقم مستقلّ خاص به دون سواه . ذلك سوى ما يمكن ان ينشأ عن تلك الاجزاء من العلوم بطريقة التسلسل العشري الى ما لا نهاية له .

واصطلحنا في المستحدثات العلمية الفرنجية على اوضاع عربية تطابقها وتؤدي معناها المطلوب . لان المعاجم العربية قديمها وحديثها خالية من مثل تلك الاوضاع

التي ازدادت في عصرنا ازدياداً مفرطاً . وقد اخذت العلوم فيه تتناول كل ما فوق الارض وفي جوف الارض وما كان فوق الماء وتحت الماء وما كان في الجوّ وفوق طبقات الجوّ .

وفي كل ذلك حافظنا على ما سبق ائمّة العرب فاصطلحوا عليه من مسمّيات العلوم والفنون والصناعات التي عرفوها واختبروها وكتبوا عنها ايام بسطتهم وعزّهم . فجاء هذا المؤلّف الجديد مستوفى في ترتيبه وتبويبه . واطلقنا عليه عنوان « ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وافتتحناه بمباحث عامة عن تنسيق العلوم والكتب والفهارس عند العرب . وهي مواضيع جديدة لم يتفرّغ لها كاتب قبل الآن .

الفصل الثالث والعشرون

كتابنا « خزائن الكتب العربية في الخافقين »

هو عنوان لكتاب تجلّت فيه عظمة الحضارة والثقافة عند العرب . صرفنا شطراً كبيراً من الحياة في جمع مواده وتأليفه وترتيبه . وقد تقدمت الينا بذلك وزارة المعارف اللبنانية لِما تحققته عن شغفنا بالمكتبات وعن اطّلاعنا على اخبار خزائن الكتب العربية في مختلف الامصار . ذلك بقطع النظر عن حرصنا الشديد على كرامة دار الكتب اللبنانية وعن تفانينا في نموّها وشرف اسمها وحسن سمعتها.

بادرنا الى تحقيق رغبة الوزارة فثابرنا على العمل للفوز بتلك الامنية التي رحّب بها العلماء وارباب الفضل . وانطوى الكتاب من اوّله الى آخره على مواد طريفة نادرة تتضح لمن يطالع ابوابه وفصوله التي نلخصها في ما يلي :

اشتمل كتاب « خزائن الكتب العربية في الخافقين » على ١٨ باباً يصلح ان يكون كل منها كتاباً قائماً برأسه نظراً الى غزارة مواده ووفرة مواضيعه .

انطوى الباب الاول على مقدمة وثمانية فصول : ذكرنا في الفصل الاول خلاصة علوم العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام . فوصفنا وصفاً دقيقاً لحفظهم وتدوينهم وخطوطهم ومجالسهم واسواقهم واستفحال دولتهم . وتبسّطنا في الفصل الثاني في وصف القرآن وتأثيره واجماع السلاطين وارباب الدين والدنيا على تعظيمه . واوردنا خلاصة ما نشره عنه علماء النصارى، وعدّدنا المتاحف التي انطوت على انفس مخطوطاته واقدمها واثمنها واغربها الخ الخ . وتكلمنا في الفصل الثالث عن حالة البلاد الشرقية قبل الفتح العربي وخصّصنا الفصلين الرابع والخامس بثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب وعدّدنا بعض مدارسهم ومعاهدهم. وذكرنا

في الفصلين السادس والسابع نَقْل العلوم الدخيلة الى اللسان العربي ومصادرها ومشاهير نقَلتها . وخُتم هذا الباب بفصل ثامن عن عصر النهضة العربية الذهبي .

واحتوى الباب الثاني ثلاثة فصول في تكوين الخزائن العربية وانتشارها واندثارها . فتحدثنا فيها عن تنافس علماء العرب وخطّاطيهم ومجلّدي كتبهم واندفاعهم الى تجهيز المكتبات وتعزيزها .

واشتمل الباب الثالث على ٣٣ فصلاً عدّدنا فيها اخبار ٢٩٥ مكتبة اسلامية عامّة في بلاد اسيا وافريقيا والاندلس . فوصفناها مكتبة بين قديمة وحديثة . وألمعنا الى ثروتها وذخائرها ومعارضها واعتناء الملوك والامراء والادباء بشؤونها .

وتحدّثنا في الباب الرابع المشتمل على ١٤ فصلاً عن المكتبات الاسلامية الخاصة . فتوسّعنا في وصفها توسّعنا في وصف المكتبات الاسلامية العامة . وبلغ عددها ٣٦٢ خزانة ذكرنا اخبار مؤسّسيها واحصينا عدد مجلداتها يوم عزّها وما حلّ بها من الرزايا على كرور الازمنة .

واثبتنا في الباب الخامس اهم المكتبات النصرانية في الاصقاع الشرقية . فوصفنا مكتبات السريان المشارقة والمغاربة والملكيين والموارنة والاقباط . ثم مكتبات السريان الكاثوليك والكلدان والارمن واللاتين والبروتستان . وقد اناف عددها على ٢٠٠ مكتبة انشئت في الكنائس والاديار والمدارس وبيوت الافراد .

وتطرّقنا في الباب السادس الحاوي ثمانية فصول لوصف مكتبات بيروت العامة كمكتبة المجلس البلدي ومكتبة القضاة ومكتبة نقابة المحامين وغيرها من المكتبات التي طوى عليها الزمان .

واسترسلنا في الباب السابع لوصف المكتبات العربية في اوربا . فذكرنا

تباعاً في فصوله الثلاثة عشر اهتمام البابوات والملوك بتعزيز اللغة العربية واعتناءهم بادّخار مخطوطات العرب . ونوّهنا بمعارض تلك المخطوطات، فيها ووصفنا ثروتها. واحصينا احدى عشرة خزانة عربية لفريق من اللبنانيين والسوريين في انحـــاء اوربا . ولم ننسَ وصف خزانة ابنتنا جان طرازي في باريس وقد حوت زهــاء مائتي مخطوط عربي اكثرها نادر وبعضها مزيّن بالصور ومزوّق بالزخارف . ثم عدّدنا عشرين مكتبة انشأها في اوربا كبار المستعربين وعلماء المشرقيات. واردفناها بذكر فهارس المخطوطات العربية في مكتبات اوربا وعدد مجلدات كل منها .

وحصرنا بحثنا في الباب الثامن عن المكتبات العربية في اميركا الشماليـــة واميركا الجنوبية . فصّرحنا بان مكتبة نيويرك هي اغنى خزانة للكتب العربية لا تفوقها في تلك الثروة الا دار الكتب المصرية ودار الكتب الازهرية والمكتبة الشرقية للاباء اليسوعيين في بيروت .

وخصصنا الباب التاسع بالمكتبات الاسرائيلية فذكرنا جهود اليهود في خدمة اللغة العربية على عهد الخلفاء العباسيين والفاطميين والخلفاء الامويين في الاندلس . وسردنا اخبار مشاهير علمائهم واطبائهم في شتى الامصار . ووصفنا خزائن كتبهم ولاسيما دار كتب الامة اليهودية والجامعة العبريّة في اورشليم .

واستقرأنا في البابَين العاشر والحادي عشر اخبـــار غلاة الكتب وهواة المكتبات مسلمين ومسيحيين منذ القرن الثـاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة . فاشتمل الباب العاشر على ١٤ فصلاً اربى فيها عدد هواة الكتب المسلمين عـــلى السبعين . واشتمل الباب الحادي عشر على تراجم ٢٣ من غلاة الكتب المسيحيين.

واوردنا في الباب الثاني عشر عشرة فصول عدّدنا فيهـا مشاهير خزَنة دور الكتب في عصر الارتقاءالعربي . فاناف عددهم على ٧٠ خازناً في سوريا ولبنان والعراق وفارس ومصر والاندلس واليمن والحجاز حتى الهند .

وتحدثنا في الباب الثالث عشر عن جهابذة شرقيين تولوا منذ القرن السابع عشر ادارة المكتبات الشهيرة في اوربا واميركا . وبلغ عددهم عشرة تراسوا على مكتبات الفاتيكان وفلورنسا ومدريد والاسكوريال وعـــلى المتحف البريطاني ومكتبة ريلاند في منشستر ومكتبة برمنغهـام بانكلترا وخزانة القياصرة ودار الكتب السلطانية في قسطنطينية ومكتبة جامعة برنستون في اميركا .

واستقصينا البحث في الباب الرابع عشر عن المخطوطات العربية والعاملين فيها في ١٥ فصلًا : فتكلمنا عن مزاياها ونفائسها . وعن الوراقة والورّاقين وعن نوابغ الخطاطين والخطاطات وغرائبهم . وعن النساخة والطباعة وبواكير المطـــابع والمطبوعات العربية . وعن مشاهير النساخ قديماً وحديثاً . وعن الضبط والاتقان في نساخة الكتب . وعن التنافس في تأليف الكتب واستكثار نُسخِها . وعن صناعة تجليـــد الكتب واشهر اسواقها وتجارها وعشاقها . وعن سخط مشايخ المسلمين واحبـــار النصارى عـلى سرّاقي المخطوطات . وعن اعارة الكتب واستعارتها

اما الباب الخامس عشر فقد افرزناه للمخطوطات العربية المصوّرة والمذوّقة. فوصفناها في ١٨ فصلًا تتناول مصوّرات الكيمياء والطب والادب والتاريـخ والرحلات والعلوم الحربية والبحرية والصناعيـــة والميكانيكية والجغرافية . ومصوّرات المخطوطات الدينية اسلامية ومسيحية . ومصوّرات النجامة والسحر والهندسة واللغة والنبات والفلك والفروسية والصيد والبيطرة والموسيقى الخ . ونظن اننا لم نهمل مخطوطاً عربياً مصوّراً او مزوّقاً الا تحرّينا استقصاء البحث عنه في خزائن الشرق والغرب ونوّهنا بمزاياه واشرنا الى مكان وجوده واذا فاتنا شيء من ذلك فهو نادر والنادر لا يقاس عليه .

واسترسلنا في الباب السادس عشر نعدّد الرزايا والفواجع التي حلّت بالكتب وخزائنها الشهيرة منذ العصور الخوالي حتى اليوم . فاثبتنا اكثر من مائتـين

وخمسين رزيئة او فاجعة من الوف الفواجع التي ألمّت بالكتب والمكتبات حرقاً او غرقاً او نهباً او تدميراً او دفناً او تبديداً او اتلافاً الخ الخ . وقد شرحنا اخبارها شرحاً دقيقاً وافياً مؤثراً في نحو ٥٠ فصلاً .

وافرزنا للباب السابع عشر سبعة فصول تكلمنا فيها عن النوازل الادبية بالكتب والمكتبات . فتحدثنا عن اعدائها ولصوصها وخوّنتها ومحرّفيها ومصحّفيها ومنتحليها والعابثين بها . واستقبحنا تصرّف الرهبان في مكتبات الاديار وعبثهم في مخطوطاتها وتغاضيهم عن صيانتها ونظافتها . واستهجنا سوء الائتمان على المكتبات واختلاس الكتب المستعارة . وختمنا هذا الباب بتفجعنا لِما فقده عالم الادب بسبب ذلك من الكنوز الكتابية الغالية .

وخصصنا الباب الثامن عشر لدار الكتب اللبنانية التي انشأناها في بيروت .

الفصل الرابع والعشرون

لماذا احجمنا عن طبع الكتابين المشار اليهما

اوردنا في الفصلين الثاني والعشرين والثالث والعشرين زبدة الكتابين اللذين الفناهما اجابة الى اقتراح مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة وهما : كتاب « ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » . وكتاب « خزائن الكتب العربية في الخافقين » . وصرحنا بان الذين تتابعوا في راس تلك الادارة وزراء ومدراء اوعزوا الينا ان نقوم بتأليف الكتابين ونشطونا الى متابعة العمل حتى النهاية . وكان تنشيطهم يضرم فينا جذوة الهمم لنضاعف الجهود في المطالعة والبحث والتنقيب مهما كلفنا ذلك من تضحية ومال وسهر . ولم تتأخر الحكومة اللبنانية عن ان تخصص في موازناتها المطبوعة حولا بعد حول مبلغاً من المال لطبع الكتابين

انجزنا التأليف بحوله تعالى فكتبنا بتاريخ ٢٦ تشرين الاول ١٩٣٦ الى صبحي حيدر مدير وزارة المعارف نبشره بالامر . وضممنا الى رسالتنا فهرس الكتاب الثاني وهو يقع في مئة صفحة مع مختصر الكتاب الاول . وافدناه ان بعض علماء المشرقيات وقفوا على مضامين الكتابين وفاوضونا في ترجمتهما ونشرهما في اوروبا تعميماً لفوائدهما .

فما كان من المدير المشار اليه الا ان فاجأنا في ٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ تحت عدد ٢٦١٧ بجواب لم يكن في الحسبان ولا خطر ببال انسان فقد حتم ان يوضع اسم مديرية المعارف والفنون الجميلة في صدر الكتابين بدلا من اسمنا . فاستغربنا حكماً كهذا يصدره رئيس دائرة ثقافية رسمية . وهو يعلم حق العلم ان حذف

اسم المؤلف من صدر تاليفه يعد في نظر المنصفين جريمة كبرى . لان للمؤلفين حقوقاً شرعية لا يستطاع القضاء عليها بكلمة او بجرة قلم . وهو يعلم ايضاً ان هذين الكتابين ليسا الا ثمرة ناضجة من ثمرات ابحاث عميقة . وانهما ملك صرف لمؤلفهما في حياته ولاسرته من بعده لا يقاسمه اياهما شريك ولا ينازعه فيهما منازع .

ولا ندري ما الذي حمل صبحي حيدر مدير الوزارة على ان يحذف اسمنا من كتاب صنّفناه نحن وانفقنا عليه ما انفقنا من اتعاب واكلاف واسهار واسفار مدة اعوام عديدة . وقد سبقت وزارة التربية الوطنية فنشرت لحسابها كتباً شتى تحمل اسماء مؤلفيها او ناشريها ككتاب « غرر الحسان » وكتاب « تاريخ الامير فخر الدين المعني » الخ . وما اكتفت بذلك بل درّت المكافآت الادبية والمالية على كثيرين من المؤلفين والناشرين والمحاسيب وغيرهم .

هذا ولو سلمنا جدلا بحذف اسمنا من صدر كتابنا وكان الكتاب يحوي اغلاطا تاريخية او فنية او لغوية او احصائية او غيرها فعلى من تقع تبعة تلك الاغلاط ؟ انها تقع بلا ريب على نفس الوزارة التي تنشر الكتاب باسمها فتصبح هي المسؤولة عن اغلاطه دون المؤلف وبالتالي تكون هدفاً لانتقادات جارحة تصوّب نحوها بكل حق وعدل . وليس لاحد من موظّفيها وعلى راسهم صبحي حيدر ان يدافع عن اغلاط الكتاب او يتنصّل من تبعتها . وما ذلك بمستغرب لانهم لا ألمام لهم بمواضيع هذا التأليف ومصادره ومراجعه بل لا ناقة لهم ولا جمل في تنظيمه وتبويبه .

فعلى اثر تقرير مدير الوزارة صبحي حيدر كما ذكرنا . وعلى اثر حتمه غير القانوني وعلى اثر معاملته الشاذة التي لا يقرّها العقل ولا تستند الى المنطق احجمنا عن تسليم مخطوطة كتابَينا المذكورَين اليه . واستنكرنا طبعهما على تلك الصورة المجحفة بحقوقنا المشروعة وبكرامتنا العلمية .

فلو اقترحت علينا الحكومة اللبنانية الجليلة بطريقة تُحفظ فيها الكرامات ان

نتنزّل لها عن حقوقنا في التأليف وفي غير ذلك ايضاً فاننـــا لن نتأخر عن ان نضحي لها باكثر مما تطلبه. بل نُقدم على ذلك بلذة فائقة راضين حامدين مسرورين. وقد ادّينا لها في جميع مواقفنا براهين لامعة عن ولائنا ووفائنا واخلاصنا وسلامة طويّتنا .٠

الفصل الخامس والعشرون

ترحيب الادباء والمجامع العلمية بهذين الكتابين

اطّلع على هذين التأليفَين فريق من المفكّرين الذين شاهدونا مكبّين على وضعها . واقترح احدهم ان نبيعه احدهما او كليهما بمبلغ من المال فلم نكترث لاقتراحه . لاننا لم نقصد من تأليفهما ربحاً مادياً بل توخينا افادة ابناء الضاد وتعزيز مكانة دار الكتب اللبنانية .

اما الادباء ورؤساء المجامع العلمية الذين تصفحوا الكتابَين فقد اعربوا عن اعجابهم بمضامينها ونشروا ما نشروا في وصفها على صفحات المجلات والجرائد . وهي بيّنات صادقة صدرت عن جهابذة اشتهروا بالرصانة والحصافة وسعة المعارف لا يرمون الكلام على عواهنه . وفي طليعتهم العلامة الكبير الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق . فقد وقف على الكتابَين ونشر عن احدهما وهو « خزائن الكتب العربية في الخافقين » مقالة ضافية في عشر صفحات افتتحها بقوله (١) :

هذا سفر عظيم عُني الاستاذ الفيكنت فيليب دي طرازي احد اعضاء المجمع العلمي العربي بتأليفه منذ اكثر من خمسين سنة . فجاء في ازيد من الف وثلاثمائة صفحة كبيرة ... وقد ضمّنه ابحاثاً مشبعة عن خزائن الكتب العربية قديمها وحديثها . وذكر اخبار مؤسسيها ومعزّزيها والعاملين فيها في اربعة اقطار المعمورة .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي : مجلد ١٦ سنة ١٩٤١ صفحة ٧ — ١٦

« هذا كتاب فريد في بابه مبتكر في موضوعه لا اعلم اديباً من ادباء العرب ومؤرخيهم سبق الى تأليف مثله فصنف مؤلفاً مفصلاً عن خزائننا العربية وعن مؤسسيها ومحتوياتها وعما آل اليه امرها . ويظهر لي من لائحته انه منطوٍ على فرائد وشوارد وعلى طرائف ولطائف . ولقد طالع مؤلفه زهاء سبعمائة كتاب من مؤلفات الاوائل والاواخر فغربلها وانتخلها حتى صفّى منها ما صفّى كما يشاهد في الهوامش التي علقها على الكتاب من بدايته الى خاتمته . وقد سدّ به ثلمة فوهاء في التاريخ والادب معاً ... »

واختتم رئيس المجمع العربي مقالته بما يلي : هذا هو الكتاب الفريد الذي جدّ صديقي العالم طرازي في جمعه ووضعه . وانفق الدنانير في انشائه . وقتل الليالي في تنسيقه وضبطه . وهو بلا ريب ثمرة ناضجة من ثمرات ابحاثه الدقيقة ومطالعاته المستمرة مدة تنيف على نصف قرن . ولم يتوخّ المؤلف من تعبه هذا كلّه الا ان يخدم العلم ويعرّف ابناء الضاد ثروة الآباء والاجداد . جزاه الله عن عمله افضل جزاء ومدّ له في الحياة ليرى كتابه وقد اخرج للناس يجنون فوائده » .

وممن تصفح هذا التأليف واعجب به الدكتور العلامة بشر فارس المعروف بابحاثه الدقيقة وآرائه الناضجة . فانه نشر على صفحات مجلة المقتطف(١) مقالا مستوفى افتتحه بقوله :

« هو كتاب لاعرف له اخاً في لغتنا : غزير المادة موفور الفائدة ... مرتّب احسن ترتيب متناسق التبويب مشبّع الفصول . واما اسلوبه فجامع للوضوح والاحكام وللسهولة والدقة .

وختم الدكتور بشر فارس مقاله بهذه العبارة : « ذلك هو الكتاب المخطوط الذي وقع بين يدي ... وقد بلغ اعجابي به واكباري له مبلغاً لم أرَ معه منصرفاً

---

(١) المقتطف : سنة ١٩٤٢ شهر مايو بعنوان « كتاب فريد جامع » .

عن ان اسوق امره الى قرّاء المقتطف. ومما ينبسط اليه املي ان يذيع هذا الكتاب في الناس وصاحبه بقيد الحياة . وما اظن حكومة الجمهورية اللبنانية بضانّة عن النهوض بمثل هذا السعي . فيه تشكر لواحد من رجالات لبنان الاشم بذله المتصل في سبيل قومه وانصرافه الى العلم البحت . وبذلك ايضاً تُعلي من شأن اللغة العربية وتخدم آدابها وتنشر آثارها .

ونضيف الى الجهدَين المار ذكرهما جهداً ثالثاً له مقامه الرفيع بين العلماء . عنيتُ به احمد عاصم بك المدير العام لدار الكتب المصرية . فقد اطّلع هو ايضاً على مؤلفي المذكور وبعث اليّ برسالة مؤرخة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ ورد فيها ما يلي: « انه كتاب جليل الفائدة عظيم النفع يسدّ فراغاً كبيراً من الناحيتَين التاريخية والادبية في المكتبة العربية بما بذلتم فيه من المجهود الجبّار نتيجة لدرسكم واطلاعكم . اذ انكم مشكورون كل الشكر من عامّة العلماء والباحثين لم تتركوا فيه شاردة ولا واردة مما تمسّ هذا الموضوع او تتصل به الا احصيتموها ودوّنتموها فيه ... ولهذا فان دار الكتب المصرية تحرص كل الحرص على ان ترجوكم ان يكون كتابكم هذا بين نفائسها ليكون مرجعاً من المراجع التي يرجع اليها العلماء في ابحاثهم ... » .

ولما تولى الاستاذ جورج بك حيمري مديرية وزارة التربيه الوطنية والفنون الجميلة ووقف على العراقيل التي اقيمت لمنع طبع الكتابين المذكورين اظهر استياءه واوعز الى الحكومة ان تنشرهما على نفقتها اعلاء لشأن العلم وتعزيزاً لدار الكتب .

هكذا تم طبع هذين الكتابين اللذين انتشرا بين الادباء واهديا الى اشهر المكتبات شرقاً وغرباً .

الفصل السادس والعشرون

انصاف وزارة التربية الوطنية واهتمامها بطبع الكتابين المذكورين

مرت عشرة اعوام على الحكم الجائر الذي ابتدعه المدير صبحي حيدر في حذف اسمنا من صدر كتابين صرفنا السنين الطوال في تأليفهما وجمع موادهما فكان ذلك داعياً لاستياء الحكماء والعلماء واستنكارهم حكماً لا ينطبق على العدل والمنطق. ولبثت الحال على هذا المنوال طول المدة المذكورة فوقفت حركة درس الكتب وتنسيقها تبعاً للطريقة الفنية التي اتخذناها دستوراً لتنظيم سير الاشغال في المكتبة. وقد تنبهت وزارة التربية الوطنية الى الحيف اللاحق بهذا المعهد الثقافي فراحت تعالج ذلك بالحكمة والفطنة واخذت تفاوضنا لاجل طبع الكتابين على نفقتها .

يتضح ذلك من التقرير الرسمي الذي رفعه الى الوزارة امين المكتبة الاستاذ ابراهيم معوض وهذا نصه :

عدد ١٠٧١٨

تقرير لاجل طبع الكتابين : ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب . وخزائن الكتب العربية في الخافقين .

معالي وزير التربية الوطنية والفنون الجميلة المحترم

جواباً على توديعكم الكريم رقم ٢٣٤١ بشأن موافقة وزارة التربية الجليلة على طبع دليل تنسيق الكتب العربية الذي وضعه العلامة الفيكونت دي طرازي امين دار الكتب السابق، افيد معاليكم انني اتصلت بحضرة الفيكونت واطلعته على هذه الموافقة وسألته وضع مؤلفه المذكور تحت تصرف الحكومة اللبنانية لاجل مباشرة طبعه، فوافق للحال على هذا الامر وسلمني الدليل الفني للطبع قائلاً

لي : انني نزولا عند رغبتكم قدمت هـذا الجزء من كتابي « ارشاد الاعارب لتنسيق الكتب في المكاتب » وانا مستعد لتقديم الجزء الاخر الذي هو الذبدة التاريخية والتكملة العلمية له (والجزء الاهم) وقد صرفت على وضعه عشرات السنين منقباً باحثاً عن اخبار المكاتب العربية في الخافقين وما احتوته من كتب وكنوز ومصنفات وتحف وعن حياة كل منها وهي تزيد عن سبعماية مكتبة اما عدد صفحات هذا الكتاب فتربو على ١٣٠٠ صفحـة ضمت كل شاردة وواردة من اخبار المكاتب المذكورة من حينوجودها حتى اليوم فيمكن لوزارة التربية الجليلة ولدار الكتب اللبنانية نشر هذا السفر الفريد في بابه وسوف يكون موضع فخر واعتزاز لها باخراجه الى عالم الوجود .

وهنا اسمحوا لي يا معالي الوزير، دلالة على قدر الكتاب المشار اليه ان اذكر بعض فقرات من التقريظ البليغ الذي وضعه له العلامة الكبير الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق وقد استغرق هذا التقريظ عشر صفحات كاملة في مجلة المجمع العلمي العدد ١ و ٢ من المجلد الثالث عشر سنة ١٩٤١ وهي (من صفحة ٧ الى ١٦) (راجع الفصل الخامس والعشرين من هذا الكتاب حيث ورد هذا التقريظ بنصه) .

لهذا، وبعد هـذا التقدير الساطع من رئيس المجمع العلمي العربي ومن كبار العلماء امثال العلامة الدكتور بشر فارس الذي قرّظ الكتاب ايضاً بما يستحقه من تقدير ارى من دواعي الغبطة والفخر لوزارة التربية الجليلة ولدار الكتب اللبنانية نشر هذا السفر النفيس الذي يعد بحق تحفة تاريخيـة نادرة وجوهرة من جواهر الادب الناضج يتوج جهودهما ويعرب عن حسن النقاء وزارتنا الجليلة الابحاث المفيدة النادرة التي لها وزنها في عالم الادب والتاريخ .

وبناء عليه ارجو الموافقة على طبع هـذا الدليل التاريخي النفيس الذي هو بمثابة الجزء الاول والاهم من الدليل الفني، ثم مخابرة واضعه العلامة الكونت دي

طرازي بهذا الصدد كي يصير استلامه منه رسمياً وتحديد عـــدد النسخ المطلوب طبعها من كل من الجزئين المذكورين .

وهنا ارى من اقدس واجبات عرفان الجميل والتقدير ان تتوج الوزارة الجليلة هذه المنشورات باسم مؤلفها الفيكونت دي طرازي اقراراً بفضله وايفـاء لحقه كمؤلف .

وبالمناسبة افيد معاليكم ان نسخ هذا الكتاب القيم سوف تكون نواة معتبرة لمبادلات دار الكتب مع دور العلم والنشر بحيث تساعدها على استهداء منشورات تلك الدور ومؤلفات اكابر العلماء في الشرق والغرب .

هذا ما نأمل تحقيقه برعاية معاليكم وسهركم على تعزيز دار الكتب السائرة في طريق النمو والازدهار انشاء الله .

تفضلوا بقبول فائق احترامي

بيروت في ٢٥ ايار سنة ١٩٤٦ امين دار الكتب الاهلية

ابرهيم معوّض

الفصل السابع والعشرون

العراقيل في طريق دار الكتب

اعترض المكتبة في عهد ادارتي لها عراقيل وعراقيل كثيرة يطول بنا تعدادها. منها قلّة المال وعداوة البعض من ذوي الجهالة وضآلة عدد الموظفين في المكتبة والتضييق عليهم وحرمانهم الزيادات القانونية على رواتبهم مدة اثنتي عشرة سنة خلافاً للعدل والحق وبلا مسوّغ شرعي. ومنها اضطرار عمّال المكتبة الى الاشتغال كل يوم في ابّان القيظ زهاء ثلاث ساعات بعد الظهر علاوة على اشتغالهم في ساعات العمل الرسمية صباحاً. ذلك خلافاً لانظمة جميع مكتبات العالم شرقاً وغرباً ولنظام سائر الموظّفين في الدولة اللبنانية.

ومن تلك العراقيل: اننا بعد ما كُلّفنا رسمياً ان نضع دليلاً مستوفى لتنسيق الكتب في المكتبة، وبعد انقطاعنا عشرات السنين الى تأليفه وتبويبه والى تاليف كتاب «خزائن الكتب العربية في الخافقين»، وبعد انفاقنا عليهما مبالغ ليست بيسيرة من جيبنا الخاص وتجهيزنا الكتابَين للطبع نُصبت العراقيل لمنع طبعهما ونشرهما كما صرّحنا بذلك في الفصل الرابع والعشرين.

ليس ما ذكرناه الا جزءاً يسيراً مما عانيناه من تعسّف ذوي الاغراض والنفوذ الفارغ. ولولا تذرّعنا بالصبر والفطنة وسداد الرأي لقُضي على دار الكتب في مهدها وانهار بنيانها الذي هرقنا لاجله عرق القربة. ذلك فضلاً عما بذلته الدولة من غال ورخيص لاجل تعزيز هذا المشروع الثقافي الذي بيّض وجه لبنان وعزّز منزلته الثقافية. ونكتفي الان بالاشارة الى ذلك لاننا جمعنا تفاصيل تلك العراقيل في كتاب مستوفى سننشره ان شاء الله تعالى مشفوعاً بوثائق راهنة ومدعوماً

بحجج دامغة . وقد نوّهت الجرائد العربية في الوطن والمهجر بكثير من تلك العراقيل في اعداد شتى نحفظها في خزائننا للذكرى والتاريخ . وعلى سبيل المثال ندرج هنا ما كتبته جريدة البشير المعروفة بنزاهتها ورصانتها وصدقها بتاريخ ٢ كانون الاول ١٩٣٩ قالت :

« منذ ٢١ سنة اي منذ اليوم الاول الذي استلم فيه الفيكنت فيليب دي طرازي امانة دار الكتب حتى اليوم الذي ترك هذا المنصب لم يأخذ رخصة ادارية واحدة ابداً للراحة... وقد انصرفت مديرية المعارف الى اقامة الحواجز والحوائل والمضايقات في وجه مؤسس دار الكتب واغلقت بوجهه كل الابواب ! الخ الخ الخ ... »

وقالت جريدة « الشمس » البيروتية ما نصه : « لم تلاقِ دار الكتب من الحكومات التي تعاقبت في لبنان ما يجب ان تلاقيه . بل ان بعض الذين جعلتهم الاقدار مرجعاً لها اساؤا اليها اساءة كلية ووقفوا حجر عَثرة في سبيل اطّراد تقدّمها . ذلك لجهلهم قيمة هذا العمل العظيم ولذهابهم مع رياح الحزبية والتشفيات الشخصية ... مع انه ليس في العالم موّظف بذل من الجهود في تنظيم ما عُهد اليه به جزءاً مما بذله الفيكنت طرّازي في مشروع المكتبة . فهي وليدة افكاره ...

« وقد يظن القارىء ان الحكومة تبذل للفيكنت دي طرّازي كل مساعدة وتمد اليه يداً سخيّة تذلل الصعوبات امامه . فهذا الظن خطأ . ومَن تراه يعتقد ان مديرية المعارف التي ترتبط بها المكتبة تقف دائماً حجر عثرة في سبيل مساعي امين دار الكتب ؟ وماذا ننتظر من ادارة المعارف في لبنان وعلى راسها دائماً مدير يقال انه لا يعرف اللغة العربية ولا يستطيع انشاء عبارة واحدة فيها . . . وجلّ ما يُنسب اليه من المؤهلات انه متخرّج من مدرسة العشائر التركية في الاستانة قبل الحرب العامة ! »

واثبتت جريدة « الجمهور » بتاريخ ٢١ حزيران ١٩٣٧ ما نصه : « ... واجمل

ما في دار الكتب انها تأسست ونمت بهمة رجل واحد وقف عليها كثيراً من علمه وماله وقوّته . وقاسى لاجلها كثيراً وتحمّل كثيراً وما لانت عزيمته ولا كلّت بل ظلّ مثلاً في الجد والثبات والنشاط ... فلولاه حقيقة لما وُجدت المكتبة » .

ومما تجب الاشارة اليه اننا كتبنا في شأن تلك الصدمات والعراقيل تقارير ضافية الى مَن يهمهم الامر فكانوا يصمّون آذانهم عن شكاوينا غير مصغين الى صوت الحق ولا مكترثين لواجبات وظيفتهم . وقد اكد لنا بعض الثقات مراراً ان الايدي امتدت الى تقاريرنا المشار اليها وتلاعبت بها . وامتدت كذلك الى محفوظات دار الكتب عينها بعدما تخلّينا عن امانتها . فانتزعت تلك التقارير الجديرة بالاعتبار واخفتها حذراً من ان يطّلع عليها في مستقبل الزمان مَن يعنيه امرها . وحذراً كذلك من ان تفتضح اعمال اولئك المسؤولين الذين ضجّت الناس من مساوئهم المستنكرة في طول البلاد وعرضها .

يعز علينا كثيراً ان ندلي بمثل هذه التصريحات التي اتينا على ذكرها وتجرح صميم فؤادنا . وكنا نود ان نضرب عنها صفحاً لولا اضطرارنا الى تدوين اخبار هذه الدار الثقافية غثها وسمينها . وذلك بياناً للحقيقة وحرمة للتاريخ وعبرة لكل موظف يضن بحسن سمعته وكرامة منصبه .

الفصل الثامن والعشرون

تخلينا عن ادارة دار الكتب

من طالع الفصول السابقة وامعن في ما اوردناه من الحقائق الثابتة اتضح له جليا اننا قمنا بالواجب في خدمة دار الكتب . واننا ثابرنا على العمل فيها مدة تسعة عشر عاما بكل حرص واخلاص وادّينا رسالتنا بامانة واستقامة .

كنا نود لو تيسّر لنا ان نواصل تلك الخدمة الشريفة تعزيزاً لمشروع نَهكَ منا القوى وحمّلنا اعباء باهظة . غير ان تقدمنا في الشيخوخة مهّد لنا سبيل التملص من قيود الوظيفة كي نتفرّغ لاشغالنا العلمية في جوّ صاف لا يشوبه كدر . وما عدا ذلك فان الذين استودعوا مقدّرات المكتبة لم يكن يهمهم امرها بمقدار ما يهمنا نحن .

اما اصدقاؤنا الادباء في مختلف الامصار فقد كتبوا يُعربون لناعن شديد اسفهم لتخلّينا عن مواصلة العمل في دار الكتب التي انفقنا الغالي والرخيص في سبيلها . وراح الصحافيون منهم ينشرون في هذا الصدد مقالات ضافية على صفحات الجرائد لسان حال الامّة . فشكرنا لهم عواطفهم واثنينا على عبقريتهم .

ونرى ان نثبت هنا ما جاهر به الوزير حسين بك الاحدب في خطاب رسمي القاه في دار الكتب على اثر تخلّينا من امانتها قال : « . . . يا ليت الحكومة اللبنانية وضعت تشريعاً خاصاً استثنت به الفيكونت من قانون بلوغ السن ! ويا ليتها ابقته يواصل عمله لخير دار الكتب ريثما يتمكن من تحقيق رغائبه جمعاء فيجعلها في طليعة دور الكتب في الامصار الشرقية ! ولاسيا لانه ما برح يتمتع

بنضارة العقل وهمّـة الشباب . فلو فعلت الحكومة ذلك لاحسنت صنعاً واضافت مأثرة جديدة الى مآثرها الحسان . ونحن نعرف ان حكومات العالم تحتفظ بامثال الفيكنت بغية استمرار الاستفادة من مواهبهم وحملًا للغير على التشبه بهم واقتفاء آثارهم ... » .

الفصل التاسع والعشرون

صدى الصحف على اثر استعفائنا من الوظيفة

نشرت الجرائد في الوطن والمهجر خبر تخلّينا عن امانة دار الكتب وعلّقت عليه . فرأينا ان نقتطف منها شذرات نثبتها في ما يلي :

اولا : جريدة الحديث

نشرت جريدة « الحديث » البيروتية بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٣٩ تحت عنوان « هذا رجل خسرته الوظيفة وربحه العلم » قالت : « قضت القوانين المعمول بها ان يُحرم معهد دار الكتب من الرجل الذي قال له : كنْ فكان . ولكن بعد ان ادّى الامانة واهدى الى وطنه مكتبة كبرى لا يُذكر الا وتذكر الى جانب اسمه . فالامّة اليوم تنحني امام الرجل الذي عرف كيف يكتسب احترامها وقال لها : لا تخجلي فلكِ مكتبة كغيرك من الامم المتمدنة .

« سوف يبدو الفراغ كبيراً في دار الكتب لندوة الاختصاص في بلادنا . ولكن الرجل الذي فقدته الوظيفة ربحه العلم . الرجل الذي خطّ لنفسه في سجلّ المكارم آية لن يمحوها الزمان ففي الحياة ميادين ارحب ولدى الفيكنت ثقافة نصف جيل . اننا نتطلع منذ الساعة الى الانتاج الخصيب الذي سينفح العلم به هذا العلامة الجليل الذي انصف الصحافة في مؤلفه الرائع « تاريخ الصحافة العربية » . اننا لا نودّع الفيكنت بل نستقبله رجلاً عالماً تخلص من قيود الوظيفة ليفرغ جهده في سبيل العلم والادب والانتاج الثمين » .

ثانياً : جريدة البشير

نشرت جريدة البشير في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٩ بعنوان « الفيكنت فيليب دي طرازي مفخرة من مفاخر النهضة الادبية والقومية » قالت :

« أسف اللبنانيون كثير الاسف اذ رأوا ان من جملة الذين تناولتهم التنسيقات الاخيرة رجلاً يُعدّ في طليعة العاملين للمصلحة العامة ومفخرة من مفاخر النهضة الادبية والقومية حقاً في هذه الجبهة الشرقية المطلة على ثقافة البحر المتوسط. هو الفيكنت فيليب دي طرازي امين دار الكتب اللبنانية . ونعتقد انه من باب تزداد الامر اذا توسّعنا في مآثر الفيكنت الغرّاء . لانه لم يبقَ واحد من اللبنانيين وغير اللبنانيين الا سمع باعماله الجليلة وفعاله المبرورة لخدمة الفكر المجرّد .

« وكيما يدرك القراء السبب الذي يحمل اللبنانيين على التأثر من جرّاء هذا التدبير الذي نعتقد انه جاء سابقاً لاوانه نورد بايجاز كلّي بعضاً من الاعمال الكثيرة التي اتاها الفيكنت دي طرّازي اثناء توليه امانة دار الكتب ... » . وهنا استرسلت الجريدة في وصف جهود الفيكنت بشأن تأسيس المكتبة وعدّدت تآليفه البالغة في ذلك الحين نحو ثلاثين كتاباً .

ثالثاً : لسان الحال

وقالت جريدة « لسان الحال » البيروتية بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ما يلي :

« منذ عشرين عاما صحّت عزيمة « صديق الكتاب » الفيكنت فيليب دي طرازي على سدّ ثلمة كبيرة في بناء نهضتنا العلمية لم يفطن لها الادباء المفكرون . او فطنوا لها واحجموا عن الاخذ باسبابها تهيباً لخطورة المهمة . رأى الفيكنت دي طرازي ان بيروت اشهر عواصم الشرق في مدنيتها وثقافتها لا تملك مكتبة

وطنية يختلف الى موائدهـــا كل راغب في ارتشاف عصارات القرائح من شتى انواع العلوم والفنون والآداب . فاهمّه الامر كثيراً ومـا لبث ان اسّس دار الكتب في بيروت جاعلاً نواتها مكتبته الخاصة وهي من اغنى المكتبات وانفسها. وراح ينفق على حاجاتها وموّظفيهـــا من ماله مدة ثلاث سنوات حتى ترعرعت المكتبة واستقام امرها . فانتقلت الى الحكومة اللبنانية رجاء ان يتوفر لها ما لا يستطيع بذله الرجل الفرد .

« ظل اديبنا المدقق مشرفاً طول هذه المدة عـــلى المكتبة الوطنية اشراف الزارع على غرسته بل الوالد على ولده متعهداً اياها بكل عطف وعناية . وقاسى الامرّين من اهمال مديرية المعارف ومعاكستها وهو صابر مواظب لا يعتري همته وهن ولا كلال ... واذا كانت الظروف قد قضت على مؤسس المكتبة ان يفارقها هذا الفراق المؤثر فلا ريب عندنا في ان اسم الفيكنت دي طرازي سيبقى مقترناً بها مخلداً مدى الايام . وفي ذلك خير عزاء له كاديب ضحّى بوقته وماله في سبيل المصلحة العامة . والاوساط المثقفة لا تودّعه بل تستقبله في حقـــل الادب الفسيح بكل ترحاب واكبار » ...

رابعاً : صوت الاحرار

وكتبت جريدة « صوت الاحرار » البيروتية بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ ما نصه :

« ليس لي ولا لاحد في البلاد رأي في هذا التنسيق الذي جرى كما لم تكن لاحد فيه يد . فلقد شطح به القلم ولا تقل في ما جرى كيف جرى ... !

« وانْ آسف لشيء فلناحية من نواحي الادارة في هـذه الدولة اللبنانية لحق بها غبن واي غبن في تنحية الرجل الذي اوجدها وكان حياتها طول عشرين عاماً . عنيتُ دار الكتب اللبنانية ومديرها الفيكنت فيليب دي طرازي .

« لا مشاحة في ان الفيكنت دي طرازي علامة كبير . فهو من هذه الصدور التي وسعت كنوزاً من المعلومات القيّمة . وله فوق ذلك ميّزة العمل بما عَلِمَ على اساس غيرة وطنية لا يجادل فيها احد . واني لا اكتفي بذكر انتاجين عظيمين طلع بهما بجهوده : الاول تاريخ الصحافة العربية والثاني دار الكتب الوطنية . فهما له مأثرتان تتضاءل امامهما المآثر .

« لم اقل ان الفيكنت دي طرازي مدّ الله ببقائه خالد . ولا اقول انه يجب ان يعلو على القوانين العادلة المنصفة . ولكني اقول ان تنسيقه على هذه الصورة لا يقرّه عدل .

« كان فرضاً على الحكومة اللبنانية ان تفرد لمنشىء دار الكتب ومغذّيها قراراً خاصا تحيله فيه على التقاعد اذا كان لا بد من ذلك . وتعيّنه مديراً فخريا لهذه الدائرة التي تُعدّ احسن عمل صدر عن الجمهورية اللبنانية . . . فكان يقال حينئذ ان هذه الحكومة تعرف ان تقدر قدر العاملين المجتهدين النزيهين الذين يضحّون بكل جهودهم في خدمة العمل ... » .

خامساً : جريدة الصاعقة

نشرت جريدة « الصاعقة » في بيروت بعنوان «الفيكنت فيليب دي طرازي: آثاره الجليلة في خدمة الثقافة والصحافة » بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ ما يلي :

« عرفت الاقطار الغربية فضل هذا العالم على الادب والثقافة ومنحته اوسمتها العالية . واستقبلته معاهدها العلمية كما تعوّدت ان تستقبل كبار العلماء . فمن الواجب اذاً على حكومتنا ان تقوم نحو الرجل الذي اسدى الى لبنان اجلّ الخدم بما يفرضه عليها واجب التقدير وعرفان الجميل . والا قيل فيها مثلما يقال في خصوم العلوم وليس هؤلاء غير الجهلة ...

« فلولا الفيكنت لما كانت دار الكتب . ولولاه لم يكن للمتأدبين مرجع يعتمدونه في ما يقتبسونه وفي ما ينشئونه . فدار الكتب هي الفيكنت والفيكنت هو دار الكتب . وقد اصبحت اللفظتان مترادفتين . ولسنا نعلم كيف تحيا دار الكتب بعد ان هجرها واضع الحجر الاول في اساسها . بل لسنا ندري كيف يجوز ان تكون الكتب ملكاً للفيكنت ويشرف عليها غير الفيكنت . واذا كان قد اهداها الى لبنان فلكي يقدر له لبنان هديته الثمينة وعمله العظيم . ولكننا نعترض على النكران الذي قابلت به الحكومة هدية الفيكونت وخِدَمه وعمله الجبار .

« على كل ان مكاتب بيروت كلها دورٌ للفيكنت . وهي ترحب به عَلماً منتجاً كما ترحب بتآليفه العتيدة . وها هي صفحات جريدتنا نجعلها منذ الآن ميداناً لقلم الفيكنت . والمثقف يعرف على كل حال ان ينفع ابناء امته موظفاً وغير موظف . فالوظيفة لم تكن يوماً ضالة الفيكنت وانما الكتب وحدها كانت ضالته المنشودة . فهو يعشقها بل هو يعبدها بعد وليّ السماء » ...

سادساً : رقيب الاحوال

اثبتت جريدة « رقيب الاحوال » البيروتية بتاريخ ٣ كانون الاول سنة ١٩٣٩ ما نصه :

« من الجميل ان تذكر البلاد رجلاً وقف على العلم فيها حياته وماله . هو الكنت فيليب طرازي مدير دار الكتب الوطنية المتقاعد اليوم . فالفضل الاكبر في انشاء دار الكتب يعود اليه وحده . ولولاه لَحُرم لبنان مكتبته الوطنية . ولوجب على الدولة ان تبذل الاموال الطائلة كي تشيّد هذا الحصن المنيع الذي شيده لها الكنت طرازي بعرق جبينه وتعب يديه .

« ولا بد لارباب العلم والقلم من ان يعترفوا للرجل بفضله الوضاح. فالاقرار

بالجميل واجب ونحن قد عرفنا الكنت ذلك الحريص على ثمار الادب والعلم ورأيناه يجود بوقته وراحته في سبيل تثقيف العقول لا نرى لنا غنية عن المناداة بجميله وبخدمه لوطنه لبنان. فالعلم والثقافة في هذه الديار مدينان له بالغالي الثمين. ومن المؤسف ان تحرمنا الاعوام مجهوده النفيس . الا ان من قضى طول ذلك الزمن في التعب والجهد يحق له ان يستريح .

« ان الذخيرة الرفيعة القدر التي نضدها الكنت طرّازي وصقلها جوهرة وضّاءة تنطق وحدها بمآثره الرائعة . فالرجل استحق عن جدارة وكفاءة شكر لبنان » .

سابعاً : مجلة الحب والسلام

كتبت مجلة « الحب والسلام » بمدينة حمص في عدد اصدرته بتاريخ كانون الاول ١٩٣٩ مقالا ضافياً اختتمته بما يأتي :

« كفى الفيكنت فيليب فخراً ونبلاً وشرفاً تقدير الصحافة الراقية واعجاب الرأي العام باعماله . بل حسبه شهادة ناطقة بقاء الوف المجلدات الضخمة كاثار خالدة تنطق بفضله وسيذكر اسمه بالتعظيم كلما ذُكرت دار الكتب اللبنانية الكبرى .

« فمجلة « الحب والسلام » تنتهز هذه الفرصة لتبدي اعجابها بمفخرة النهضة الادبية الفيكنت فيليب دي طرّازي الذي تعتزّ به الامة اللبنانية جمعاء . وتتمنى له صحة طيبة وعمراً طويلاً ليواصل جهوده القيّمة في سبيل خدمة الادب والوطن العزيز » .

ثامناً : مجلة العرائس

نشرت مجلة « العرائس » اللبنانية في عددها ١٩ وسنتها الخامسة عشرة ما نصه.

« مما اسف له الجميع ان تنسيقات الحكومة جرفت في تيّارها رجلاً عصامياً جعل للبنان بهمته القعساء وغيرته المتناهية وثقافته الفيّاضة منزلة ادبية وعلمية يُحسد عليها . هذا الرجل هو الفيكنت دي طرازي الذي اوجد شيئاً من لا شيء واتحف لبنان خاصة والشرق الادنى عامة بمكتبة لا تقلّ شأناً عن مكاتب الدول الكبرى ...

« وقد اصبح لبنان اليوم يفتخر بهذا الاثر العلمي الخالد ... والفضل في ذلك لرجل الغيرة والتضحية والعلم والاخلاص الفيكنت دي طرازي الذي وقف حياته لهذا العمل الجبّار ... وعمل باعوام قليلة ما لا يعمله غيره بمئات السنين ... فكان يجب والحالة هذه ان يظلّ الفيكنت على راس دار الكتب حتى تستفيد من مواهبه ... وتظل عينه ترعاها وتسهر على شؤونها » .

تاسعاً : مجلة الكلمة

اثبتت مجلة « الكلمة » الحلبية في عددها الصادر بتاريخ شهر اذار ١٩٤٠ ست عشرة صفحة عن الفيكنت دي طرّازي نقتطف منها ما يلي :

« هذه المكتبة العزيزة المثال في ربوع الشرق احدثها بفكره الصائب وهمته القعساء وقلمه الفياض وسخائه الجم ونفوذه العالي الاستاذ الفيكنت فيليب دي طرازي صاحب « تاريخ الصحافة » الطائر الشهرة . ان من عرف هذا الاستاذ في محتده ومنشأه لا يستغرب صدور هذا الاثر الرائع عنه . ولو لم تخرج هذه الفكرة الى حيّز الوجود وتصبح تلمسها الايدي وتطالعها العيون وتتغذى بها الالباب وترتع في رياضها الخواطر لـعُدّت حلماً من الاحلام او ضرباً من الاوهام .

عاشراً : جريدة البشير

قالت جريدة البشير في ٢ كانون الاول ١٩٣٩ رقم ٥٩٦٥ ما نصه :

« منذ ٢١ سنة اي منذ اليوم الاول الذي استلم فيه الفيكنت فيليب دي طرازي امانة دار الكتب حتى اليوم الذي ترك هذا المنصب لم يأخذ رخصة ادارية واحدة ابداً للراحة . تمكّن الفيكنت دي طرازي في العشر السنْوات الاولى لتأسيس المكتبة ان يجمع ٢٨ الف مجلد دون ان يكلف الخزينة شيئاً . ولكن في السنوات العشر الاخيرة لم تستطع مديرية المعارف ان تجهزها بكتاب نفيس واحد. بعد ان انصرفت الى اقامة الحواجز والحوائل والمضايقات في وجه مؤسسها واغلقت بوجهه كل الابواب ! حُرم الفيكنت دي طرازي من كل زيادة معاش طيلة ١٢ سنة مع ان الكثيرين غيره ممن هم دونه علماً ومقدرة واختباراً — خصوصاً في مديرية المعارف — قد قفزوا سلّم الترقيات درجات ونالوا الزيادات الباهظة ! » .

حادي عشر : الاتحاد العربي

كتبت جريدة « الاتحاد العربي » بتاريخ ١٢ شباط ١٩٤٠ تحت عنوان « الفيكنت دي طرازي حامل لواء النهضة العلمية والادبية في لبنان » ما يلي :

« ... قام الفيكنت طرازي بمشروع جليل يقترن باسمه ابد الدهر . وهو انشاء المكتبة الوطنية التي سهر عليها بنفسه فكانت خير هدية يقدّمها عالم اريحيّ نبيل الى الامة اللبنانية وظلّ ساهراً على غرسته المباركة حتى قضت التنسيقات الاخيرة باقصائه عنها .

« قابلت الاوساط العلمية والاوساط الشعبية على اختلافها هذا التدبير بالدهشة

والاسف . واجمعت الجرائد على انتقاد القرار فكانت بذلك معبّرة عن الرأي العام اصدق تعبير . كيف لا يأسف الناس لمثل هذه المكافأة التي يكافأ بها رجل فرد قام بعمل تنوء به الجماعات . وضحّى هو في سبيله بالمال الوفير والوقت الكثير ! ... الى ان قالت :

ومكتبةٍ انشأتها وطنيّةٍ — لها شأنها ما بين ارقى المكاتبِ
سهرتَ عليها والكثيرون نُوَّمٌ — وحقّقت بالمشروع جلّ الرغائبِ
اذا غبتَ عنها كارهاً لفراقها — فذكرك باقٍ عندها غيرُ غائبِ »

ثاني عشرة : رسالة الدكتور جورج صقال

وبعث الينا الدكتور جورج صقال البحاثة الجليل بتاريخ ٣ كانون الاول ١٩٣٩ من حلب بالرسالة التالية :

« ايها العلامة الرئيس الفيكنت فيليب دي طرازي حفظك الله تعالى .

« قرأت في احدى الجرائد المحلية خبر احالتك على التقاعد . امتعضتُ لذلك وثارت نفسي سخطاً . ما كنت اتوقع ولا دار في خلدي انهم لا يزيدون كلمة شكر على تلك الاحالة . أأمسى الفضل في هذه الربوع مجهولا ؟ أكلّما نبغت في لبنان عبقرية يُقلب لها ظهر المجنّ ؟

« تنقلت طويلًا في بلاد المغرب وشاهدت كثيراً واشهد عن خبرة اني ما رأيت في القوم مَن حاز شهرة في فنّ او قام بمحاولة تجرّ النفع على وطنه الا وهبّت الناس الى التنويه به وتضافروا على شدّ ازره وتخليد مؤسسته بكل ذريعة الا في الشرق . فان المواهب تُدفن ويُسدل على العظماء ومآثرهم حجاب من الكنود !

« اهناك ذو عينَين لا يرى في المكتبة التي انت حفظك الله ابو عذرتها المحاولة التي تكاد تبهر العقول والمأثرة التي لن يكون لها على ممرّ الاعصار أفول ؟

« لقد جئت امرأً بِدعاً يعجز عن الاتيان بمثله مَن في الربوع ولو كان بعضهم لبعض ظهراً .

« لقد احييت ذكرى علمائنا وخلّدت آثار ادبائنا وخلفت للقوم مبآت ومراجع انْ كانوا على ارتشاف سلافة العلوم حريصين وفي استجمام قواهم العقلية والادبية في خمائل الآداب راغبين .

« فما ضرّهم لو شكروا ؟ وما ضرّهم لو ابقوا القوس في يد باريها ؟ ان نفسي لتثور غضباً وان أرثِ فانا ارثي أمّة تجهل الواجب !

« اندب طالعَ قوم تحول دواعي الحسد والتنافس دون تضامنهم . وتُقعد بهم عوامل الجهل والكسل عن الاباء والانفة .

« ابكي حالة شعب ينبذ المواهب ويكفر بالاحسان ويولي ظهره عظماء الرجال!

« وانت ايها الخليل ادرى بما اقول فانك منذ اميطت عنك التمائم ونيطت بك العمائم ما فتئتَ العامل الغيور النشيط الباذلَ العزيز النفيس في خدمة بلادك واعلاء منارة قومك وتشريف وطنك .

« اذا صمتت الالسن نطقت آثارك . وكفى بتاريخ الصحافة التي هي مرآة مآثر الامّة وديوان تاريخها وعاداتها واخلاقها دليلاً . ان في ذلك لآية لقوم يعقلون .

« اما بذلُك الاموال الطائلة في سبيل المشاريع الخيرية والتنفيس عن اخوان البؤس والشقاء فان وصفي ليقصر عنه .

« اذنْ ان نفسي تتسخط وتثور لاغضاء القوم عن الاقرار باثارك ومآثرك.

« ولعلك تنكر علي صراحتي هذه لانك درجت بنبل شيمك وصفاء جوهرك ورسوخ قدمك في سُبل الخير على ان تمرّ بكل ذلك مرّ الكرام .

« نعم وانا على مثالك اتناسى واتغابى بل اتعامى .

« ولكن استأذنك ان انشد فيك ما قاله شاعرنا المتنبي :

« انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي مَن به صمَمُ »

محبك جورج صقّال

الفصل الثلاثون

نحن وخلفنا في امانة دار الكتب

على اثر اعتزالنا امانة دار الكتب في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٩ ظلّ هـــذا المنصب فارغاً زهاء شهرين . وفي ٢١ كانون الثاني ١٩٤٠ عيّـنت الحكومة اللبنانية الاستاذ هكتور خلاط خلَفاً لنا في منصبنا . وهو من اسرة عرفت في طرابلس الفيحاء منذ زمن بعيد واشتهر بعض افرادها بالادب والتجـــارة والرحلات . وانصرف الاستاذ هكتور الى نظم الشعر الفرنسي فبرع فيه ونشر من ديوان شعره جزئين برز اولها مطبوعاً سنة ١٩٣٥ .

وقد بعث الينا هذا الاستاذ ثاني يوم تعيينه رسالة افرنسية لطيفة انبأنا فيها باسناد امانة دار الكتب اليه خلفاً لنا هذا نصها :

Beyrouth, le 22 Janvier 1940

A Monsieur le Vicomte Philippe de Tarrazi en Ville.

Mon Cher Vicomte,

Au moment de prendre possession de ce fauteuil directorial comment ne me sentirais-je pas l'obligé de celui qui, en créant de toutes pièces cette bibliothèque, a fourni au gouvernement l'occasion de m'installer au poste qui correspond le mieux à mes goûts les plus chers ? Si J'étais de ceux qui se prennent pour le centre de l'univers, je me dirais que les voies de la Providence sont bien mystérieuses.

Pareille disposition d'esprit m'étant fort étrangère, je n'en suis que plus à l'aise pour vous exprimer toute l'admiration que j'éprouve pour l'œuvre que vous avez accomplie ; elle ne

rend que plus difficile la tâche qui m'est dévolue. Puissé-je me montrer digne de prendre votre succession ! Je n'aurai qu'à suivre votre exemple. Les yeux fixés sur votre carrière, j'apprendrai à rendre la mienne féconde.

J'atteindrai plus sûrement ce but, si vous voulez bien me faire bénéficier de votre expérience. Aussi me permets-je d'espérer que vous ne cesserez point de témoigner de l'intérêt à cette maison qui demeure toujours la vôtre.

Animé de cet espoir, je vous prie d'agréer, mon cher Vicomte l'assurance de ma parfaite considération et de mon entier dévouement.

HECTOR KLAT

فكتبنا الى الاستاذ هكتور خلاط جواباً في اللغة العربية معربين عما يكنه له قلبنا من الحب والاعتبار متمنين له التوفيق في مهمته الجديدة . وهذا بعض ما جاء في الجواب :

« بيروت في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٠

« الى حضرة الشاعر اللوزعي السيد هكتور خلاط المحترم
امين دار الكتب اللبنانية في بيروت

« يا صديقي العزيز

« وردتني رسالتك اللطيفة مؤرخة في ٢٢ الجاري . فسُررت سروراً عظيماً اذ انبأتني بتقلدك منصب امانة دار الكتب في هذه العاصمة . . . وما اوصلك الى هذه المرتبة الا ادبك العالي ونبالة خلقك وصدق مبادئك . فاسمح لي ان اهنئك بها من صميم قلبي متمنياً ان تكون اسعد مني في خدمة العلم والامّة والوطن .

« وبعد الاختبار الطويل وامعان الفكر ارى ان مهمتك شاقة تكتنفها

الاشواك وتعترضها المصاعب والمتاعب من كل ناحية . وقد تحتم ان اصرّح لك بهذه الحقيقة المؤلمة حباً لخيرك لا لتثبيط عزيمتك واخفاق آمالك .

« انك شاب في مقتبل العمر يا عزيزي هكتور ولاجل ذلك اتفاءل بحسن مستقبلك لانك تستطيع النهوض بالمهمة الموكولة الى لياقتك على احسن ما يُرام من النشاط والحكمة واصالة الرأي .

« ولكن انّى لك ذلك اذا استمرت العراقيل حواليك مما سينغّص عيشك ويقضّ مضجعك ليلاً ونهاراً ؟ لقد نُكبتُ انا قبلك بهذه المصيبة الفادحة التي بلبلت احوالي ورافقتني كالظل في ايام شيخوختي . ونُكبتْ معي ايضاً المكتبة وموظفوها مدة تسعة اعوام متواصلة (١٩٣١ - ١٩٣٩) لم نذق خلالها لذة الاشتغال في جوّ هادىء ! فوآسفاه على بيوت العلم تمسي مسرحاً في بلادنا لغير ما انشئت لاجله !

« ان حديثي معك يا عزيزي هكتور صادر عن جوارح شيخ عركه الدهر وعن سريرة طاهرة تشتهي لك الخير والفلاح والبركة اينما حللتَ وحيثما اتجهت . بل يشهد الله ان لا غاية لي سوى تحذيرك من سوء العاقبة لِما صادفته انا من العراقيل والعراقيب .

« فانبّه خاطرك الى مراعاة الحزم والفطنة في دائرة عملك تأميناً لنظامها وحرصاً على حسن سمعتها ومحافظة على السلام والمحبة والوفاق بين موظفيها . ونظراً الى ما اعهده فيك من ثقافة عالية ومزايا شريفة اومل انك تتوفق في ادارة المكتبة وتسير بها في جادة النمو والازدهار . لانها محتاجة الى امثالك من ذوي الامانة والاستقامة والاخلاق السليمة .

« سدّد الله خطواتك يا عزيزي هكتور لاعلاء شأن الآداب واقرّ بك عيون اصدقائك وابناء وطنك الذين يقدرون فضلك واطال الله بقاءك .

اخوك

فيليب دي طرّازي »

الفصل الحادى والثلاثون

الجهود فى تعزيز دار الكتب وانماء ثروتها

لا يعلم الا الله سبحانه وتعالى ما كابدته من الجد والعنـــاء وما انفقته من الوقت والمال حتى كوّنت دار الكتب وعزّزتها وجعلتها في مركز جدير بالعاصمة اللبنانية . فقد وصلت الليل بالنهار كالمتيّم الولهان في تجهيزها وانماء ثروتهـا دون ان يستحوذ عليّ اليأس او يأخذني الملل . ولا غرابة في ذلك لانه

لا يعلم الشوقَ الا مَن يكابده ولا الصبابةَ الا مَن يعانيهـا

ارتحلت الى القاهرة عام ١٩٢٤ ومررت يوماً بمكتبة « موسكاتو » . فلفتت نظري مجموعة فرنسية من اندر المجموعات العلمية وانفسها واغلاها عنوانهـــا « وصف مصر » وبالفرنسية « Description de l'Egypte » تقع في ٣٧ مجلداً : منها ٢٤ مجلداً تتضمن متون الكتاب و١٣ مجلداً تحوي مصوّراته . واكبر تلك المجلدات حجماً يبلغ طوله مـــتراً و٥ سنتمترات وعرضه ٦٧ سنتمتراً . وهذه المجموعة الفريدة صنّفها فريق من علماء الفرنسيس رافقوا نابليون بونبرت عـام ١٧٩٩ في حملته على وادي النيل . فدوّنوا فيهــا جميع ما شاهدوه في الاقطار المصرية من آثار الحضارات والصناعات والفنون قديمها وحديثها .

استفسرت صاحب مكتبة « موسكاتو » عن ثمن المجموعة فقال : « ليست برسم البيع » ثم اردف يقول : ان جلالة الملك فؤاد الاول اوعز اليّ منذ اعوام ان ابحث عنها واشتريها . فلم اتوفق الى تحقيق رغبته الا منذ بضعة ايام لانها اصبحت اعز من بيض الانوق ! اما قيمتها فلا تقل عن اربعمائة جنيه مصري ذهباً .

صمّمت حين ذاك ان استنفد كل جهد وانفق كل غالٍ في الحصول على نسخة من تلك المجموعة حتى توصلت الى العثور على بعض اوراق منها سنة ١٩٢٥ في رحلتي الى باريس . فاشتريتها فوراً ثم نشطت الى التفتيش عن غيرها في حوانيت تجار الكتب هناك . وصرت اوصي واحداً فواحداً من اولئك التجار ليلتقط ما يقع تحت يده منها ويشتريه لحسابي مهما كلفه ذلك . ولم اغفل بدوري عن تفقد مستودعات المجامع العلمية والمكتبات والجامعات حتى ظفرت شيئاً فشيئاً بمفردات المجموعة كلها . على هذه الصورة الشاقة تمّ لي تكوين نسخة كاملة من كتاب « وصف مصر » . ذلك بعد شق النفس وطول الاناة ومواصلة التنقيب والمراسلات مدة سبعة اعوام . فنضدتها ورقة ورقة طبقاً لمضامينها وتسلسل ارقامها وعنيت بتجليدها تجليداً محكماً واتحفت بها دار الكتب اللبنانية .

ونهجتُ المنهاج ذاته في الحصول على مجموعة مجلة « الطبيب » التي انشأها عام ١٨٧٨ الدكتور جورج بوست في بيروت . فطفقتُ اطوف بيوت الادباء وحوانيت باعة الكتب ومستودعات المطابع والتقط من هنا وهناك ما وجدته منها مهجوراً بين اكداس الكتب او بين الكراريس المهملة . وبهذه الوسيلة حصلت على مجموعة كاملة منها اعتقد انها الوحيدة من نوعها على الاطلاق .

وعلى غِرار مجلة « الطبيب » كوّنت مجموعة تامة من مجلة « الجنان » القديمة العهد والعزيزة الوجود . وهي التي انشأها المعلم بطرس البستاني عام ١٨٧٠ وبلغ عدد مجلداتها ستة عشر مجلداً ضخماً . وقس على تلك المجموعات الثلاث كتباً نادرة ومجموعات وافرة عانيت في البحث عنها والحصول عليها اتعاباً جسيمة . ثم اهديتها برمّتها الى دار الكتب ليستفيد منها ابناء وطني المحبوب .

على ان بعض الجرائد استرسلت في التحدّث عن تلك الجهود في تكوين هذا البيت الثقافي . واليك ما صرّحت به جريدة « الروّاد » في هذا الصدد بتاريخ ١١ شباط ١٩٣٧ قالت :

« ... ليست الجهود التي بذلها الكنت دي طرازي في سبيل المشروع الادبي العظيم من النكرات التي تفتقر الى الابواق واناشيد الأدباء وغناء الاقلام .

« فاذا ما قلنا كلمة في دار الكتب اللبنانية لا نكون قد اتينا بالعجائب وابتكرنا جديداً مدهشاً . فهذه الدار عجيبة بالجهود التي تغمرها ومدهشة بالكمال الذي يعانقها . هي من المفاخر التي تملكها الحكومة في هذا الوسط الشرقي والتي بوسعها التفاخر بها امام حجّاج هذه البلاد الاجانب .

« ولو استعرضنا تاريخ نشأة هذه المكتبة وتصفحنا المراحل التي اجتازتها والمواد التي غذّتها بمثل هذا الغذاء الدسم وجبت علينا اقامة التماثيل للرجل النبيل الكنت طرّازي الذي عرف كيف يكمّل جمالات لبنان ويزينها بمثل هذا الكمال .

« مَن يدخل اليوم القصر الفخم الذي تقوم فيه دار الكتب يلمس عظمة هذا المشروع وقيمة نتاج هذا الجهاد الشاق الذي انفرد به رجل هو شامة جميلة في وجه العبقرية اللبنانية الفذّة .

« ان القيّم على قصر الكتب قد خدم البلاد خدمة صادقة لم يسبق ان نجمت عن غيره خدمة مثلها . وعُنق الامّة مُثقل بنتاج جهاده والحكومات السابقة قد تعامت عن تقديره. انما وسط التاريخ حفل بدرر وعقود لم تحفل بها دواوين السراي.

« اجل ! ان الرجل عمل اكثر مما عمل جميع الرجال الذين مرّوا على لوحة الحكم في لبنان . فهلا ترى الوزارة الشعبية ان واجبها يقضي بان يتغذّى هذا الجهاد ليكثر من مثل هذا الانتاج ? »

ونشرت جريدة « المكشوف » بعنوان « الفيكونت دي طرازي ملك الكتب » في ١٦ حزيران ١٩٣٧ ما نصه :

« كل شيء في دار الكتب يحدّثك عن جهود الفيكونت دي طرازي . فلا تكاد تطلع على تاريخ حياته الادبية وعلى انصرافه الى التأليف من جهة والى اقتناء الكتب من جهة ثانية حتى تثق كل الثقة ان حضرة الفيكونت هو اليوم بلا منازع ملك الكتب في لبنان ! وان حياته الكتبية تنطوي على اخبار فريدة جديرة بالنشر . وان اسمه سيدخل حتماً في تاريخ المكاتب العالمية لما بذل ويبذل من الاوقات والاموال في سبيل الحصول على المخطوطات النفيسة والمؤلفات النادرة . واننا نكتفي بذكر قسم من هذه المجهودات على سبيل الاعجاب بهذا الرجل المتفوّق الذي تمكن بوسائله الخاصة من ان يخلق للبلاد مؤسسة اهلية يستطيع ان يفاخر بها كل لبناني ...

« وهو الذي اسّس دار الكتب على نفقته الخاصة . فانفق عليها من جهوده مسافراً مؤلفاً منقباً باذلا حتى ألحقها سنة ١٩٢٢ بدوائر الحكومة والحق نفسه بها . فلولا هذا الرجل الكبير لمّا كانت لنا المكتبة الوطنية التي تضاهي مكاتب كثيرة من مكاتب الشرق والغرب في المدن العظمى ... واذا كانت الحكومات في بلاد الناس هي التي تنصرف الى مثل هذه الاعمال الكبيرة فالفيكونت دي طرازي قد قام في لبنان مقام حكومة ! » .

وكتب صاحب جريدة « ارزة لبنان » في ٢١ شباط ١٩٣٧ قال :

« ... دخلنا مكتب مدير دار الكتب سعادة الفيكنت دي طرازي . فاذا بنا لدى الجبّار المجاهد الذي شاد للبنان مجداً علمياً عزّ على سواه في هذا الشرق . وفيما كنا ننظر الى الفيكنت بجبهته المجعّدة ونظارتيه غير المستويتين وشعره المبعثر في راسه الكبير تذكّرنا علّامة البرازيل بل علامة اميركا الجنوبية المغفور له دوي بربوزا لما زرناه خلال سنة ١٩١٧ في مكتبته الخاصة . وقد ابى الابتعاد عنها يوم انتُخب رئيساً للجمهورية باكثرية مطلقة . فرفض منصب الرئاسة وظلّ ملازماً مكتبته » .

الفصل الثاني والثلاثون

حالة المكتبة بعدما تنحينا عن ادارتها

سجّلنا في فصول سابقة ما بذلناه من اموال وما عانيناه من مشقات وما قمنا به من رحلات في سبيل انشاء دار الكتب اللبنانية وتعزيز شأنها وتعميم فوائدها بين خاصة القوم وعامتهم . وبعد مرور عدة اعوام على اعتزالنا منصب امانتها نرانا مرغمين بملء الاسف على التصريح بانها اخذت في التقهقر والانحطاط بسبب ما اعتراها من الاهمال وما حلّ بها من التضعضع . اجل اننا ما كدنا نغادر منصبنا حتى تفشّت الفوضى في كل ناحية من نواحيها . فاستحوذت الكآبة على قلبنا لما شاهدنا ذلك الانقلاب السريع في مكتبة انشأناها بجهودنا وغذيناها بمالنا وسقيناها بعرق جبيننا وصبغناها بدم قلبنا . ولم نتمالك ان وجّهنا تقارير مُحكمة الى وزراء التربية الوطنية والى رؤساء الجمهورية اللبنانية نلفت انظارهم ليتلافوا امرها ويرأبوا صدعها .

ولكي يقف الخاص والعام على شؤونها بعد تنحينا عنها نورد للقارىء النجيب نتفاً مما نُكبت به من الرزايا فنقول :

اولا — في المكتبة بعض موظّفين لا المام لهم بفن المكتبات وهم يقضون اوقات العمل في تدخين التبغ او في قراءة الجرائد او التشاغل مع الزوار .

ثانياً — في المكتبة موظفون لا يستطيعون ان يكتبوا عبارة عربية صحيحة دون غلط . ومنهم مَن لم يطالع كتاباً من الكتب طول عمره . وفضلاً عن ذلك فان المكتبة خالية من دليل او كتاب يسترشدون في الامور الهامة .

ثالثاً – تضم المكتبة فريقاً من الموظفين لا يتعاطون شيئاً من اشغالها على الاطلاق. بل لا تشاهد المكتبة وجوههم الا في سلخ كل شهر عندما يأتون ليقبضوا المعاش . ان كلًا من اولئك الموظفين الساخرين بالوظيفة ينتمي الى شخصية بارزة كوزير او نائب او مدير يدافع عنه ويحمي ذماره فلا يتقيد بقانون ولا يشمله عقاب .

رابعاً – حرمان اقدم موظفي المكتبة وانبغهم واوفرهم امانة واخلاصاً درجات الترقي القانونية خلال اثنتي عشرة سنة . بينما يُنقل احد خدامها الامين الى دائرة اخرى فيقفز درجات متعدّدة في سلّم الادارة خلافاً للحق والعدالة والقانون . هكذا امست رتبة ذلك الخادم الاميّ بين ليلة وضحاها اعلى من رتبة اولئك الموظفين القدماء الامناء المثقفين الذين عليهم مدار العمل في المكتبة .

خامساً – اختفاء عدد عديد من مجلدات ثمينة ومجموعات نفيسة انتزعناها من خزائننا الخاصة واهديناها الى دار الكتب . او تجشمنا اوفر المشقات في جمعها من اقطار الشرق والغرب . وقد شق امر اختفائها علينا وعلى كل من سمع الخبر او عرفه (١) .

سادساً – اختلاس طائفة كبيرة من كتب مكرّرة كانت في مستودع دار الكتب وبيعها بالوزن طمعاً باثمان الورق الذي تفاقمت اسعاره في الحرب الكبرى الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) .

سابعاً – مما يؤسف له ان دار الكتب سبقت فحشدت في مستودعاتها مجموعات جمّة من جرائد الجمهورية اللبنانية . وضمت اليها مجموعات اكثر الجرائد العربية التي صدرت في سوريا والعراق وفلسطين ومصر وتونس واميركا الشمالية واميركا

---

(١) جريدة الحديث ببيروت : عدد ٢٠١٩ في ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٥ .

الجنوبية . فهذه الصحف بامرها قد سبقت ُ فتعبت كل التعب في جمعها وتنظيمها ثم هيأتها للتجليد كي تُحفظ في المكتبة اللبنانية اسوة بدار الكتب المصرية وسائر دور الكتب في المدن الراقية . غير ان بعض اولياء المكتبة المؤتمنين على مفاتيح تلك المستودعات اغتنموا فرصة غلاء الورق في الحرب المذكورة فباعوها جزافاً من البدّالين والبقالين . فارتكبوا جناية فظيعة بجرمهم العلم والتاريخ فوائد كثيرة كان حقها ان تظل محفوظة للاجيال التابعة . ولا ريب في ان تلك الصحف كانت سجلاً ثميناً انطوى على وقائع بلادنا الشرقية وعلى اخبار جاليتنا في ديار هجرتهم .

ثامناً — اختلاس آلتين للكتابة عربية وافرنجية اهديتها الى المكتبة . وهما غير الآلتين المستعملتَين فيها الان . والمسؤول عن جميع تلك الاختلاسات هو بلا ريب امين دار الكتب المعاون الذي كان متسلماً وحده مفاتيح المستودع المذكور.

تاسعاً — تحوي دار الكتب اللبنانية نحو ثمانية آلاف مجلد عربي ُسجل نصفها طبقاً لطريقة التنسيق القديمة . وتأجل الباقي ريثما ينجز كتابي الذي تفرغت لوضعه زهاء عشرين سنة وسمّيته «ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب». ذلك ليتسنى تسجيل الكتب العربية برمتها وفقاً للطريقه العشرية الحديثة . غير ان مدير المعارف حال يومئذ دون نشر الكتاب بالطبع كما سلف الكلام فظل العمل مهملاً .

عاشراً — ان الغبار الكثيف يعلو رفوف الكتب والرسوم الزيتية وسائر التحف والطرف حتى كاد يذهب رونقها او تبلى .

حادي عشر — تجاسر بعض الرعاع فمسخوا جدار المكتبة من اسفل السلّم حتى اعلاها بكتابات بذيئة شنيعة تشمئز منها النفوس الابيّة والاذواق السليمة وبقيت تلك العبارات المكتوبة بحروف خشنة مدة ثمانية شهور دون ان يتوخى

احد المسؤولين في المكتبة تطهير جدرانها من تلك الادران السافلة . وبتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٤٢ تعهد المكتبة الاستاذ رامز بك سركيس وزير التربية الوطنية . فوقع نظره على تلك الخطوط المستهجنة فاستنكرها كل الاستنكار واصدر الاوامر بتنظيف الجدران من تلك الاقذار اجلالا لمقام المكتبة وشرف روّادها . وقد وبخ موظفي المكتبة المسؤولين توبيخاً عنيفاً لتهاونهم في صيانة كنوزها وانتهاكهم حرمتها وعدم محافظتهم على شرف دولتهم وكرامتها . ذلك ما انتهت اليه حالة المكتبة يومئذ من التهاون والاستهتار .

الفصل الثالث والثلاثون

ابرهيم معوض امين دار الكتب الحالي

انتظم الاستاذ ابرهيم معوّض في سلك موظفي دار الكتب اواخر العام ١٩٢٤ وما لبث ان تعيّن سكرتيراً لها فنهض باشغال وظيفته نهوضاً مشكوراً . وقد طوى معي خمس عشرة سنة (١٩٢٤ – ١٩٣٩) في تلك الدائرة لم انتسّم منه خلالها غير الهمة والصدق وسلامة الطوية . فكان مثال العامل الحقيقي باخلاقه وآرائه فضلاً عن اكبابه على النهوض بما فرض عليه من الواجبات . وقد اصابه ما اصابني من غمط الحقوق مما يتنافى والعدل وكرامة الوظيفة والعواطف الانسانية . فتحمّل ذلك كله كما تحملته انا بصبر جميل نظراً الى ما عُرف عنه من تربية صحيحة وادب جمّ .

ولما فرغ كرسي امانة دار الكتب بتعيين السيد هكتور خلاط قنصلاً لبنانياً في مدينة سان باولو بالبرازيل اتجهت الانظار الى الاستاذ ابرهيم الذي برهن عن كفاءة تامة مقرونة بادارة حكيمة وخبرة طويلة . فاصدر رئيس الجمهورية مرسوماً مؤرخاً في ٢٣ شباط ١٩٤٦ بتنصيبه اميناً لدار الكتب مكافأة لجهوده واخلاصه. وقد سارت دار الكتب في عهده سيراً محموداً يدل على ما اتصف به من النباهة والنزاهة والحرص على الكنوز التي يتولى امانتها وقد زادت في ايامه زيادة ملموسة يحمد لاجلها .

الفصل الرابع والثلاثون

عناية وزارة التربية بتعزيز دار الكتب

تنبهت وزارة التربية الوطنيـــة والفنون الجميلة الى الحيف الذي الحقه بعض موظفيها السابقين بدار الكتب اللبنانية . فقامت اليوم تعالج بحكمتها هذا الحيف بتعزيز هذه الدار الثقافية واعادة الاعتبار لمقامهـــا الادبي . هكذا تيسر لتلك الوزارة ان تفتح عصراً جديداً من الرقي والنجاح لذلك المعهـــد الادبي بتوفير موارده التي اصبحت الان اضعاف اضعاف ما كانت عليه في الماضي . وبعدما كانت تلك الاعتمادات المالية لا تتجاوز احياناً ثلاث مابة ليرة لبنانية في العام الواحـد بلغت في بعض الاعوام المتأخرة زهـــاء خمس وعشرين الف ليرة لبنانية . وبهذه الوسيلة استطاعت دار الكتب ان تقتني في كل سنة الوفاً من المجلدات التي يحتاج اليها رواد المطالعة وطلاب العلم . اضف الى ذلك تزويد دار الكتب بكل ما تحتاج اليه من التسهيلات والمقتنيات المادية والادبية .

فنسدي الشكر للوزارة المشار اليها على مكرمتها السخية وعنايتهـا بتنشيط المعارف واعلاء شأن العلم بين ابناء الوطن .

الفصل الخامس والثلاثون

مجموعة الصحف العربية والشرقية

تفرّدت دار الكتب اللبنانية بمجموعة نفيسة من الصحف العربية وغير العربية التي صدرت في الانحاء الشرقية والغربية . وهي فريدة تسنّى لي جمع شتاتها وتنظيمها والحرص عليها حتى اصبحت قرّة للعين ومرجعاً لاهل البحث وروّاد الآثار الصحافية . واليك كلمة وجيزة عن تلك المجموعة من يوم انشأتها عام ١٨٨٧ حتى دخولها عام ١٩٤٦ في حوزة الجمهورية اللبنانية :

١ ـ انشاء المجموعة

شُغفتُ منذ حداثتي بمطالعة الصحف العربية والحرص عليها . وخطر ببالي منذ السنة ١٨٨٧ ان اضع تاريخاً للصحافة والصحافيين . فاخذتُ التقط تلك الصحف من شتى الاطراف وافتّش عن شواردها وغرائبها وبقاياها البالية وعتائقها المهجورة حتى ظفرتُ منها بسهم وافر . ثم جعلت اراسل الصحافيين والادباء والاصدقاء ومحبّي الآثار الكتابية في طول البلاد وعرضها. واقمت وكلاء ورقباء في كل قطر اطمعتهم بالمال واتحفتهم بالهدايا وكلفتهم ان يجمعوا لي كل ما نُشر او يُنشَر في صقعهم من جرائد ومجلات . ولم اكتفِ بذلك بل نهضت باسفار شاقة الى اطراف اسيا وافريقيا واوربا وراء هذا الهدف المأثور . فكان لي منها ما كان بتوفيق الله عزّ وجل .

٢ ـ قسم المجموعة العربي والاقتصار فيه على العدد الاول

ازدادت الصحف العربية في مختلف البلاد فازداد نشاطي الى احرازها . غير

اني رأيت ان جمعها برمّتها يتطلب اموالا طائلة ويفتقر الى اماكن واسعة تُحشد فيها . فاكتفيت بانتقاء العدد الاول من كل صحيفة وضممت الى ذلك اعداداً ممتازة صدرت في مواسم خاصة او في وقائع تاريخية مشهورة او في احوال استثنائية . وكان اذا تعذّر علي الحصول على العدد الاول استأثرت بالعدد الثاني او الثالث . هكذا تجمّع لدي زهاء اربعة آلاف جريدة ومجلة عربية مختلفة العناوين ظهرت في انحاء المعمورة . بينها اكثر من ثلاثة الاف صحيفة ذات عدد اول .

٣ ـ قسم المجموعة غير العربي

عُنيت ايضاً بجمع كل ما نُشر من الصحف في لغات حروفها شرقية كالتركية والفارسية واليونانية والارمنية والعبرية والسريانية والحبشية والكردية والتترية والاردوية الخ . ثم ألحقتُ بها صحفاً اوربية طُبع جانب منها في بلاد الشرق او انشأها الشرقيون في بلاد الغرب . وقــد اربى عددها على ثلاثة الاف صحيفة فاصبح مجموع هذه وتلك سبعة آلاف صحيفة ونيفاً .

٤ ـ تنظيم المجموعة

راعيتُ في تنظيم المجموعة وضعَيها الجغرافي والتاريخي معاً . فقسمتها عملاً بالتنظيم الجغرافي خمسة اقسام كعدد قارات الارض . ثم قسمتُ كل قارة الى دُول وجعلت للدول فروعاً وفروعَ فروعٍ تتناول عواصمها ومدنها وقراهــا . وجريتُ عملاً بالتنظيم التاريخي طريقة التسلسل في صدور كل صحيفة من القديمة نشأة حتى الحديثة عهداً . ونظمت لتلك الصحف عــلى اختلاف لغاتها وبلدانها فهارس مستوفاة احتوت على عنوان الجريدة او المجلة وعلى اسم منشئها وعددها وتاريخها ومكان صدورها .

٥ ـ المجموعة في نظر العلماء وهواة الاثار

ذاع خبر المجموعة في الاقطار الشرقية والغربية على اثر ظهور الاجزاء الاولى

من مولّفي « تاريخ الصحافة العربية » عام ١٩١٣ فجعل فريق من العلماء وهواة الآثار يراسلوني في استنساخ بعض اعداد منها اكل الدهر عليهـا وشرب . وراح فريق ثان يطلب رسوماً فوتغرافية عن بعض اعداد ممتازة او فريدة يهمه امرها . وحاول قوم احراز قسم من المجموعة كالتركي او الارمني على حدة ودفعوا لي مبلغاً وافراً . فرفضت البيع لاني احببت واحب أن تُحصر المجموعة برّمتهـا في حوزة دولة تقدر قيمتها وتحرص عليها .

وفي ربيع السنة ١٩٢٥ وفد عليّ عالمان مستشرقان ليُشرفا على ما لديّ من الصحف التركية لا غير . ولبثا يختلفان الى منزلي ستة عشر يوماً حتى اعجبا بتلك الصحف كل الاعجاب وصرّحا لي بانهما لم يظفرا في البلاد التركية عينها بما ظفرا به في مجموعتي التي اشتملت على سبعمائة وستين صحيفة تركية مطبوعـة بحرف عربي امّحى ذكره في اثناء رئاسة اتاتورك للجمهورية التركية .

٦ ـ نوادر المجموعة وفرائدها وغرائبها

انطوت المجموعة على فرائد لست ابالغ اذا قلت انهـــا جواهر ثمينة او درر يتيمة . وقد دفعت ثمناً لبعض الجرائد يضاهي اكثر من وزنها ذهباً لتيقني انه ليس لها نسخة ثانية في العالم . فاشتريت مثلاً جريدة « الانبـاء » لابرهيم المويلحي في مدينة ليفورنو واشتريت كلّا من جريـــدة « مرآة الاحوال » و « الخلافة » و « الغيرة » الصادرة في لنـــدن بمبلغ اثني عشر جنيهاً ذهباً وابتعت كلّا من « جريدة « برجيس باريس » و « الشمس » في باريس و « المستقل » في غاليـاري بجزيرة سردينيا بمبلغ مائة وثمانـــين فرنكاً ذهباً . واقتنيت كلّا من جريدة « ابو نظارة الزرقاء » و« بستان الاخبار » في القاهرة و « نفير سوريا » في بيروت و « الاعتدال » في الاستانة بمبلغ عشر ليرات عثمانية ذهباً ، وقس عليها كثيراً من نوادر المجموعة تُعدّ كما نوّهت من اثمن الجواهر وانفس الدرر . واتفق لي غـير مرة ان اضطررت الى مشترى مجموعات كاملة من الصحف طمعاً بالحصول عـلى عددها الاول لا غير .

٧ ـ الصحف الخطية في المجموعة

مما يلفت الانظار في المجموعة ما تضمنته من صحف شتى مخطوطة باليد كان بعض اصحابها قد فرّوا من ديار الشرق الى ديار الغرب ليعيشوا تحت راية الحرية والطمأنينة . فكانوا لِندرَة المطابع العربية في اوربا يكتبونها بخطوط ايديهم او يطبعونها على الحَجر . ثم يرسلونها الى القطر المصري والبلاد العثمانية ولاسيما الى عاصمة السلطنة في بريد دولة اجنبية او ضمن رزم تجارية او يبعثون بها عـلى يد السفراء والقناصل . ولهذه الصحف الخطّية شأنها الاثري لا من حيث اشتمالها على خطوط منشئيها فقط بل لِندرتها وخطورة مواضيعهـا وتباين نزعاتها السياسية ولهجاتها الاقليمية واشكال خطوطها البديعة التي تنمّ عن براعة اصحابها وكمال ثقافتهم.

٨ ـ التنافس في اقتناء المجموعة

اشرف رهط من العلماء والمستشرقين واهل الثراء ومحبي الاثار القديمة عـلى هذه المجموعة الصحافية واثنوا الثناء الجم عليها وتاقوا الى الظفر بها . ولم يتمالـك بعضهم من المجاهرة بانه « يستحيل على دول الارض قاطبة بعد الآن ان تكوّن مجموعة تضاهيها عدداً وخطورة وكمالا !

وممن رغب في اقتناء المجموعة نظام حيدر آباد في الهند فقد عرض ثمناً لها قدره خمسة الاف جنيه انكليزي ذهباً . وعالجت جامعة شيكاغو مشتراها عـلى يد عميدها يوحنا برستيد بمبلغ خمسة وثمانـين الف دولار . وطلبت جامعة القدس اليهودية شراءها بمبلغ اربعة الاف جنيه ذهباً . ذلك كله طبقاً لوثائق رسميـة محفوظة لدي . انما آثرت ان اهبها هبة لجامعة فؤاد الاول في القاهرة لتيقني بانها تكون هناك في حرز حريز يتعهدها اولياؤها ويحرصون عليها ويواصلون الجهود في انمائها .

٩ ـ دور الجمهورية اللبنانية في المجموعة

اطّلعت الجمهورية اللبنانية على ذلك كله فكـبُر عليها خروج هـذه التحفة

الثمينة من بلادها . وحرصت على الاحتفاظ بها في العاصمة فقرّرت ضمّها الى دار الكتب الوطنية لتنشيء منها معرضاً يعزّز مقام الصحافة الشرقية عموماً واللبنانية خصوصاً . اما الآن وقد غدت هذه المجموعة النفيسة في حوزة لبنـان وطني العزيز فلست ارى الا ان اهنئه بها . وألفت انظار اوليائه ليصدروا الاوامر الى ادارة المكتبة كي تتعهدها وتحتفظ بها كما تعهدتها انا واحتفظت بهـا مدّة ستين عاماً . ولتكن مباركة على لبنان وعلى دار الكتب العزيزة على قلبي !

١٠ ـ محـاولة انتزاع المجموعة الصحفية من الحكومة اللبنـانيـة وعريضتنا الى رئيس الجمهورية بهذا الشأن

حاول بعضهم انتزاع هذه المجموعة الصحافية من يد الحكومة اللبنانية فاخذوا يهيجون الخواطر ويحيكون الدسائس للفوز بالمرام. فنهضت للحال اقاوم محاولات اولئك النهامين الذين ارادوا الاصطياد في الماء العكر . ولاجل ذلك قابلت رئيس الجمهورية اللبنانية ورفعت اليه عريضة اصرح فيها بخطورة المجموعة راغباً اليه ان يصدر الاوامر بابقائها في لبنان والمحافظة عليها . فما كان من رئيس الجمهورية الا ان ادرك نفاسة هذه المجموعة الصحافية وقيمتها الاثرية والادبية فاتخذ قراراً بمجلس الوزراء يضمن بقاءها في حوزة الحكومة اللبنانية والحرص عليها الى ما شاء الله . واليك نص العريضة المذكورة :

فخامة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم

بعد تادية فروض الاجلال والاخلاص .

طالعت في بعض الجرائد ان مجلس الوزراء قرر ان يدرس قضية مجموعـــة الصحف ليتبين هل يجب ان تعتبر في جملة الاثار ام لا ؟ فاذا كان الاول حتم ان يحتفظ بها عملاً بقانون « حفظ الاثار » والا فمن الجائز التسمح باخراجهـــا من لبنان .

استأذنكم يا صاحب الفخامة في التصريح بان مجموعة الصحف المشار اليها يجب

ان تعتبر بكل حق من اثمن الآثار التي يفرض على لبنان ان يحرص عليها لكونها فريدة من نوعها ولا نظير لها في بلاد الشرق والغرب على الاطلاق .

لعمري كيف لا تعتبر هذه المجموعة في حكم « الاثار » وقد حوت العدد الاول فقط او الاقدم من كل جريدة ومن كل مجلة عربية وشرقية ظهرت في الخافقين ؟ وقد التقطتها بعناء جسيم من اطراف آسيا وافريقيا واوروبا واميركا الشمالية والجنوبية . وقضيت ستين سنة كاملة عاكفاً ليل نهار على البحث والتنقيب والمراسلة حتى تيسر لي الظفر بفرائدها وخرائدها . ثم نظمتها تنظيماً جغرافياً وتاريخياً محكماً لتسهيل مطالعتها .

لا يخفى على فخامتكم ان كل كنز ثمين قلّ من يكترث له او يعرف قيمته ما دام محتجباً عن الابصار . ولكنه متى عرض للعيان تجلت خطورته وتهافت الغادي والرائح للاشراف عليه والتثبت من حقيقة شأنه .

اعتقد يا صاحب الفخامة اعتقاداً راسخاً ان الحكومة اللبنانية متى تسنى لها تنظيم تلك الجواهر الثمينة بشكل معرض في دار الكتب تقاطر جماهير الادباء والصحافيين وعلماء المشرقيات من كل حدب وصوب ليطلعوا عليها ويستفيدوا من مضامينها ويطلقوا الالسنة بالثناء على تشبث اقطاب لبنان ببقائها في وطنهم .

وحسبي ان اذكر لفخامتكم على سبيل المثل جريدة « لبنان » التي اسسها عام ١٨٦٧ سلفكم داود باشا المغفور له ونشرها باللغتين العربية والفرنسية في بيت الدين عاصمته . فهي بلا ريب قطعة اثرية ثمينة لا نظير لها البتة . وهيهات ثم هيهات ان تفوز الحكومة اللبنانية في عهدنا بمثال منها ولئن بذلت مليوناً من الليرات ثمناً لها . قيسوا عليها مئات والوفاً من الصحف الثمينة التي انطمس خبرها وباد اثرها ولم تبقَ مكنوزة الا في هذه المجموعة فقط .

لست اغالي يا صاحب الفخامة ان صرحت بانه يستحيل على دول الأرض طراً ان تكوّن مجموعة تحاكي هذه المجموعة بعددها واهميتها وترتيبها وكمالها . لان

اغلب تلك الصحف كما تعلمون دخل في خبر كان ونسجت عليه عناكب النسيان . وقد سبق فريق من هواة الآثار فدهشوا بما شاهدوا بينها من صحف جمة نادرة الوجود منقطعة النظير وجاهروا على رؤوس الاشهاد بانه يتعذر الحصول على انموذج منها ولو بذل في سبيل مشتراه غنى كسرى ومال قارون .

بعد هذا التصريح نرى البعض واقفين بالمرصاد يحاولون انتزاع هذه المجموعة الفريدة من يد الحكومة اللبنانية بعدما قررت فخامتكم ان تمتلكها وتحرص عليها كل الحرص .

فارجو كل الرجاء من فخامتكم بل استحلفكم باعز ما لديكم ان تحولوا دون الاستهتار بمثل هذه الجواهر اليتيمة وتشددوا الاوامر بابقائها تحت راية الارز المباركة والعزيزة على قلبكم وعلى قلب كل لبناني مخلص .

« اطال الله تعالى بقاكم ذخراً وفخراً »

بيروت ١٦ تموز ١٩٤٦

فيليب دي طرازي

الفصل السادس والثلاثون

ضرورة الاستمرار في المحافظة على المجموعة الصحافية وانمائها

لما اقدمت على انشائي المجموعة الصحافية المار ذكرها رسمت لها خطة تسير عليها في مستقبل الزمان بطريق النمو والزيادة كي تأتي بالفائدة التي انشأت لاجلها . هكذا تستمر المجموعة سائرة في سبيل النجاح والازدهار يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام . ومن دون ذلك تبقى المجموعة عقيمة لا فائدة منها على الاطلاق .

ساقني الى هذا التصريح انه مرّ على تسليمي المجموعة الصحافية الى الحكومة اللبنانية ستة اعوام كاملة وهي باقية على حالها دون زيادة البتة . فاذا بقيت الحال على هذا المنوال اتأسف كثيراً لقلة عناية المسؤولين عن هذه المجموعة الثمينة التي ضحيت كل غال ورخيص لاجل جمعها وتنظيمها وصيانتها والاستفادة منها . ولبلوغ المرام لا يتكلف المسؤولون كبير عناية للوصول الى الضالة المنشودة . ففي بيروت دائرة خاصة للمطبوعات يرتبط بها الصحافيون ويراجعونها في جميع شؤونهم ويرسلون اليها نسخاً معدودة من كل جريدة او مجلة يطبعونها . فالدائرة المذكورة تستطيع املاء الفراغ في المجموعة بتكليف اصحاب سلك الجرائد بان يقدموا لها العدد الاول من صحفهم لكي يضاف الى المجموعة المشار اليها .

كل ما رويته عن دائرة المطبوعات في الحكومة اللبنانية يمكن تطبيقه على دوائر المطبوعات في البلدان التي تصدر فيها جرائد باللغات التي تشتمل عليها المجموعة المذكورة . وتسهيلاً لهذا الامر اعتقد ان دائرة المطبوعات الموقرة في لبنان، وهي المعروفة بالنشاط والغيرة على تعزيز الاداب واعلاء منار العلوم ، لا تحجم عن تكليف دوائر المطبوعات في سائر البلدان كي يتكرموا بارسال العدد الاول من جميع الجرائد والمجلات التي صدرت وتصدر في انحاء بلادها .

وبهذه الوسيلة لا يمضي وقت يسير حتى تصبح هذه المجموعة الصحافية مرجعاً عاماً لكل حريص على كنوز الادب وآثار الادباء من ابنـاء الضاد وسواهم . ويكون للبنان الفخر الاعظم في احرازه هذا الكنز الثمين الذي تحسده عليه سائر الاقطار شرقاً وغرباً .

فهرس

خزائن الكتب العربية في الخافقين

المجلد الرابع

صفحة

توطئة ١٠٩١

مقدمة المؤلف ١٠٩٣

الباب الثامن عشر – دار الكتب اللبنانية ١٠٩٤

الفصل الاول – فكرة انشاء دار الكتب منذ اكثر من ستين سنة ١٠٩٤

الفصل الثاني – تحقيق الفكرة وموظفو دار الكتب الاولون ١٠٩٦

الفصل الثالث – تسجيل دار الكتب باسم الحكومة اللبنانيـــة واهداء مكتبتي الخاصة اليها ١٠٩٨

الفصل الرابع – تدشين دار الكتب ورأي الحكام والادباء فيها ١٠٩٩

الفصل الخامس – رحلاتي الى اوربا ومصر ومقابلتي لبعض الملوك في سبيل دار الكتب ١١٠٥

الفصل السادس – سوء حالة دار الكتب في اثناء رحلتي الاولى والاضطرار الى اعادة تنظيمها ١١١١

الفصل السابع – انشاء دار الاثار وضم ادارتها الى ادارة دار الكتب ١١١٣

الفصل الثامن – وصف بناية دار الكتب الجديدة ١١١٧

الفصل التاسع – معرض دار الكتب ١١١٩

الفصل العاشر – رسوم نوابغ العلماء وارباب الفن في دار الكتب ١١٢٣

صفحة

اولا	اللغويون	١١٢٤
ثانياً	المؤرخون	١١٢٤
ثالثاً	الاطباء .	١١٢٥
رابعاً	الرياضيون والفلاسفة	١١٢٥
خامساً	الشعراء	١١٢٥
سادساً	الصحافيون	١١٢٥
سابعاً	المحدثون وعلماء الشرع	١١٢٦
ثامناً	المترجمون	١١٢٦
تاسعاً	المحامون وعلماء القانون	١١٢٦
عاشراً	المصورون	١١٢٦
حادي عشر	المهندسون	١١٢٧
ثاني عشر	المخترعون	١١٢٧
ثالث عشر	مشاهير فن الطباعة	١١٢٧
رابع عشر	النوابغ في شتى العلوم	١١٢٧
خامس عشر	رؤساء الجمعيات الادبية والمجامع العلمية	١١٢٧
سادس عشر	النساء الاديبات	١١٢٨
سابع عشر	امناء دور الكتب اللبنانيون في اوربا	١١٢٨
ثامن عشر	علماء المشرقيات	١١٢٨
تاسع عشر	نوابغ اللبنانيين في نظم الشعر الفرنسي	١١٢٨

الفصل الحادي عشر – سعي البعض بنزع رسوم دار الكتب ١١٣٠

الفصل الثاني عشر – تأثير دار الكتب الادبي والمادي ١١٣٣

الفصل الثالث عشر – موظفو دار الكتب ١١٣٧

الفصل الرابع عشر – احصاء مجلدات دار الكتب والعناية بتجليدها ١١٣٩

الفصل الخامس عشر – القراء والكتب المستعارة ١١٤٢

صفحة

الفصل السادس عشر – المراسلات والتقارير ١١٤٤
الفصل السابع عشر – الاسئلة واجوبتها ١١٤٥
الفصل الثامن عشر – ماعينته الحكومة من مال ضئيل في موازناتها المتتابعة عاماً بعد عام ١١٤٦
الفصل التاسع عشر – المتبرعون على دار الكتب ١١٤٩
الفصل العشرون – افتتاح دار الكتب اللبنانية في بنايتها الجديدة ١١٥١
الفصل الحادي والعشرون – زوار دار الكتب اللبنانية ١١٥٤
الفصل الثاني والعشرون – كتابنا « دليل تنسيق الكتب » ١١٥٧
الفصل الثالث والعشرون – كتابنا « خزائن الكتب العربية في الخافقين » ١١٥٩
الفصل الرابع والعشرون – لماذا احجمنا عن طبع الكتابين المشار اليهما ١١٦٤
الفصل الخامس والعشرون – ترحيب الادباء والمجامع العلمية بهذين الكتابين ١١٦٧
اولا مقالة الاستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ١١٦٧
ثانياً شهادة الدكتور بشر فارس العلامة اللبناني ١١٦٨
ثالثاً رسالة العلامة احمد عاصم بك مدير دار الكتب المصرية ١١٦٩
الفصل السادس والعشرون – انصاف وزارة التربية الوطنية واهتمامها بطبع الكتابين المذكورين ١١٧٠
الفصل السابع والعشرون – العراقيل في طريق دار الكتب ١١٧٣
الفصل الثامن والعشرون – تخلينا عن ادارة دار الكتب ١١٧٦
الفصل التاسع والعشرون – صدى الصحف على اثر استعفائنا من الوظيفة ١١٧٨
اولا جريدة الحديث ١١٧٨
ثانياً جريدة البشير ١١٧٩
ثالثاً لسان الحال ١١٧٩
رابعاً صوت الاحرار ١١٨٠

صفحة

خامساً جريدة الصاعقة ١١٨١
سادساً رقيب الاحوال ١١٨٢
سابعاً مجلة الحب والسلام ١١٨٣
ثامناً مجلة العرائس ١١٨٤
تاسعاً مجلة الكلمة ١١٨٤
عاشراً جريدة البشير ١١٨٥
حادي عشر الاتحاد العربي ١١٨٥
ثاني عشر رسالة الدكتور جورج صقال ١١٨٦
الفصل الثلاثون ـ نحن وخلفنا في امانة دار الكتب ١١٨٨
الفصل الحادي والثلاثون ـ الجهود في تعزيز دار الكتب وانماء ثروتها ١١٩١
الفصل الثاني والثلاثون ـ حالة المكتبة بعد ما تنحينا عن ادارتها ١١٩٥
الفصل الثالث والثلاثون ـ ابرهيم معوض امين دار الكتب الحالي ١١٩٩
الفصل الرابع والثلاثون ـ عناية وزارة التربية بتعزيز دار الكتب ١٢٠٠
الفصل الخامس والثلاثون ـ مجموعة الصحف العربية والشرقية ١٢٠١
١ ـ انشاء المجموعة ١٢٠١
٢ ـ قسم المجموعة العربي والاقتصار فيه على العدد الاول ١٢٠١
٣ ـ قسم المجموعة غير العربي ١٢٠٢
٤ ـ تنظيم المجموعة ١٢٠٢
٥ ـ المجموعة في نظر العلماء وهواة الاثار ١٢٠٢
٦ ـ نوادر المجموعة وفرائدها وغرائبها ١٢٠٣
٧ ـ الصحف الخطية في المجموعة ١٢٠٤
٨ ـ التنافس في اقتناء المجموعة ١٢٠٤
٩ ـ دور الجمهورية اللبنانية في المجموعة ١٢٠٤

صفحة

١٠ – محاولة انتزاع المجموعة الصحفية من الحكومة اللبنانية وعريضتنا الى رئيس الجمهورية بهذا الشأن ١٢٠٥

الفصل السادس والثلاثون – ضرورة الاستمرار في المحافظة على المجموعة الصحافية وانمائها ١٢٠٨

الجزء الثاني

تكريم

الفيكونت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية

بقلم

لجنة التكريم

توطئة

نشرنا في الجزء الاول اخبار دار الكتب اللبنانيـــة منذ نشأتها حتى تخلّي مؤسسها الفاضل عن ادارتها (١٩١٩ - ١٩٣٩) . والآن نشفع ذلـــك الجزء بجزء ثانٍ نصدّره بترجمة الفيكنت ونردفها بوصف حفلة تكريمية في ٢٣ شبـاط ١٩٤٠ وما قيل فيها من الخـطب والقصائد . ونختتم ذلك كله ببعض مـا نشرته الصحف عن تلك الحفلة معبّرة عن الرأي العام وعن شعور الامّة واعجابهـــا . ويتضمن هذا الجزء الثاني فصولا خمسة على عدد المواضيع التي احتوى عليهـا كما سترى . ونعتقد ان هذا الاثر الادبي الذي نزفه الى انصار العلم واصدقـاء المحتفى به سيبقى مدى الازمان عنواناً للانصاف والعدل وبرهاناً على معرفة الجميل .

لجنة تكريم

مؤسس دار الكتب اللبنانية

الفصل الاول

ترجمة الفيكنت فيليب دي طرازي

بقلم الخورفسقفوس اسحق ارمله

اولا

نشأته ــ معيشته ــ اخلاقه

هو فيليب ابن الكنت نصرالله بن انطون ابن المقدسي نصرالله بن الياس بن بطرس بن يعقوب بن بطرس طرازي . ابصر النور في بيروت بتاريخ ٢٨ ايار ١٨٦٥ وحصّل العلوم في المدرسة البطريركية وفي كلية الاباء اليسوعيين. فاحرز من المعارف اللغوية والثقافة العالية اوفى نصيب . ثم غادر الكلية ريّاناً من العلم والادب وانصرف الى الاعمال التجارية في مكتب الكنت نصرالله والده المذكور في الخير . وكان كلما نما في العمر نما معه حب الدرس والتنافس في جمع الكتب لا يقعده ذلك عن خدمة الانسانية والمصالح الوطنية ومجالسة الادباء ومراسلة العلماء .

ومن عاشر الفيكنت ووقف على شيء من اعمال حياته الخاصة والعامة عرفه منزهاً عن المنافع الشخصية متجرداً عن القضايا السياسية غيوراً على الاعمال الخيرية والادبية. ومن مزاياه انه قلما اعتد بنفسه او تأنق في ملبسه وفي مأكله ومشربه. وهو يعامل الناس معاملة واحدة سواء اختلفوا في الرأي والدين ام اتفقوا لانه يعدهم واحداً في الانسانية . وهو يخضع للحق ولئن فيه اذىً لمصلحته . واذا قصده احد لبّى طلبه لان صنع الاحسان ملازم له في جميع ادوار حياته . ويتحاشى الفيكنت المجادلات العقيمة ويستأثر بالعزلة اذا رام ان يكتب شيئاً .

ويراجع مراراً ما يكتبه قبل نشره . وهو كثير التدقيق في مباحثه لا يمل الشغل حتى يظفر بضالته .

تصدى فريق من الكتبة لانشاء مقالات في وصف اخلاق الفيكنت ومعيشته نقتصر منها على نبذة نشرها المستشرق الالماني مرتين هرتمن (١٨٥١ - ١٩١٩) في كتاب رحلته الى سوريا ولبنان هـذا تعريبها : « صادفت في ادارة جريدة (لسان الحال) ببيروت رجلاً اعتدّه فريداً بين اعيان تلك المدينة وهو الفيكنت فيليب دي طرازي، زرته في منزله فخلّفت فيّ تلك الزيارة تأثيرات بليغـة . كنت افتكر ان الفيكنت من المدعـين بالعظمة فاذا هو متناه باللطف انيس المعاشرة ونابغة واسع المعرفة بكل شخص تطرقنا لذكره وبكل حادثة بحثناها . وشاهدت في خزائنه ذخائر علمية جمعها بسعيه وجده . بل هي تدل عـلى قوة اللبناني متى شاء امراً وعلى ذكاء الفيكنت ومقـامه العلمي . واذا انتهت تلك النفائس الى اوربا كان لها هناك شأنها الكبير » .

ثانياً

مساعي الفيكنت الخيرية

يتعذر على قلمنا سرد جميع صنائع الفيكنت وعوارفه عند البائسين والمعوزين ممن اخنى عليهم الدهر بكلكله . وحسبه انه تولى رئاسة جمعيـات خيرية شتى ابدى فيها من جلائل الاعمال ما خلد له ذكرى طيبة على كرور الاحقـاب . وتُعد في طليعة تلك الجمعيات شركة مار منصور دي بول التي ترأسها ثماني سنوات (١٨٩٨ - ١٩٠٦) وما برحت الالسن تتحدث لعهدنا بما اتاه من المبرات مدة ست وستين سنة مرت عـلى انضوائه الى لوائها . وقد عرفت له تلك الشركة مآتيه الوافرة فوجهت اليـه عمدتها كتاباً مؤرخاً في ٣ آب ١٩٠٦ حبّرته بآيات الثناء ومعرفة الجميل نقتطف منه ما يلي :

« ... ان اخوانكم ابناء هذه الشركة يذكرون بالشكر والافتخار مـــا لكم في سبيلها من الايادي البيضاء من يوم انضوائكم الى لوائها وخصوصاً اثناء رئاستكم العامة عليها ... فقد احييتم رسوم مؤسسيهـا وجمعتم اثار الاولين من اعضائها وسعيتم لتجديد برنامجها السنوي وعنيتم باوقافها ومدارسها وجمعياتهـــا وحفلاتها وسائر مصالحها الخيرية . . . فضـلاً عن التبرعات السخية والخدم الجليلة التي بذلتموها لها . وهي تذكر لكم ايضاً مـــا امتزتم به من علو الهمة وشهامة النفس ونبل المقاصد ... حتى صارت تتفاخر وتتباهى بين سائر الجمعيات الخيريـة بانتظام احوالها ونمو وارداتها واتساع دائرة اعمالها المبرورة . وبرهاناً على ما سبق ذكره رأينا ان نزين قاعـة الاجتماعات برسمكم الكريم الذي سيبقى اثراً خالداً يذكرنا بمساعيكم المحمودة وغيرتكم الوقادة ... »

وما اصطنعه الفيكنت عند شركة مار منصور اصطنعه كذلك عند « جمعيـة المساعي الخيرية السريانية » التي انشأها والده عام ١٨٨٤ في بيروت كما هو معلوم. وقس عليها « جمعية العائلة المقدسة » وقد تولى رئاسة كلتيهما عهداً طويلاً .

وتجلت اريحية الفيكنت خصوصاً في اثناء الحرب العظمى (١٩١٤ – ١٩١٨) مما جعل خاصة القوم وعامتهم يمتدحون ميزاته ويلهجون بحسناته . فقد افرغ كل همة في انقاذ البائسين والمنكوبين . فاطعم الجياع وكسى العراة وتفقـد المرضى وآوى الغرباء بلا تمييز بين مذهب ومذهب . وكان اذا خرج من داره حمـــل ما استطاع حمله من الزاد ووزعه على من كانوا مطروحين في الطرق يئنّـون من شدة الفاقة والجوع .

وعمل الفيكنت خصوصاً على تخفيف مصائب اهل العلم وحملة الاقلام لكساد بضاعتهم في تلك الآونة العصيبة . يؤيد ذلـــك ما نشرته جريدة « المقتبس » الاسلامية الدمشقية بقلم العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بعنوان « المحسنون » قال ما نصه : « وكالفيكنت فيليب دي طرازي في بيروت الذي لم

يدع ستاراً في بيته الا خاطه البسة للمحتاجين . وهو قد جعل دَيدَنه صباح مساء ان يوزع الخبز والطحين على معسري بلدته » .

ولم تنحصر مهمة الفيكنت في اغاثة ابناء بلدته بل تناولت خــلال الحرب المذكورة جماً غفيراً من اهـالي بعض قرى لبنان كدرعون وبطحا وحريصا وريفون وبقعاتا وميروبا ورعشين ومزرعة كفردبيان وغيرهـــا من القرى التي فتكت باهاليها المجاعة والامراض . فاستحضر منها ستين يتيماً ويتيمة وادخلهم المآوي الخيرية ببيروت صيانة لحياتهم . ثم اسعف بعض المنكوبين في تلك القرى باكسية خاطتها امه وزوجته وشقيقته وبعث بها الى دير الشرفه لتوزع عليهم .

وانضم الفيكنت الى لجنة تالفت من اعيان المسلمين والمسيحيين عـام ١٩٢٠ لاغاثة المنكوبين في حوادث جبل عامل . فجمعوا ثمانية الاف جنيه مصري ذهبي سوى الارزاق والالبسة ووزعوا ذلك كله بدقة وامانة على المعوزين والمنهوبين.

وتجرد الفيكنت عام ١٩٢١ لمساعدة ابناء ملته السريانيـــة الذين شرّدتهم الحكومة التركية وطردتهم من اوطانهم ظلماً وعدواناً وقد ناهز عـددهم ثلاثمائة عائلة . فلجأوا الى بيروت بحال يرثى لها لا يملكون شروى نقير . ونهض الفيكنت نهضة شريفة لتخفيف النكبة عنهم وجبر خواطرهم . فجمع شملهم وابتنى منازل لسكناهم في بستان فسيح وقفه هو للمساكين وفي بساتين اخرى سعى لمشتراهـا بماله وبما جمعه من صدقات المحسنين . ثم جعل يطوف تلك المنـــازل صباح مساء ويزور اولئك اللاجئين متعطفاً عليهم مفرغاً الجهود في تأمين معيشتهم . وكان اولئك اللاجئون رجـالا ونساء كباراً وصغاراً يتهافتون عليـه ويلتفون حوله التفاف الابناء حول ابيهم ويخطفون يديه كلتيهما يقبلونهما بعاطفـــة الاحترام والاخلاص والشكر .

وشوهد الفيكنت مراراً يتفقد مرضى اولئك المنكوبين ويوصي الاطباء بهم

ويبعث اليهم العلاجات اللازمة . وكان يتصدر اعراس شبانهم وعماد اطفالهم ويشهد مآتم موتاهم . و كثيراً ما دعا فريقاً منهم ليتناولوا الطعام على مائدته فيقوم بخدمتهم كانهم هم اصحاب المنزل وهو ضيفهم . ولا ريب في ان ما صنعه معهم من المبرات يظل مرسوماً مدى الايام على الواح قلوبهم وقلوب اعقابهم من بعدهم .

ثالثاً

تآليف الفيكنت وآثاره الادبية

فُطر الفيكنت طرازي على طلب العلم واجلال ذويه . فاكب على المطالعة والبحث والتأليف بهمة لا تعرف الكلال . وغدت حياته سلسلة آثار غير منفصمة برهنت على ثقافته وسعة معارفه وعلى ما ادّاه من الخدم الجلى للعلم والعلماء . فصنف كتباً جمة نشر بعضها بالطبع وبقي البعض الاخر معداً للنشر .

فمن تآليفه المطبوعة نذكر :

١ – القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة . وهو كتاب فريد في بابه ضمنه ترجمة العلامة اقليميس يوسف داود مطران دمشق (١٨٧٩ – ١٨٩٠) واردفها بمراثي ذلك الحبر النبيل في ٢٠ لغة شرقية وغربية .

٢ – تاريخ الصحافة العربية « مصور » في اثني عشر مجلداً . نشر منها اربعة مجلدات نقل بعضها الى اللغتي الانكليزية والالمانية .

٣ – السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية « مصور »

٤ – ديوان قرة العين . يتضمن زهاء ثلاثة الاف بيت من عيون الشعر في شتى المواضيع .

٥ – نبذة مختصرة في الصحف العربية المصورة .

٦ – عصر العرب الذهبي .

٧ – بحث تاريخي علمي اثري عن القرآن .

٨ – علاقات ملوك فرنسا بملوك العرب .

٩ – المخطوطات المصورة والمزوقة عند العرب .

١٠ – اللغة العربية في اوربا (ثروتها ومكانتها) .

١١ – عصر السريان الذهبي وهو كتاب وحيد في بابه لم يتسنّ لكاتب قبل الآن ان يطرق مثل هذا الموضوع المبتكر .

١٢ – خلاصة اعمال شركة القديس منصور منذ نشأتها حتى السنة ١٩٠٦ .

١٣ – الرأي الامين في حل بعض المشاكل الزواجية عند الشرقيين بقلم المطران انطون قندلفت طبعه الفيكنت ونقله الى اللغة الفرنسية .

١٤ – تاسيس دار الكتب الكبرى في بيروت .

١٥ – ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب (عربي وافرنسي) . وهو اول كتاب في موضوعه تحرى فيه مؤلفه تنظيم المكتبات العربية طبقاً لاحدث القواعد الفنية واسهلها .

١٦ – خزائن الكتب العربية في الخافقين (اربعة مجلدات) وهو كتاب لم يسبق له مثيل في اللغة العربية اتى فيه مؤلفه على وصف ٨٥٧ مكتبة قديمة وحديثة فتطرق فيها ايضاً على ذكر المكتبات العربية في اوروبا واميركا . والمع الى تراجم علماء المشرقيات واخبار هواة الكتب ومشاهير خزنتها . واستقصى البحث عن الخطاطين والنساخ وتاريخ الطباعة وبواكير المطابع وعن سارقي الكتب واستعارتها واستوفى التنقيب عن المخطوطات العربية المصورة والمزوقة . ثم عدّد الرزايا والفواجع التي حلت بخزائن الكتب قديماً وحديثاً والحقها بالنوازل الادبية التي فتكت بالكتب والمكتبات .

١٧ – اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان في ثلاثة مجلدات ويعرف ثالثها بعنوان « رد العسف والبهتان عن كتاب اصدق ما كان »

ضمنه مؤلفه الشيء الكثير عن تواريخ لبنـان بما لم يدونه كاتب قبله من حقائق راهنة كانت مجهولة قبل الان .

١٨ - شذرات نشرت في تاريخ « لبنان » الذي طبعته متصرفية جبل لبنان في اثناء الحرب الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) بمعاونة بعض العلماء .

١٩ - افتتاح دار الكتب اللبنانية .

٢٠ - ذكرى قدماء تلامذة المدرسة البطريركية في بيروت (١٨٦٥-١٩٥٠) .

٢١ - للذكرى والتاريخ (بحث جدَلي دافع فيه المؤلف عن كرامته وحقوقه الشرعية) .

٢٢ - الكراسي البطريركية شرقاً وغرباً وعددها ٢٧ كرسياً . (طَبعَ هذه النبذة سنة ١٩٠٧ ثم اختصرها تحت عنوان « توطئة » وصدّر بها كتابه «السلاسل التاريخية .

٢٣ - منشور للبطريرك اغناطيوس بهنام بني مع ترجمته للافرنسية .

٢٤ - ترجمة المنشور الاول للبطريرك اغناطيوس افرام رحماني من اللغـــة العربية الى الافرنسية .

٢٥ - جريدة « الباكورة » انشئت عام ١٩٠٤ وكانت توزع مجاناً عــلى اعضاء شركة مار منصور وعلى المحسنين اليها وعلى طلبة مدارسها في اثناء رئاسة المؤلف على تلك الشركة .

اما تآليف الفيكونت الغير المطبوعة او المعدة للطبع فهذه اسماؤها :

١ - ترويح الانفس في ربوع الاندلس .

٢ - مشاهير السياح والسائحات من الاندلس الى المشرق ومن المشرق الى الاندلس .

٣ - تاريخ نابوليون الاول .

٤ - تاريخ الدولة المصرية في عهد السلالة المحمدية العلوية .

٥ - صنّاجة الطرب في رياض الُخطَب ينطوي عـلى كثير من الخطب التي

القاها الفيكنت في مناسبات شتى .

٦ - التحفة في تاريخ الشرفه .

٧ - ديوان نفحة الطيب وهو المجلد الثاني لما نظمه من الاشعار .

٨ - المنهل الصافي في ابدع القصائد المشتركة القوافي (كالخـال والعجوز والغرب والعين والشرف والعلم الخ الخ ...)

٩ - الآثار الذهبية لشركة مار منصور الخيرية (جمع فيها اهم صكوكها الرسمية واغلب الخطب والتقارير التي تليت في حفلاتها الكبرى .

١٠ - سلسلة تاريخية لرؤساء شركة مار منصور ونواب رئاستها وجميـع موظفيها في بيروت منذ عام ١٨٦٠ .

١١ - شجرة تاريخية لسلاسل بطاركة انطاكيه من عهد الرسول بطرس الى الزمان الحاضر عند جميع الطوائف الكاثوليكية وغير الكاثوليكية .

١٢ - جدول عام لبطاركة السريان الكاثوليك ضم اليـه اسماءهم وانسابهم العصبية وتواريخ ولادتهم ووفياتهم وكهنوتهم واسقفيتهم وبطريركيتهم وتأييدهم البابوي وفرمانهم السلطاني وشعارهم الشخصي . واضاف الى ذلك مآثرهم العلمية والدينية والوطنية .

١٣ - البراءات البابوية : وهي مجموعة المراسيم الممنوحـة من البابوات لبطاركة السريان لاتينياً وعربياً .

١٤ - كتاب «الفرامين والبراءات السلطانية» الممنوحة من سلاطين آل عثمان لبطاركة السريان الكاثوليك . جمعت ونقلت من اللسان التركي الى اللسان العربي .

١٥ - فهارس لكل الجرائد والمجلات الشرقية التي ظهرت في العالم باللغـات السريانية والعبرانية والحبشية والارمنية والفارسية والتركية واليونانية والاردوية والتترية والكردية .

١٦ – شجرات نسبية لبعض الاسر الشرقية .

١٧ – نبذ تاريخية عن بعض اسر اسلامية ونصرانية .

١٨ – كشف المخبّآت عن سارقي الكتب واعداء المكتبات .

١٩ – قطر الندى في ردّ الصدى . ضم اليه القصائد ورسائل الثناء التي وردت تقريظاً لكتابه القلادة النفيسة .

٢٠ – مجموعة التقارير العلمية والاثرية التي قدمها المؤلف الى المجامع العلمية في اوربا والشرق .

٢١ – نبذة عنوانها « داود القرم اول استاذ لبناني في فن الرسم» وهي تحتوي على خلاصة آثاره ومآثره .

٢٢ – محفوظات دير الشرفه في سبعة وعشرين مجلداً ضخماً جمع فيها مع الخوري اسحق ارملة طائفة من الوثائق والصكوك والرسائل القديمة المكنوزة في خزائن الدير المشار اليه .

٢٣ – مقالات ومحاضرات ومساجلات في مواضيع شتى .

٢٤ – سلافة الالباء في مراسلات العظماء والادباء (ثلاثة مجلدات) احتوت رسائل تبودلت بين المؤلف وبين العظماء والعلماء والمستشرقين وهي مكتوبة بخطوطهم ومذيّلة بتواقيعهم .

٢٥ – ذكرياتي : هي مجموعة نفيسة من ذكريات المؤلف مدة قرن كامل دوّنها تباعاً ورتبها ترتيبا يروق المطالعين ويفيد المؤرخين وضمنها احاديث طريفة ونوادر ظريفة من كل فن وخبر .

٢٦ – مجموعة صحافية فريدة لا مثيل لها في العالم جمعها المؤلف من جميع الاقطار شرقاً وغرباً . وهي تحتوي على العدد الاول من كل جريدة ومجلة مطبوعة باللغة العربية يربو عدد صحف هذه المجموعة على اربعة الاف واربعمائة .

٢٧ – خطوط مشاهير العرب (وهي مكتوبة بايديهم ومذيّلة بتواقيعهم من سلاطين وملوك وامراء ووزراء وعظماء وعلماء وشعراء ورؤساء الدين وشهيرات النساء جمعها المؤلف في عدّة مجلدات ضخمة) .

٢٨ – الرتبة العددية في سلسلة بطاركة السريان الانطاكيين .

٢٩ – فوائد نقل الكرسي البطريركي السرياني من ماردين الى بيروت .

٣٠ – العقد الثمين في رسائل الاباء الى البنين : هي سلسلة مجلدات يبلغ عددها خمسة عشر مجلداً احتوت على جميع الرسائل الموجهة في القرنين الاخيرين من باباوات رومية والبطاركة والمطارنة والكهنة الى الاسرة الطرازية . وهي مكتوبة بخطوط اصحابها وتواقيعهم واختامهم جمعها الفيكنت فيليب وجلّدها تجليداً متقناً لنفاستها وتعدد مواضيعها . وهي بالحقيقة سجل تاريخي لم يسبق له نظير عند احدى الاسر الشرقية .

٣١ – المراثي والمناحات (ابحاث اصلاحية انتقادية تتعلق بمكان محدود واشخاص معلومين) .

٣٢ – عريضة مرفوعة الى الديوان الحربي التركي في عاليه . (تقع هذه العريضة في اثنتين وستين صفحة كبيرة كتبها الفيكنت دفاعاً عن نفسه وعن بعض اعيان بيروت بتهم عديدة ملفقة اخترعها امير لبناني منبوذ من عشيرته وممقوت من ابناء وطنه لبذاءة اعماله وسوء سيرته ووفرة الجرائم التي اقترفها طول حياته . وبداعي تلك التهم اقيمت الدعوى على الفيكنت ورفاقه في الديوان الحربي اثناء الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) وسجنوا جميعاً مع كبار المجرمين السياسيين . وقد اتهم في الوقت نفسه البطريرك القديس اغناطيوس افرام رحماني الذي كان يضطر على رغم شيخوخته ان يذهب الى ذلك الديوان الحربي حاملاً معه الفرمان السلطاني عملاً بالاصول المرعية لمن كان في رتبته . غير ان القائد التركي الكبير جمال باشا اراد ان يطلع بنفسه على تلك التهم فتحقق براءة المسجونين من جميع الجرائم المنسوبة اليهم فارسل كبير ياورانه الى السجن واستدعى المسجونين الى مقره حيث طيب خاطرهم وسرحهم بعد تبرئتهم مما نسب اليهم زوراً وعدواناً . اما الامير الخائن فقد انتهت حياته بمدينة بروكلن في الولايات المتحدة الاميركية . وهناك سولت له نفسه ان يستأجر حانوتاً في

شارع من الشوارع الكبرى وسوكره عند احدى شركات الضمان . فلم تنقض ثلاثة شهور حتى اضرم النار في ذلك الحانوت الذي اشتعل واشتعلت معه بناية عظيمة اشتملت على عدد وافر من المخازن ومكاتب التجارة ومنازل السكنى . فالتهمت النيران البناية برمتها وذهبت ضحيتها نفوس عديدة . وللحال قبضت الحكومة الاميركية على ذلك الامير المجرم فحكمت عليه بالحبس المؤبد مع الاشغال الشاقة وهناك لقي حتفه غير مأسوف عليه . ولا عجب في ذلك لان هذا الامير نفسه قبل ذهابه الى بروكلن ، مثّل الرواية نفسها في لبنان حيث احرق سنة ١٩١٠ معمل حرير السيد كمبسادس في عين لويس بالقرب من بعبدات وقبض من شركة الضمان مبلغ اربعة آلاف ليرة انكليزية ذهبية . ذلك نزرٌ من الجرائم الكثيرة التي اقترفها هذا الامير طول حياته) .

رابعاً

القاب الفيكنت العلمية

تلك التآليف الحسان وتلك الماثر الادبية لفتت انظار ولاة الامر وارباب المجامع العلمية فقدّروا لصاحبها الفيكنت دي طرازي قدره . وخصّوه بالقاب شريفة واصطفوه عضواً في انديتهم . ومن اشهر تلك الالقاب العلمية نذكر :

١ – امين دار الكتب اللبنانية ومؤسسها في بيروت .

٢ – امين دار الاثار اللبنانية ببيروت .

٣ – عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

٤ – عضو الجمعية العلمية الاسيوية بباريس .

٥ – عضو الجمعية الجغرافية بباريس .

٦ – عضو المجمع التاريخي بباريس .

٧ – عضو مجمع الفنون والاداب بباريس .

٨ – عضو الجمعية العلمية الاسلامية ببرلين .

٩ – عضو الجمعية الدولية لامناء دور الكتب .

١٠ – عضو اللجنة العليا لدار كتب الجامع الاقصى بالقدس الشريف .

١١ – عضو في المؤتمر القرباني الاورشليمي سنة ١٨٩٣ وهـو اول مؤتمر من نوعه عقد في بلاد الشرق الادنى . (وقد لفظ الفيكنت خطبة بليغة في جلسته الثانية) .

١٢ – سكرتير مؤتمر الاثار الدولي ببيروت عام ١٩٢٦ .

١٣ – رئيس جمعية خريجي المدرسة البطريركية ببيروت .

١٤ – رئيس لجنة المكتبة الوطنية ببيروت .

١٥ – عضو اللجنة الادبية الفنية في دائرة راديو الشرق ببيروت .

١٦ – عضو مراسل في المجمع العلمي بموسكو .

واعلم ان المجمع العلمي الروسي المشار اليه لما احتفل عام ١٩٢٥ بمرور مائتي سنة على تأسيسه وجه الى الفيكنت دي طرازي دعوة خاصة ليحضر حفـــلاته في موسكو وفي لينغراد، وافرز مبلغاً من المال لنفقات سفره ثم كرر دعوته برسائل بريدية وبرقية مجاهراً بانه يتباهى بضمه اياه الى رهط المدعوين . واحتذى حذوه « المؤتمر الدولي الثاني عشر للمراجع العلمية » الذي عقد عام ١٩٣٣ في بروكسل . وقس على ذلك كثيراً من مؤتمرات المستشرقين في مختلف العواصم كمؤتمر مدينة « الجزائر في شمال افريقية سنة ١٩٣١ ومؤتمر رومة سنة ١٩٣٥ ومؤتمر بروكسل سنة ١٩٣٨ .

ويطول بنا المجال لو تحرينا تتبع الالقاب والنعوت التي اطلقها على الفيكنت دي طرازي جمهور الكتّاب والشعراء والصحافيين . بيد اننا نكتفي للدلالة على ذلك بما نشرته مجلة « رسالة السلام » المارونية البيروتية بتـاريخ ١١ ايار ١٩٢٩ تحت عنوان « اشهر الاعصر الادبية عنـــد الامم » فانها بعدما بحثت عن عصر (بركليس عند اليونان وعصر (اوغسطس قيصر) عند الرومان وعصر الخليفـة

(المأمون) عند العرب وعصر (لاون العاشر) عند الايطاليين وعصر (لويس الرابع عشر) عند الفرنسيس قالت ما ملخصه : « . . . فالسيد الذي يستحق ان نلقب عصرنا باسمه هو رجل فضل كبير على الكتّاب ... وعلى الشبيبة وعلى النشء الجديد . ذلك الرجل الجدير بهذا الشرف هو الفيكنت فيليب دي طرازي الذي يجدر ان نلقب عصرنا باسمه وندعوه « عصر الطرازي » ... اننا لا ننظر الى اصله الطيب ولا الى اخلاقه الكريمة ولا الى علومه الغزيرة ولا الى كثرة الاوسمة التي وهبه اياها الملوك والاحبار والجمعيات العلمية الشرقية والغربية بل الى تأثيره في محيطه . ولعمري اي رجل اثر في محيطه ونفع مثله ! »

خامساً

القاب الفيكنت الفخرية واوسمته

استحق الفيكنت دي طرازي نظراً الى وجاهته ونبل اسرته فضلاً عن منزلته الادبية ومآتيه الخيرية ان يتحفه اولياء الشأن والمحافل العلمية بالقاب الشرف وانواط الافتخار وهاك طرفة مما عرفناه منها :

١ – لقب « فيكنت » من بابا رومة

٢ – وسام « نجمة الصباح » من سلطان لحج (مرصع بالجواهر الكريمة من الدرجة الاولى) .

٣ – الوسام العثماني الثاني من السلطنة العثمانية .

٤ – الوسام المجيدي الثاني من السلطنة العثمانية .

٥ – وسام « الصليب الذهبي » الاول من رتبة القديس جورجيوس .

٦ – وسام « الشمس والاسد » ذو الرتبة الثانية من شاه ايران .

٧ – وسام « نيشان الافتخار » رتبة كومندور من باي تونس

٨ – وسام « القديس سلوستروس » رتبة كومندور من الكرسي الرسولي .

٩ – وسام « غريغوريوس الكبير » من الكرسي الرسولي ايضاً .
١٠ – وسام « محامي القديس بطرس » من الكرسي الرسولي .
١١ – وسام « الذكرى المئوية للقرن العشرين » من الكرسي الرسولي .
١٢ – وسام « الاستحقاق اللبناني » من الجمهورية اللبنانية .
١٣ – وسام « الارز » من الجمهورية اللبنانية ايضاً .
١٤ – وسام « المجمع العلمي الفرنسي » رتبة اوفيسيه .
١٥ – وسام « المجمع العلمي للفنون والاداب » .
١٦ – وسام « المجمع العلمي التاريخي » .
١٧ – وسام « حاملي الاوسمة العسكرية » من فرنسا .
١٨ – المدالية الذهبية لسكة حديد الحجاز من الدولة العثمانية .
١٩ – وسام « القبر المقدس » من بطريرك اورشليم .
٢٠ – وسام « جوقة الشرف » رتبة ضابط من دولة فرنسا .
٢١ – وشاح « الشرف » لمعرض بيروت عام ١٩٢١ .

ونضيف الى ما سبق تعداده من الالقاب والاوسمة مقابلة الفيكنت دي طرازي رهطاً من الملوك واقطاب الدول في فرص مختلفة نذكر منهم :

١ – عباس الثاني خديوي مصر .
٢ – فؤاد الاول ملك مصر .
٣ – مظفّر الدين شاه ايران .
٤ – البابا لاون الثالث عشر .
٥ – ميلان ملك السرب وزوجته الملكة ناتالي .
٦ – محمد الخامس السلطان العثماني .
٧ – البرنس يوسف عز الدين ولي عهد السلطنة العثمانية .
٨ – مسيو دومرغ رئيس الجمهورية الفرنسية .
٩ – فيصل الاول ملك سوريا .
١٠ – مولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى .

١١ – البرت الاول امير موناكو .

١٢ – رولان بونبرت عميد الاسرة البونبرتية الامبراطورية .

سادساً

مآثر الفيكنت الوطنية

عُرف الفيكنت فيليب دي طرازي في ادوار حياته باخلاصه لوطنه . فبذل في سبيل ذلك جهوداً اكسبته ثناء الخاص والعام . وله في الجمعيات الوطنية التي تولى ادارتها او انتظم في سلك اعضائها مواقف مشكورة تتلخص بما يلي :

١ – كان عضواً عاملًا في « الجمعية الاصلاحية » في بيروت في عهد السلطنة العثمانية . وكانت هذه الجمعية نواة للمؤتمر العربي الذي عقد سنة ١٩١٣ في باريس برئاسة الشيخ عبد الحميد الزهراوي .

٢ – اقيم مفتشاً عاما في « دوائر الاعاشة » التي انشئت في بيروت عام (١٩١٨ – ١٩١٩) لتوزيع الاقوات والالبسة والادوية على البائسين بعد الحرب العظمى .

٣ – عُين عضواً وطنياً وحيداً عام ١٩١٩ في « لجنة تخمين العقارات التي احتلتها الجيوش الاجنبية في بيروت ولبنان .

٤ – كان عضواً في اللجنة العليا لجمعية « اتحاد الطوائف » سنة (١٩١٩ – ١٩٢٠)

٥ – مثّل طوائف الاقليات من سكان لبنان في « مجلس المستشارين » الذي انشىء عام ١٩٢٠ قبل المجلس التمثيلي ومجلس النواب اللبناني .

٦ – انتخب سنة ١٩٢١٠ عضواً في « اللجنة العليا لمعرض بيروت » فاحرز « وشاح الشرف » الخاص بذلك المعرض .

٧ – فوّض اليه المجلس البلدي عام ١٩٢٣ مع بعض اعيان بيروت ومفكريها ان ينتقي لشوارعها اسماء توافق مركزها الجغرافي وتنطق بامجاد رجالها وادبائها السالفين .

٨ – اقيم عضواً في لجنة « ذكرى المعلم بطرس البستاني » سنة ١٩١٩ وفي « لجنة تمثال العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي » عام ١٩٢٤ وفي لجنة يوبيل الاب لويس شيخو سنة ١٩٢٥ وفي « لجنة ذكرى الاربعين » لوفاة السيد نجيب العيتاني سنة ١٣٥٨ هجرية وفي « لجنة ذكرى الاربعين » لوفاة الوزير حسين بك الاحدب سنة ١٣٦٠ للهجرة .

٩ – عيّن عضواً في لجنة انتخبتها الجمهورية اللبنانية لتهيئة ما يجدر عرضه من التحف والطرف الوطنية في معرض باريس عام ١٩٣١ .

سابعاً

جهود الفيكنت في تأسيس دار الكتب

سبق الكلام عن بعض مرامي صاحب الترجمة من حيث نشأته واخلاقه ومعيشته ومساعيه الخيرية وتصانيفه وآثاره الادبية والقابه العلمية والفخرية ومآثره الوطنية وما حوته خزائنه من الكنوز الاثرية . وقد توّج تلك المرامي السامية بانشائه دار الكتب في بيروت . وهو عمل جبار تعجز الجماعات عن النهوض بمثله . وقد نهض به الفيكنت وحده وضحّى في سبيل نجاحه وثباته بالمال الوافر والجهود المستمرة . هكذا اصبح القوم كلما ذكروا دار الكتب اللبنانية ذكروا معها اسم مؤسسها الهمام وهاك ما بذله من المساعي لتكوينها وانمائها .

١ – اتحف دار الكتب بخمسة الاف مجلداً ونيف بين مطبوع ومخطوط نقلها اليها تدريجاً من خزائن كتبه منذ السنة ١٩٢٢ فما بعد .

٢ – جهّز دار الكتب في عهدها الاول بخزائن ومكاتب ومقاعد وخرائط وطنافس وسجوف وسجلات الخ الخ .

٣ – دفع من جيبه رواتب موظفيها الثمانية ورواتب حاجبيها مدة سنتين

تقريباً . ذلك قبلما تسلمتها الحكومة اللبنانية . ويتضح هذا جلياً من وثائق رسمية محفوظة في دار الكتب وفي خزائن الفيكنت .

٤ – لم يكتفِ بتعاطي اشغال دار الكتب في اوقاتها بل دفعته الحمية الى تعاطي قسم من تلك الاشغال في منزله ايام الراحة والفراغ .

٥ – ارتحل مرتين الى اوربا ومراراً الى مصر واكثر البلدان الشرقية فحصل على مؤلفات ومجموعات جمة جهز بها دار الكتب . وقد نهض بنفقات رحلاته كلها دون ان يكلف خزانة الحكومة اللبنانية شيئاً منها .

٦ – بلغ مجموع ما جهز به دار الكتب من المؤلفات اثنين وثلاثين الف مجلد جمعها كتاباً فكتاباً وكراساً فكراساً . فالتسعة والعشرون الف مجلّد اهداها هو او احرزها من اهله واصدقائه ومن المعاهد العلمية وارباب السماحة والفضل . اما الآلآف الثلاثة الباقية فقد ادت اثمانها الحكومة اللبنانية . وعليه فيكون كل ما اشترته الحكومة لا يتجاوز عشرة بالمائة .

٧ – زيّن دار الكتب بستين صورة زيتية كبيرة تمثل مشاهير علماء لبنان ونوابغه وامرائه وحكامه . وقد استصنعها جميعها على نفقته او سعى للحصول عليها بجهوده دون ان يكلف خزانة الدولة شيئاً من اثمانها .

٨ – انشأ في المكتبة معرضاً اودعه تحفاً اثرية وكتابية وفنية بينها ما نسج بالفضة والذهب او رُصع باللالىء الفاخرة . وقد احرزها كلها بمثابة هدايا الى دار الكتب .

٩ – وضع دليلاً لتنسيق الكتب العربية مبنياً على العلم والفن والمنطق سماه « ارشاد الاعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب » وضمنه اسماء جميع العلوم عقلية ونقلية باصولها وفروعها وفروع فروعها وما تشعب منها الى ما لا نهاية له طبقاً للقاعدة العشرية . وجعل لكل اصل من اصول العلم رقماً اساسياً تتشعب منه ارقام لفروع العلم وفروع فروعها وما تشعب منها . وهو دليل مبتكر

سيصبح دستوراً لتنسيق المكتبات في جميع الامصار العربية . ويكون للبنان حق الافتخار بالسبق عليها في هذا المضمار .

١٠ - صنّف الفيكنت لدار الكتب تاريخاً عاماً مبتكراً عنوانه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » في اربعة مجلدات ضمنه اخبار المكتبات العربية قديمها وحديثها في زهاء الف وثلاثمائة صفحة كبيرة . واستند في رواياته الى مصنفات الاقدمين والمتأخرين حتى أوفى عدد المراجع التي اعتمدها على ستمائة مرجع . وتتضح خطورة هذا المؤلف الضخم من مطالعة عناوين ابوابه وفصوله وفروعه وسائر مواده في فهرس شامل لها . وبلغنا ان فريقاً من علماء الاستشراق راسلوا الفيكنت لينقلوا كتابه هذا الى لغاتهم وينشروه في بلادهم تعميماً لفوائده شرقاً وغرباً .

الفصل الثاني

تكريم الفيكنت فيليب دي طرازي

اولا

ـ لجنة التكريم واعمالها

عــلى اثر اعتزال الفيكنت فيليب دي طرّازي منصب امانة دار الكتب اللبنانية التي اسّسها في بيروت عوّل رهط من الادباء والاصدقـاء ان يقيموا له حفلة تكريم اقراراً بخدمه العلمية والوطنية . فعقــدوا اول جلسة مساء الخميس ١١ كانون الثاني ١٩٤٠ في دار صاحب المعالي الوزير حسين بك الاحدب وألّفوا لتلك الغاية لجنة قوامها السادة الآتية اسماؤهم مع حفظ الالقاب :

حسين الاحدب : الرئيس	علي سلام
افلين بسترس : نائبة الرئيس	امين بيهم
بيرد ضودج رئيس الجامعة الاميركية	رامز سركيس
عمر الداعوق	الدكتور يوسف زيادة
حبيب طراد	جرجي باز
حكمت جنبلاط	هكتور خلاط
يوسف افتيموس	صلاح الاسير

الامير رئيف ابي اللمع امين سر اللجنة

وعقيب تلك الجلسة التمهيدية توجّه رئيس اللجنة يصحبه بعض الاعضـاء الى زيارة الفيكنت دي طرازي في داره ليبلّغوه قرار اللجنة . فاعتذر الفيكنت

شاكراً لهم عاطفتهم النبيلة ملحاً الحاحاً شديداً ان يعدلوا عن فكرتهم مصرّحاً لهم انه يؤثر العزلة والسكينة على الجلبة والفخفخة . فأبت اللجنة قبول عذره وجملته امام امر لا مناص له منه باعتبار ان قرارها هذا منبثق من ارادة الامة جمعاء . فاضطر الفيكنت ان يستسلم لرغبة اللجنة التي خاطبَتْه باسم الامة واصرّت على المُضي في عملها .

بعد تلك المقابلة اخذ اعضاء اللجنة يتفاوضون في انتقاء مكان لاقامة الحفلة فانتخبوا لذلك وفداً مؤلفاً من رئيسها وامين سرّها ومن الدكتور يوسف زيادة وعلي بك سلام والاستاذ صلاح الاسير . ويوم الثلاثاء ١٦ كانون الثاني ١٩٤٠ قصدوا قاعة دار الكتب وقاعة « وست هول » في الجامعة الاميركية . فرأوا ان قاعة دار الكتب أولى بالحفلة المذكورة لانها مضمار جهود الفيكنت العلمية ومجلى آثاره الادبية الخالدة .

وعصر الجمعة ٢٦ الشهر عند الساعة الخامسة عقدت اللجنة جلسة ثانية حضرها الاعضاء سوى السيدَين حبيب بك طراد وجرجي نقولا باز اللذَين تخلفا عن الحضور لدواع صوابية . فتداولوا في تنظيم الحفلة وقرّروا قبل كل شيء ان يتحفوا المكتبة برسم الفيكنت دي طرّازي . ثم كلّفوا الاستاذ مصطفى فرّوخ المصوّر البارع ليتولى التصوير وقد جاء ذلك الرسم الزيتي آية في الفن . فنصبوه فوق مدخل القاعة الكبرى ووضعوا تحت الرسم صفيحة فضية نُقشَت عليها هذه العبارة « الفيكنت فيليب دي طرازي مؤسّس دار الكتب اللبنانية » .

بعد هذا كلّفت اللجنة فريقاً من الادباء ليتكلموا في حفلة التكريم ونشرت بطاقات الدعوة الى الحفلة باللغتين العربية والفرنسية وهذا نصها العربي :

« حضرة السيد ...

« تتشرف لجنة تكريم الفيكنت فيليب دي طرازي مؤسّس دار الكتب

اللبنانية بدعوة حضرتكم الى الحفلة التي تقيمها تكريماً له في الساعة الخامسة بعد ظهر الجمعة ٢٣ شباط ١٩٤٠ في قاعة دار الكتب بناية البرلمان . لا زلتم نصراء العلم والادب » .

وهاك منهاج الحفلة :

نشيد المرسلياز فالنشيد اللبناني الوطني .
خطبة الافتتاح لحسين بك الاحدب رئيس اللجنة .
خطاب السيد بونور مستشار المعارف .
خطاب الاستاذ عمر فاخوري .
كلمة الاستاذ الياس ابو شبكة .
قصيدة الاستاذ حليم دمّوس .
موسيقى
خطاب الاستاذ هكتور خلاط امين دار الكتب .
خطاب المحتفى به في اللغة الفرنسية .
خطاب المحتفى به في اللغة العربية .

ثانياً

حفلة التكريم

عصر الجمعة ٢٣ شباط ١٩٤٠ اقبل رئيس اللجنة حُسين بك الاحدب ولفيف اعضائها الى دار الكتب اللبنانية فاشرفوا على ما اجري فيها من التنظيم استعداداً للحفلة ولاحظوا المقاعد المهيأة للمدعوّين رسميين وغير رسميين . وما دقت الساعة الخامسة مساء حتى اكتظّت القاعة من اقصاها الى اقصاها بجماهير المدعوّين وغمر الجميع سكوت عميق تهيباً لوقار الموقف .

وعند وصول فخامة المفوّض السامي عزفت الموسيقى نشيد المرسلياز فوقف

الحضور اجلالا . وعقبه النشيد اللبناني الوطني بوصول امين سرّ الدولة عبدالله بك بيهم واخذ كل منهما مكانه في صدر المحفل .

ضمّت الصفوف الامامية شخصيات جليلة : كصاحب السماحة محمد توفيق خالد مفتي الجمهورية اللبنانية . والسيد المطران باسيليوس افرام حيقاري موفداً باسم الكردينال تبوني بطريرك السريان الانطاكي . وممثلي الدول العربية يتقدمهم سعادة قنصل مصر احمد رمزي بك وسعادة قنصل العراق تحسين بك قدري . ورهط من المستشارين والنواب والوزراء ومديري الدوائر العامة . وشوهد بينهم مسيو منديس فرنس احد وزراء فرنسا السابقين .

وحضر كذلك رئيس اركان حرب الطيران في الشرق الادنى نائباً مناب فخامة الجنرال جونو الذي حالت دون حضوره موانع قاهرة . وعرفنا بين الحضور كذلك رؤساء الملل الاسلامية والمسيحية والاسرائيلية وارباب الصحافة ومديري المدارس وجلّة علماء بيروت وادبائها واعيانها وتجارها .

وبعدما جلس كلّ في المكان المهيّأ له اقبل الفيكنت دي طرّازي مع اسرته يحيط بهم رهط من انسبائه واصدقائه واعضاء اللجنة واتخذ كل منهم مركزه .

افتتح الحفلة صاحب المعالي الوزير حسين بك الاحدب رئيس اللجنة بخطبةٍ رصينةٍ ترى نصها في ما يلي .

ثم شرع عرّيف الحفلة الدكتور الامير رئيف ابي اللمع يقدّم الخطباء الواحد تلو الاخر طبقاً للترتيب المدوّن في بطاقة الدعوة . ثم تلا رسالة وجهها صاحب الغبطة الكردينال تبوني الى معالي رئيس اللجنة يثني على عاطفته وشهامته بتكريم رجل العلم والفضل . وفي غضون الحفلة وقف السيد ادمون صابونجي مدير غرفة امين سرّ الدولة وقرأ مرسوم الحكومة اللبنانية بتعيين الفيكنت دي طرازي اميناً فخرياً لدار الكتب . وعلى اثر ذلك نهض صاحب المعالي عبدالله بك بيهم امين سرّ الدولة وصافح الفيكنت وزيّن صدره بوسام « الارز » الوطني . فدوت

القاعة بالتصفيق سروراً وشكراً · ثم عزفت الموسيقى نشيداً انشىء خصيصا للمحتفى به .

وبعدما استمع جمهور الحاضرين تقاريظ الخطباء والشعراء ارتقى الفيكنت منبر الخطابة تبدو على وجهه امارات تأثر عميق واخذ يلهج بما خالج قلبه من عواطف الشعور والامتنان . فتكلم اولا بالفرنسية ثم بالعربية معدّداً خلاصة جهوده في سبيل دار الكتب اللبنانية متمنياً ان تظل سائرة في طريق التقدّم والازدهار . وختم كلمته البليغة معرباً عن جزيل شكره لممثلي الدولتين اللبنانية والفرنسية ولرئيس لجنة التكريم واعضائها ولجميع الذين اشتركوا في ذلك المهرجان الادبي .

وعند اختتام الحفلة تقدّم فخامة المفوّض السامي وصافح الفيكنت دي طرّازي مثنياً على تفانيه وعبقريته ومعرباً عن اعجابه بما ادّاه من الخدم الجلّى للعلم والوطن . ثم اخذ الجماهير يصافحون الفيكنت واحداً فواحداً شاكرين له عمله داعين له بالعمر الطويل ومردّدين عبارات الثناء على اللجنة لقيامها بهذا التكريم عربوناً لمعرفة الجميل . وارفض الجمهور وفي افئدتهم شكر عظيم لمن بنى للكتاب مجداً باقياً مدى الدهر .

ثالثاً

احتفاء الفيكنت بلجنة التكريم في داره

شاء الفيكنت دي طرّازي ان يُعرب عن امتنانه للجنة التي قامت بتنظيم حفلة التكريم فدعاها عصر الثلاثاء ٢٧ شباط الى تناول الشاي على مائدته ودعا معها الرجال الرسميين اللبنانيين والفرنسيين وقناصل الدول والخطباء والصحافيين وبعض اعيان المدينة . فكانت ساعات جميلة قضاها الحضور في تلك الدار الرحبة. واغتنم المدعوّون الفرصة فاطّلعوا على ما حوته الخزائن الطرّازية من الكنوز الادبية والمجموعات الصحافية والمخطوطات المصوّرة والمصاحف المزوّقة وغير ذلك من الطرف النادرة .

رابعاً

ـ خطبة الافتتاح لحسين بك الاحدب رئيس اللجنة

سيداتي الفاضلات سادتي رجال العلم والادب والوجاهة

باسم اللجنة ارفع اليكم خالص الشكر والمنّة على ما ابديتموه من المروءة وما بذلتموه من العناية لتشاركونا في تكريم العالم العامل الفيكنت فيليب دي طرازي . لا زلتم نصراء للعلم وذويه والادب وبنيه . ولا عجب فاني على ثقة تامة بان كل فرد ممن ضمّه هذا المحفل من كرام القوم وافاضله لمعجب عميق الاعجاب بمناقب الفيكنت وعالي همته .

ان تأليفه « تاريخ الصحافة العربية » الفريد في بابه وغيره من تصانيفه المبتكرة دليل واضح على جهوده وعلى تفانيه في خدمة العلم والتاريخ . وعمّا قريب سيتحف عالم العلم باسفار خطيرة سيكون لها اثرها وصداها بين الناطقين بالضاد .

اما ما قام به من العمل الباهر في دار الكتب اللبنانية بصمت وهدوء فهو آية من آيات جدّه وثباته . فان فكرة تاسيسها ايها السادة كانت بلا مراء فكرته دون سواه . ولم يكد يجاهر بها ويسعى وراء تحقيقها حتى تكللت بالفوز والنجاح فطفق يعمل على اغنائها بحزم ونشاط واضاف اليها العدد الوافر من الكتب النفيسة مما اقتناه في ادوار حياته وانفق في سبيلها النفس والنفيس . وفي الحق انه بذلَ جهوداً جبّارة وعانى مشقات عظيمة لاحياء هذا المشروع . ولست اغالي اذا قلت انه كان متفانياً في سبيل تعزيزها .

ويا ليت الحكومة وعلى رأسها عبدالله بك بيهم وضعت تشريعاً خاصاً استثنت به الفيكونت من قانون بلوغ السن ! ويا ليتها ابقته يواصل عمله لخير دار الكتب

ريثما يتمكن من تحقيق رغائبه جمعاء فيجعلها في طليعـة دور الكتب في الامصار الشرقية ! ولاسيما لانه ما برح يتمتع بنضارة العقل وهمّـة الشباب بمنه تعالى . فلو فعلت الحكومة ذلك لاحسنت صنعاً واضافت مأثرة جديدة الى مآثرها الحسان . ونحن نعرف ان حكومات العالم تحتفظ بامثال الفيكنت بغية استمرار الاستفادة من مواهبهم وحملاً للغير على التشبه بهم واقتفاء آثارهم . ولكن الحكومة ارادت ان تساويه بمن بلغ السنّ القانونية من الموّظفين ولعلّ في ذلك حكمة لا يعلمهـا الا الله سبحانه .

ولنا الامل بالاستاذ هكتور خلاط انه يقتفي اثر سلفـه مفخرة العلم فتزداد دار الكتب في عهـده نجاحاً وازدهاراً . وبالرغم من ان الفيكنت يحبّ الصمت ويكره الفخفخة فاني فخور بان اكون من اللجنة التي قامت بهذه الحفلة الادبيـة يوآزرها فريق من سراة القوم وافاضله تكريماً لرجل العلم والعمل . وهو بحقّ قد احسن الى العلم والى بلاده احسن الله اليه . ومتّعه بحيـاة طيبة هادئة ينفق فيها من كنوز معارفه فوائد كثيرة على المفتقرين الى عمله وادبه .

اخيراً يطيب للجنة ان تعلن اهداءها رسمه الكريم الى مدينة الكتب هذه ليبقى اثراً خالداً بين آثاره العديدة التي زيّن بها هذه الدار الثقافية . ويطيب لهـا ايضاً اهداء صفيحة معدنية ادرجت فيها هـــذه العبارة « الفيكنت فيليب دي طرازي مؤسس دار الكتب اللبنانية » لكي تعلق عند مدخل الدار المذكورة للذكرى والتاريخ .

خامساً

خطاب السيد بونور مستشار المعارف

Monsieur le Conservateur

Ce sont vos anciens collaborateurs qui, les premiers, se sont concertés, dans une pensée affectueuse, pour qu'un re-

merciement fût exprimé et un hommage rendu, ici même, à celui qui a été le fondateur de cette maison. Mais, il ne pouvait s'agir d'une cérémonie intime, et dépouillée de tout protocole. Vos services étaient trop éclatants, pour que ce témoignage pût s'accomoder de l'ombre et du silence ou se dire à demi-mot. Il fallait que ce remerciement prît la proportion d'un acte de reconnaissance publique et que les plus hautes autorités du Mandat et du Pays libanais vinssent vous dire, par leur présence, la gratitude et l'estime que mérite votre personne et votre œuvre. C'est pourquoi dans cette cité des livres dont vous avez créé le corps et l'âme, vous voyez aujourd'hui, réunis par une intention commune, le Représentant de la France, les plus hautes Autorités de la République Libanaise, tout ce que le Liban compte d'écrivains, d'artistes, de poètes et de lettrés, vos amis et vos disciples, tous ceux qui ont compris les services éminents que vous avez rendus à la culture et à la penseé.

Parmi vos amis, présents à cette fête, je n'oublierai point ceux, dont la présence muette raconte vos longs efforts, vos recherches patientes, votre volonté passionnée de doter votre pays d'un instrument qui l'aidât à réaliser son destin de pays de culture et de foyer de pensée. Parmi vos amis les meilleurs je compte les livres placés sur ces rayons. Ils ne sont pas seulement l'ornement vénérable de cette fête. Il y prennent part ; ils s'associent à notre hommage. Bien plus éloquemment que nous tous, ils parlent pour vous et font votre éloge.

Le vieux Sainte Beuve, travaillant un jour à la Mazarine et se remémorant le temps où il y était bibliothécaire, écrivait ces lignes désabusées : « J'ai sous les yeux un objet qui me fait continuellement l'effet d'un memento mori : cette multitude de livres morts et qu'on ne lit plus : vrai cimetière qui nous attend. » Messieurs, trouvons dans la cérémonie d'aujourd'hui. un argument pour refuter cette parole d'amertume. Ce lieu n'est point une nécropole. C'est un des endroits les plus vivants de Beyrouth, une maison d'élection où la vie se fera toujours plus intense, plus rayonnante : Nous sommes dans un pays où chacun sait, de science certaine et croit de foi profonde, que la vie

se fonde sur le livre, que le livre est non point un objet mort, mais un être sacré qui propage et entretient la vie, qu'importe s'il est des livres médiocres et qui sont détruits. Les livres, — ceux qui comptent, — sont le trésor des siècles, la garantie de la continuité humaine, le legs de l'intelligence, la source des progrès de l'esprit.

Monsieur le conservateur, ce n'est pas à moi, ignorant, qu'il appartient de louer vos savants travaux d'érudit, votre grande histoire désormais classique du journalisme en pays arabe, votre substantielle histoire des évêchés syriens. D'autres plus qualifiés l'ont fait et le feront. Je veux simplement rappeler d'un mot que vous avez été le premier à pressentir, à comprendre, à montrer l'importance de la presse dans un Orient modernisé. Par une vue en quelque sorte divinatrice, vous avez saisi les capacités de transformation sociale, intellectuelle et morale qu'apportait avec lui le journal quotidien. Tout est opinion, disait cet ancien grec. Que dirait-il aujourd'hui en notre temps de journalisme et de radio ? En écrivant votre célèbre collection de périodiques, vous avez fixé et retracé d'une façon impérissable les caractères d'un des moments les plus importants de l'évolution des pays arabes.

Cette finesse du sens historique, cette vue infaillible des nécessités d'un devenir national ou humain, voilà ce qui vous a dicté votre mission. Vous avez aperçu au moment décisif que le Liban, pays du travail intellectuel, de rémovation littéraire et de création spirituelle, ne remplirait sa vocation et ne serait digne de son destin nouveau que s'il se donnait l'instrument de cette vocation et l'outil de ce destin. Tout seul presque sans appui, et sans argent, vous avez décidé de créer une Bibliothèque nationale à Beyrouth. C'est alors que commence cette histoire romanesque de vos croisades en Occident. Vous êtes devenu une sorte de moine mendiant ; vous vous faites le missionnaire gyrovague de la cité des livres. Vous avez heurté à l'huis des écrivains et des savants : vous avez frappé chez les imprimeurs, les bibliothécaires, les bouquinistes, vous avez franchi le seuil des Académies ; vous avez atten-

dri les secrétaires perpétuels et, chose plus étonnante encore, vous avez disposé à la générosité les propriétaires de maisons d'édition. Vous avez obtenu ainsi non seulement des ouvrages courants, mais des collections rares, des exemplaires insignes. Vous avez fait des miracles, vous reveniez de vos expéditions chargé de trésors, nouveau Jason rapportant de nouvelles toisons d'or. Vous avez montré là ce que peut une grande pensée quand elle est servie par une volonté passionnée. Ainsi vous avez fait surgir du néant cette Bibliopole

On ne réalise point une telle œuvre sans une grande richesse de nature, sans une abondance et une chaleur de cœur, sans une grande vertu humaine. Je ne veux point offenser votre modestie Monsieur Philippe de Tarrazi ; mais je tiens à rappeler d'un mot ce que nous savons tous : la dignité et le courage avec lesquels vous avez subi persécution au cours de la dernière guerre, votre générosité en maintes occasions pour des infortunes illustres ou d'humbles misères, votre bonté ingénieuse en soins délicats, toutes ces qualités si nobles qui vous ont, tout au long de votre vie, valu d'être familier de maisons princières et royales et de recevoir d'elles les plus grands honneurs. Un savant d'un haut mérite, un bienfaiteur du Liban, et ce qui est plus beau que tout encore, un homme de bien, voilà celui que nous avons voulu honorer aujourd'hui. Puissions-nous lui avoir exprimé convenablement dans cette cérémonie l'estime de la France, la gratitude du Liban et le remerciement de nos cœurs.

(*Signé :*) **GABRIEL BOUNOURE**

ترجمة خطاب السيد بونور مستشار المعارف

سيدي امين دار الكتب

اوّل من فكّر بعاطفة الولاء في تكريم مؤسس هـــذا المعهد الكتابي هم معاونوك القدماء . ذلك ليعربوا لك عن شعورهم وشكرهم وعن قدرهم اعمالك . فلم يسعهم ان يقيموا حفلة خاصة خالية من كل تظاهرة رسمية لان لخدمك الجليلة

من العظمة ما يوجب اقامة هذا المهرجان الحافل . لذلك وجب ان يُفرغ هذا الشعور في قالب ولاء عامّ وان يحضر هذا المهرجان رجال السلطة المنتدبة ورجال الحكومة اللبنانية برهاناً على الاقرار بجميلك ورمزاً الى ما يستحقه شخصك الكريم ومشروعك الجليل من المنّة والاجلال .

وباجماع الرأي احتشد اليوم في مدينة الكتب هذه التي خلقتَ انتَ جسمها وروحها ممثّل لدولة الفرنسية واقطاب الجمهورية اللبنانية مع مَن انجب لبنان من حمَلة الافلام والفنانين والشعراء والادباء اصدقائك وتلامذتك وسائر الذين ادركوا وقدروا ما اديّته من الخدَم الجلّى لعالَمي الثقافة والحصافة .

ولستُ انسى ان احصي بين الاصدقاء المحتفلين بمهرجانك اصدقاء آخرين يحدّثنا صمتُهم عن جهودك المتواصلة وابحاثك المضنية وعن كلَفك بان تتحف الوطن بشروع مفيد يحقق امانيه ليصبح بلد الثقافة ومهد الحصافة . عنيتُ باولئك الاصدقاء هذه الكتب الجاثمة حولنا فوق الرفوف. فانها زينة هذا المهرجان بل مفخرته وهي تشاركنا في تكريمك واطرائك ببلاغة تفوق بلاغتنا جميعاً .

جلس يوماً « سانت بوف » وهو شيخ طاعن في السنّ يطالع في المكتبة المازارينية بعض الكتب مستعيداً ذكريات عهدٍ كان فيه اميناً لتلك المكتبة . فكتب ما نصّه : « امامي شيء لا يزال يذكّرني بالموت ! هو هذا الحشد من كتب وافرة لا تُقرأ بتاتاً وهي تحاكي مقبرة حقيقية تنتظرنا ! » .

بيد اننا نرى ايها السادة في مهرجان اليوم حجّة قويّة تدحض زعماً كهذا الزعم يدعو الى القنوط واليأس . لان هذا المكان ليس مدينة للاموات لكنه معهد من اروع المعاهد التي تبعث الحياة الفكرية في بيروت وتزيدها انتعاشاً ونشاطاً ولمعاناً . ومما يثلج قلوبنا اننا في قطر يعرف فيه المرء معرفة تامة ويعتقد اعتقاداً راسخاً ان الحياة مؤسّسة على الكتاب . وان الكتاب ليس شيئاً ميتاً لكنه كائن مقدّس ينشر الحياة ويغذّيها . ولا يضير الكتبَ ان تحوي بينها

عدداً تافهاً قليل الجدوى . فالكتب المفيدة كنز للعصور وضمان لبقاء الانسانية ومنحة للذكاء وينبوع للنموّ الفكري .

سيدي امين دار الكتب

ليس من شأني انا العاجز ان اطرىء مؤلفاتك العلمية الخطيرة التي اصبحت في رفوف الخلود ولاسيما كتابك « تاريخ الصحافة العربية » وبحثك التاريخي الدقيق عن « اساقفة الابرشيات السريانية » وغيرها . فهنالك كتّاب احرى مني تحدثوا او سيتحدّثون عنها . بيد اني اريد ان المع الماعاً الى انك كنت اوّل من شعر بقيمة الصحافة وادركها . واوّل من ابان خطورتها في الشرق المتحضّر . فقد سبقت فعرفت بثاقب نظرك المدى الذي تخلّفه الصحيفة اليومية من الاثر الطيب في الحوادث الاجتماعية والفكريّة والادبية فقد صرّح ذلك الاغريقي بقوله « كل شيء يسود الفكر » فما عساه ان يقول اليوم في هذا العصر عصر الصحافة والراديو ؟ فقد حدّدتَ وسجّلتَ في تأليفك « تاريخ الصحافة » وفي انشائك تلك « المجموعة الصحفية » الشهيرة مزايا حقبة مهمّة من تاريخ التطوّر الفكري في البلاد العربية . وحرصتَ على تلك الكنوز حرصاً شديداً يفنى الزمان ولا تفنى .

فدقّتك في الشعور التاريخي ونظرتك الصائبة في مقتضيات المستقبل الوطني والانساني هما الدعامتان الراسختان لرسالتك . لقد تيقنت ان لبنان مهد الثقافة والتجدد الادبي والابداع الروحي لن يقوم برسالته ولن يكون اهلاً لمصيره الجديد الا اذا مُنح ما يلزمه من الذرائع لتحقيق تلك الدعوة والوصول الى هذا الهدف . هكذا عزمتَ وحدك ان تنشيء مكتبة وطنية في بيروت لا عماد لك تستند اليه ولا مال تستعين به . ومن ذاك الحين اخذتْ صفحة تاريخك تتألق وشرعتَ تستنهض همم ابناء الغرب وتستحثهم على تعزيز هذه المكتبة الوطنية وتدعوهم الى مناصرتها . فكدتَ تكون كراهب يستجدي اكفّ المحسنين في عهد الحروب الصليبية او كدت تكون كرسول نشيط لدى حمَلة الاقلام والعلماء لترقية مدينة الكتب هذه . فرحتَ تطرق ابواب ناشري الكتب وطبّاعيها

وجمّاعيها . وتجتاز عتبات المجامع العلمية حتى ذللّت العقبات واصبت الغرض الذي توخيته . واغرب من ذلك كله انك حملت تجار الكتب على ان يتبرعوا بما لديهم من نفائس المطبوعات . وعلى هذا المنوال احرزتَ طائفة كبيرة لا من الكتب المألوفة المعروفة فحسب بل من المجموعات النادرة والتآليف الجديرة بالاعتبار .

وزبدة القول انك في مشروعك هذا قد اتيت بالمعجزات ثم قفلت عائداً من غزوتك مثقلاً بالغنائم والكنوز كما عاد « جازون » الاسطوري مثقلاً بالذهب . وبرهنت بصادع الحجة على ما تستطيع الفكرة النيّرة ان تحققه اذا خدمتها ارادة متحمسة . وقد توصلت بتلك الهمة ان تخلق من العدم مدينة الكتب .

ان عملاً كهذا لا يتم الا اذا صحبه خلقٌ رضي وقلب فائض بالحمية وفضيلة بشرية كبرى . اقول هذا غير قاصد ان امسّ عاطفة تواضعك يا سيدي فيليب دي طرّازي . بيد اني لست ارى بداً من ان المع الى ما عرفه فيك الخاصّ والعام . نعم اننا ما عرفنا فيك الا الكرامة والشجاعة تتحدى بها جورَ الحرب العظمى . ما عرفنا فيك الا الكرم تخفّف به وطأة الشقاء عن جماعات شريفة اخنى عليها الدهر، او عن اقوام تغلب عليهم البؤس والفقر . تلك صفات نبيلة رافقتك في جميع ادوار حياتك فحبّبتك الى الملوك والامراء واحظتك لديهم بالعطف السامي وباكبر شارات الافتخار . اننا نكرّم اليوم عالماً رفيع القدر ومحسناً في لبنان . بل الاسمى من ذلك كله اننا نكرّم رجل خيرٍ وفضل . فهل يتسنى لنا ان نعبّر له في هذا المهرجان تعبيراً كافياً عن احترام فرنسا وعن وفاء لبنان وعن عواطف شكرنا القلبية ؟

سادساً

خطاب الاستاذ عمر فاخوري

مدنية الكتاب

« الم » ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ! »

لالف ومئة سنة خلت ارسل الجاحظ من دار السلام كلمته المشهورة في فضل الكتاب . فكأنّ هذه الكلمة فصل جامع كتبه امام الادب العربي لدائرة معارف في عصره . ان دائرة المعارف لم تؤلف لكن هذا الفصل من فصولها قد كتب : مَن قرأه لم يشك في انه فصل انسيكلوبيدي في موضوع الكتب . كيف توضع وكيف تُنسخ او تُطبع وكيف تجمع . على ان الجاحظ لم ينسَ الورق والحبر والخط وما يستجاد ويُرغّب فيه ويباهى به منها .

كنتُ افكّر في ذلك الفصل الجاحظي القيّم وانا اقلّب النظر في المجلد الاخير من الانسيكلوبيدية الفرنسية الجديدة التي يقوم باعبائها الوزير De Monzie منذ بضعة اعوام مع طائفة من أعلام العلم والآداب والفنون . فاذا ذكرت لكم ان اسم هذا المجلد هو Civilisation Ecrite او مدنية الكتاب وان الذي اشرف على تصنيفه وساهم في تحرير بعض فصوله هو Julien Cain امين دار الكتب الوطنية في باريس علمتم علم اليقين اني – وان قفزتُ باسرع من لمح البصر من بغداد الى باريس متخطياً الف حول على الاقل – لم احد قيد شبر ولم اغفل لحظة واحدة عن خطة هذه الحفلة . مئة جيل على الاقل اراقت البشرية على عطفاتها وفي ملتقى سبُلها وبكل ساحة من ساحاتها كثيراً من الدموع وكثيراً من الدماء .

هذا العنوان « مدنية الكتاب » هذا العنوان وحده كاف لان يوحي الى الذهن ما يوحي ويفتح امامه من الآفاق ما اتسع . بيد انه يكون اوضح دلالة وابعد مغزى اذا قلت لكم ان ناشره الوزير الفرنسي كتب مقدّمته عامداً متعمداً في تشرين الماضي (او تشرين الحرب بعبارة اصحّ) . وقد وقفت البشرية

يوم ذاك عند عطفة من عطفات التاريخ الدامية تصطلي نار فتنـة شعواء خبوط باليد لبوط بالرِجل يشيّرها ذلك الذي يزعم انه عدوّ الكتب وفي رأسها الكتب المنزلة .

وبعدُ فما الكتاب ؟ وما مدنيّـة الكتاب ؟ ...

الكتاب شيء من حبر على شيء من ورق يصِـل الازل بالابد ويضيء له مـا بين المشرق والمغرب بقـوة الفكر الذي لا يُغلَب ونور الفكر الذي لا يحجب وبركة الفكر الذي لا ينضب . الكتاب هو الفكر نفسه محمولا منقولا على كاهل الاعصر في شواسع الابعاد . الكتاب هو المعجزة الواحدة المتعدّدة الزائلة الخالدة. ويقول الشاعر Mallarmé ان الغاية التي ينتهي اليها هذا الكون هي كتاب ، كتاب لا اكثر ولا اقل . ثم يزيد اغراباً في الرأي عـلى عادة متصوّفة الشعراء حينما يزعم ان للكتاب قيمة بحد ذاته وهو يعني كتاباً بلا مؤلف ولا موضوع ولا قارىء . واظن ان هذا النوع من الكتب هو الذي يغالي في طلبه كثيرٌ من بني قومنا بعد تركهم المدرسة ... ولكن نحمد الله على ان في هذه الديار العامرة كتباً من النوع الآخر : كتباً ألفها مؤلفوها لقرّاء يقرأونها .

ونحمد الله على ان في ظهرانينا رجلاً كالفيكونت دي طرازي العالم العامـل الذي بذل من ذات يده ومن ذات نفسه سنين طوالا ممهداً العقبات مذللاالصعوبات في سبيل الكتاب ومدنية الكتاب .

لقد اراد الفيكنت دي طرّازي ان تكون هـذه الدار – دار الكتب اللبنانية – مناراً قائماً في بلادنا يشهد انّ ثمة شعباً يقرأ، أيْ يقدر الروح والمُثُل العليا قدرها في عهد طغت عليه المادّية فلا يفتأ يتمثّل لنـا حيثما ادرنا الطرف مدّججاً بالحديد مضرّجاً بالدم .

هذا هو الفيكونت دي طرازي وهذا عمله !
نِعمَ الرجل ! ونعمَ العمل !

سابعاً

كلمة الاستاذ الياس ابو شبكة

نجتمع في هـذه العشيّة لنقوم بواجب . وايّ واجب ارضى للنفس وادعي لراحة الضمير من تكريم رجل واصلَ سحرة الحياة بمسائها في تكريم بلده وعشيرته . فقد انفق الفيكونت دي طرازي فيضاً وافراً من نور عينيه ومما اتاه الله لراحته وهنائه في سبيل هدف يُخلق في الانسان كأنه طبيعة فيه . فلا اقل من ان ننفق بعض ما تشعر به النفس تقديراً للفضل واظهاراً لعرفان الجميل .

ان تكريم رجل يقعد به فضله لا يغني هذا الرجل ولا ينصفه من حقه ولكنه يوفر لمكرّمه ليلة ينامها مطمئن النفس مرتاحاً الى قيامه بما قسط له من الواجب .

ليس فيكم ايها السادة مَن يجهل ايّة مكرمة اسبغ الفيكونت دي طرازي على الادب والثقافة بتأسيسه هـــذا البيت الكريم . وليس فيكم من يجهل باي روح من التجرد والزهد بالنفس باية عاطفة من الامل واية حرارة من الايمان كان يدأب على عمله مصغياً الى صوت ضميره . فالرجل الذي نكرمه اليوم بواصل اعماله في هذه الجزيرة النـيّرة من الارض اللبنانية بين هذه الاسفار التي اكلتْ من فلذته وشربت من ماء عينيه . بين هذه الرسوم امجاد السلف وهو منهم بقيّة صالحة . في عينيه رصانة العالِم وفي اديه هيبـــة الحكيم لا يشخص الا الى هدف جليل هو خدمة النشء متخيّراً له افيد ما تيسّر من قوت الادب

فيا ايها الفاضل

ان فضلك في غنى عن الاطراء . فهـذا البيت الذي بنيتَ والكتب التي وضعتَ وصنّفت ترشقك بالورد وتهشّ اليك . وستبقى مـــا بقيتْ ألسنة تلهج بفضلك ونسمة مباركة تهب منك عـــلى بلدك . فانما الوطن لا يركب في صهوة سيادته الا على اكتاف الاوفياء العاملين من ابنائه .

ثامناً

قصيدة الاستاذ حليم دموس

هللْ على ذكر الكتاب وكبّرِ ... واخشع امام جلال هذا المظهرِ
وادخل الى حرَم الثقافة لاثماً ... انجيلَ اجيالٍ ومصحفَ ادهرِ
واعكف على كتبٍ فصيح صمتُها ... وهي الجليس لكل غادٍ مبكرِ
كتب كنائبها تصون تُراثنا ... وتظلّ للاحقابِ اثمن مذخرِ
مرآة اخلاق الشعوب ومشعل ... يَهدي سبيلِ الباحثِ المتحيرِ
ولرب مخطوطٍ تقادم عهده ... وهو الجديد لكل فن مزهرِ
في كل زاوية لديك ورفرفٍ ... لمح الهدى للقابس المتنورِ
كيف التفت وجدت سلسَلَ حكمة ... يُحيي النفوس بفيضه المتحدرِ
هي واحة للقارئين وشرعة ... للظامئين الى الرحيق المسكرِ
واللهِ لو جعلوا المنازل جنةً ... لغدت مكاتبها مقام الكوثرِ

. . . .

اعظم بمكتبة تحيّي ربها ... وتشيد باسم الخيّر ابن الخيرِ
افما عرفتَ جهوده وجهاده ... ورشفت عَذْبَ بيانه المتفجرِ
هي ثورة خرساء حرّك نارها ... في صدر كل مثّقف ومفكرِ
وبمقلة نقادة وبفكرة ... وقادة وبهمةٍ لم تفترِ
خدم المعارف ساهراً متعهداً ... اغراسها فأتى بحقل مثمرِ
فتحققت رغباته وتجددت ... عزماته رغم الزمان الاغبرِ
لولا عنايته ويقظة صحبه ... لهوت كاطراف القنا المتكسرِ

. . . .

أرأيت مثقلةَ السنابلِ تنحني ... وبرأسها سرّ الغذاء الاكبرِ
ملاءى كما ملئت خزانة عالمٍ ... متدرب في دهره متدبرِ

يحنو على اسفاره فتخاله   صبا يحن لكاعب او معصرِ
يستعرض الماضي ويشهد حاضراً   ويراقب الآتي بطرف نيّرِ
هذا ابن (طرازي) وهذا شأنه   في نهضة الادب الخصيب الانضرِ
لو خيّروه لظل يسقي روضها   هيهات ليس الامر للمتخيّرِ

. . . .

يا خادم الفصحى وصائن درّها   اليومَ يومك للمفاخر فافخرِ
ألفت بين الدين والدنيا معاً   بجواهرٍ ادبية لم تحصرِ
وجمعت موسى والمسيح واحمداً   في هيكل العلم الشريف الاطهرِ
وتعانقت بيع هنا ومساجد   وهنا (القيامة) هللت (للازهرِ)
وهناك ابناء الفراعنة الأُلى   تركوا من الاهرام اروع منظرِ
وهناك اندلسَ ودار اميةٍ   تتصافحان كبعلبكّ وتدمرِ
وهناك مجدُ العربِ من عدنانها   وهناك راية تبّع او حِميرِ
وهناك نابليون بين جيوشه   وهناك كسرى في ضيافة قيصرِ

. . . .

وعرائس الشعراء يبسم ثغرها   طرباً لمن سكروا بخمرة عبقرِ
طاروا باجنحة الخيال فحلقوا   واليهم التفتت عيون الانسرِ
قيثار (داود) ونغمة (معبدٍ)   رنّا بأذن عطارد والمشتري
(ليلى) تحدث عن (جميل بثينةٍ)   و (بثينة) تهفو (لعبلة) عنترِ

. . . .

وهنا عباقرة الزمان فنابغ   متقدم يرنو الى متأخرِ
يتناثرون كأنجم يتفرقون كانهرٍ   يتجمعون كأبحرِ
يتنصتون الى حديثك بينهم   عن معشر من غائبين وحُضّرِ
دنيا من المجد التليد عريقة   ضاعت كانفاس الشذا المتعطر

ورسوم اهل العصر من شرفاتها ... تصغي لشعر ابي العلا والبحتري
صوّرتهم وبحثتَ عن آثارهم ... والذكر خير مخلّدٍ ومصوّرِ
دول تمرّ وتنطوي راياتها ... وكتائب العلماء لم تتقهقرِ

. . . .

لو تملك الكتبُ الكلام لرفرفت ... واتتك بين مهلّل ومكبرِ
وسمعت من غرر الصحائف خطبة ... من كل سِفرٍ كالصباح المسفرِ
كم اقفر النادي وعُطل مجلس ... وبناء فضلك عامر لم يقفرِ
وتغيّرت حال الزمان واهله ... وهواك للاداب لم يتغيرِ
ولكم بنيت وكان مغيرك هادماً ... شتان بين معمر ومدمرِ
ابقيتَ للجيل العتيد ذخيرةً ... قد اخرست ابداً لسانَ المفتري
ورجعت من غمرات جهدك قائداً ... ابلى وحُف به لِواء مظفّرِ
وعلاك من اثر الكفاح وغاره ... تاج المشيبِ على غبار العِثيَرِ
فتح بلا سيفٍ وملك راسخ ... ومضاء جبّارٍ ووثبةُ قسوَرِ
لو كان تكريمٌ المجاهد في يدي ... لرفعتُ تِمثالا له من جوهرِ
رمزٌ يحدّثُ معشري عن حبه ... لبلاده ووفائه للمعشرِ
هذا جزاء المخلصينَ نصوغه ... اكليل مجدٍ نشرهُ من عنبرِ
فاقبل قوافينا ففي نفحاتها ... روح الوفاء الى الكريم العنصرِ
واسمع هتاف المعجبين مردداً ... من ارز لبنان لارض المهجرِ
كنت «الامين» على الكثير فصنته ... لذوي النهى برعايةِ المتبصرِ
وجعلت آثار العصور بقاعة ... وجمعت تاريخ الدهور باسطرِ
كأس من الادب الرفيع سكبتها ... فلتشرب الدنيا عصير الاعصرِ!

تاسعاً

خطاب الاستاذ هكتور خلاط امين دار الكتب

J'assurerai d'abord de ma reconnaissance les personnes au grand cœur qui, ayant conçu le noble projet d'organiser cette fête pour honorer le mérite, ont eu la générosité de vouloir, tout indigne qu'il est, faire figurer mon nom sur la liste des orateurs. Je les remercie de m'avoir ainsi mis en mesure de proclamer publiquement la dette que j'ai contractée envers celui qui, en poussant obstinément à la création de cette Bibliothèque a fourni à notre Gouvernement l'occasion de m'installer au poste qui correspond le mieux à mes goûts les plus chers .....

Plus que moi, Monsieur le Conservateur, vous avez été ivre de ce vin que verse la lecture. Plus que moi vous avez été heureux de vivre parmi les livres. Plus que moi vous les avez aimés.

Ces livres qui nous entourent sont le fruit de ves recherches passionnées ; ces rayons qui les portent, les alvéoles d'une ruche où, patiemment, vous avez accumulé le miel de l'esprit...

Vos libéralités premières ont été la semance des richesses futures. Autour du neyau central que vous avez constitué, sont venues s'jaouter, année après année de précieuses acquisitions. Et si l'on ne peut pas encore tout à fait dire que, les fruits ont passé la promesse des fleurs, du moins nourrit-on l'espoir que le vers de poête sera, quelque jour, l'image de la réalité.

C'est à qu'oi, pour ma part, je vais tendre de toutes mes forces. Puissé-je, Monsieur le Conservateur, me montrer digne d'avoir été choisi pour prendre votre succession ! J'y parviendrai, peut-être, si je borne mon ambition à suivre votre exemple. Les yeux fixés sur votre carrière, je veux apprendre de vous à rendre la mienne féconde.

عاشراً

خطاب المحتفى به في اللغة الفرنسية

Monsieur le Haut-Commissaire,

Mesdames, Messieurs,

La manifestation d'aujourd'hui a pour but de m'honorer ; elle dépasse ma personne.

Permettez-moi d'y voir, une autre traduction : cette Bibliothèque, à laquelle j'ai consacré tous mes efforts, est aujourd'hui le monument qui a permis de fusionner deux cultures : la culture française et la culture libanaise.

Si je voulais trouver un exemple vivant de ces principes mêmes qui m'ont toujours guidé, je ne pourrais mieux le faire qu'en regardant autour de moi les plus hautes personnalités des milieux politiques, religieux, scientifiques, militaires, sociaux et artistiques. Tous sont là, témoignant de la vivacité de cette fusion des deux cultures.

Je tiens à vous remercier, vous tous, qui êtes venus, en la personne de celui qui m'a fait le grand honneur de présider cette réunion : j'ai nommé Mr. le Haut-Commissaire de la République Française qui a déjà donné tant de preuves de sa haute sollicitude pour toutes nos institutions nationales.

J'ose espérer, Excellence, que vous voudrez bien continuer à favoriser de votre bienveillant appui l'essor de cette œuvre qui est la fusion de nos deux âmes.

Notre pays a été le creuset des civilisations. La flamme, un moment éteinte, est aujourd'hui ranimée, Jamais plus elle ne s'éteindra.

حادي عشر

خطاب المحتفى به في اللغة العربية

يا صاحب الدولة   سيداتي وسادتي

امام هذا المحفل الكريم وفي هذه الساعة الخطيرة من حياتي ارفع فروض الحمد للعزة الالهية التي وشحتني بستر عنايتها . في هذه الساعة الجليلة اشعر بتعزية وافتخار لان ما اديته من الخدم لوطني المحبوب نال رضى الامة فنهضت تقابلني بمعرفة الجميل في شيخوختي .

ستون سنة تقضت لي في المثابرة على البحث والتحصيل والتصنيف في حقل العلم . ستون سنة مرت علي وفكرة المكتبة تجول ليلَ نهار في خاطري بل تدفعني الى تحقيق هذا المشروع مهما كلفني الامر من التضحيات والاسهار . ولما ابرزتُها من حيز الفكر الى حيز الوجود تذرعت بالنشاط والصبر والاعتماد على النفس واثقاً بحسن الختام . وقد اعترضتني عقبات كؤود لو اعترضت غيري كما اعتقد لتولاه اليأس والقنوط وقُضي على المشروع في مهده . بيد ان تلك العقبات لم تثبط عزيمتي عن تذليل الصعاب ومتابعة العمل .

اذا حصرت حديثي معكم عن دار الكتب اللبنانية التي احتشدنا تحت سقف ناديها قلت انها ليست الا ثمرة من تلك الثمار الشهية التي فرغتُ لغرسها وعزقها وانضاجها سمعي وبصري وعقلي . وتعهدتها بتعبي وسهري وعرقي . وحبستُ لها علاوة على ذلك الوفَ مجلدات نقلتُها اليها من خزانة كتبي الخاصة . هذه الدار التي طالما تاق الى مثلها بل الى اقل منها اسلافنا في غابر الاحقاب قد تحققت بها اليوم امانيهم واماننا . دارٌ اصبحت تعتز بها مدينة بيروت عاصمة العلم في الامصار الشرقية . دار تجلت فيها الثقافة بكل مظاهرها فغدت مشكاةً يهتدي باضوائها الطلاب الناشئون والمؤلفون والباحثون .

تتوقون بلا ريب الى معرفة العوامل التي ضمنت للمكتبة تأسيسها ونجاحها . فالسرّ في ذلك يستند الى اربع دعائم اذا اختلّت دعامة منها تزعزع البنيان من اساسه : فالدعامة الاولى هي الصدق في التعامل . ثانيتها الاخلاص في العمل . ثالثتها التجرّد عن المنافع الشخصية . ورابعتها الثبات على احتمال المصاعب ومقاومة الصدمات . فهذه الاركان الاربعة التي جعلتُها هدفي سراً وجهراً قد سبقت فرسمتُ خططها وتقيدت بها بدقة وامانة منذ البداية حتى النهاية . وهي التي مهّدت لي السبل وذللت امامي العقبات ريثما بلغت الغاية التي توخّيتها من انشاء هذا المشروع .

تصرّمت والحمد لله تعالى تلك المرحلة وانا اليوم قريرُ العين بما تحمله لي امّتي الكريمة بل كل ناطق بالضاد من الرضى والعطف والاستحسان . ذلك كلّه يدعوني الى ان اتناسى متاعبي واتباهى بنبالة سيّدات ورجالات امثالكم يقدرون قدرَ تلك المتاعب ويقيمون لها وللعلم وزناً راجحاً . فاسمحوا لي اذاً ان ابثّكم أخلص عواطف الامتنان داعياً لكم بتوفيق الاعمال وتحقيق الآمال .

واول فرض يتحتّم عليّ اداؤه هو ان اجاهر بحسنات الدولة الفرنسية المجيدة التي كانت لها الايادي البيضاء في تنشيطي يوم اسّست هذا المعهد الثقافي . فارفع لها مفترض الشكر داعياً الى المولى سبحانه ان يشملها بايده ويمنحها النصر النهائي في هذه الايام العصيبة بحوله ومنّته . واشكر خصوصاً فخامة ممثلها العميد السامي المسيو بيو الذي تصدّر هذه الحفلة فشرّفها بحضوره .

وانوّه كذلك بفضل حكومتنا اللبنانية الجليلة التي شيّدت هذا البناء الفخم تأميناً لمستقبل دار الكتب وتعزيزاً لمكانتها . فقد احرزت بصنيعها المشكور احترام الادباء قاطبة وجعلت لهذا الصرح العلمي منزلة رفيعة بين مكتبات الشرق . واوجّه الى صاحب المعالي عبدالله بك بيهم امين سرّ الدولة عاطفة ولاء ووفاء اذ قلدني في هذا المحفل الجليل وسام « الارز » الوطني . واعلنني بمرسوم خاص اميناً فخرياً لدار الكتب اللبنانية .

ثم اذكر بالثناء اللجنة الموقرة التي شاءت ان تقيم لتكريمي حفلة بهجة كهذه الحفلة تفوق استحقاقي . فحاولت التملّص منها مراراً والححت على رئيس اللجنة الكريم وعلى زملائه الاجلاء ان يعدلوا عن فكرتهم مصرّحاً لهم باني أوثر قضاء ما تبقى من حياتي بالعزلة ليتسنى لي انجاز ما باشرته من التصانيف . لكني اضطررت بعد الاخذ والردّ ان انحني تجاه الامر الواقع واتقبّل هذا التكريم لا طلباً للمجد بل حباً بجمهور الحاضرين كي يتيسّر لهم ان يتعرفوا الى دار الكتب اللبنانية التي يجهلها فريق منهم . فوجب عليّ اذاً ان اسدي آيات الشكر لتلك اللجنة المحترمة ولكل عضو من اعضائها لِما تجشّموه من العناء في هذا السبيل . وأعرب خصوصاً عما يكنّه فؤادي من الاجلال لرئيس اللجنة الفضيل حسين بك الاحدب نجل علّامتنا الكبير الشيخ ابرهيم الاحدب طيّب الله ثراه .

وفي الوقت نفسه اشكر بلابل هذه الحفلة من خطباء وشعراء طالما اطربوا مجالس الادب باقوالهم العذبة . وقد شاؤا اليوم ان يشنّفوا مسامعكم بما لا استأهله من الاطراء بما كدتُ اذوب منه خجلاً وحياء . فليأذنوا لي ان اكيل لهم على عبقريتهم اضعاف ما كالوه لي من ضروب المديح وقوافي الثناء .

وانْ انسَ فلن انسى اصدقائي الصحافيين الذين نشروا في جرائدهم ومجلاتهم الشيء الكثير عن دار الكتب اللبنانية وعن مؤسّسها ومعاونيه وعما انتجتْه من الفوائد الجلّى لابناء وطننا العزيز . فليثقوا باني كنت وما برحت من أوفى خدّام الصحافة العربية باقوالي ومؤلفاتي ومجموعاتي وسائر مواقفي التي شهدت وتشهد باخلاصي لها ولاربابها وبحرصي الشديد على كرامتهم وكرامتها .

ولا بدّ لي ان اوجّه كلمة وجيزة الى السيد هكتور خلاط الذي اصبح خَلفي في امانة دار الكتب . واعتقد انه يقود هذه السفينة العلميّة قيادة ربّان حاذق حتى يبلغ بها الى ميناء الامان ومنتهى النجاح . ولي اليقين التام في ان يرى في جميع الموظفين النجباء الذين ربّيتهم وعشت معهم ما رأيته فيهم من الشهامة

والامانة والاجتهاد . على اني اشعر اليوم بفرح عظيم اذ يتاح لي بعد جهاد طويل ان اوجّه اليهم والى جميع الادباء وروّاد المكتبة تلك الآية الشريفة قائلًا لهم : « ارفعوا اعينكم وانظروا الى المزارع انها قد ابيضّت للحصاد » . فانا حرثت وزرعت ولم يبقَ الا ان تحصدوا . هكذا يعمّ الفرح فيشمل الزارع والحاصد كليهما معاً .

الفصل الثالث

رسائل بعض الائمة والاصدقاء في حفلة التكريم

اولا

رسالة غبطة الكردينال اغناطيوس جبرائيل الاول بطريرك السريان الانطاكي

الى معالي الوزير حسين بك الاحدب رئيس اللجنة

عن بيروت ٢٢ شباط ١٩٤٠

١٠ — ٤٥٦١

حضرة الاجل الامجد حسين بك الاحدب المحترم

نتقدم من حضرتكم بالتحيات الذكية والادعية الحميمة . اما بعد فقد سُررنا للعاطفة الشريفة التي اوحت الى اللجنة النبيلة التي ترأسونها القيام في الساعة الخامسة من مساء الجمعة ٢٣ شباط الجاري بحفلة تكريم لمن سعى السعيَ الحثيث لتأسيس دار الكتب اللبنانية . فاصبحت بسنين قلائل مشتملة على آلاف النسخ من الكتب في كل فنّ ومطلب . وغدت موئلاً لروّام البحث والمطالعة من جميع الطبقات . نريد به حضرة الوجيه الشهم عزيزنا الفيكنت فيليب دي طرازي المحترم الذي زرع هذه النواة في عاصمة لبنان . ورؤاها بعرق اتعابه وجهوده وانماها بجميل مساعيه ونشاطه حتى اصبحت كما ترونها اليوم احدى مفاخر الوطن اللبناني المحبوب. ولما كان الفضل يعرفه ذووه تألفت لجنتكم الكريمة لاعطاء كل ذي حقّ

حقه . فحبذا الشعور الحي ! وحبذا الشهامة ! وحبذا العواطف النبيلة ! اننا نثني على غيرتكم ونسأل الله تعالى ان يبقيكم مثالا للمكرمات ولسمو الاخلاق . وقد أنبنا عنا سيادة الاخ الجليل المطران باسيليوس فرام حيقاري الجزيل الاحترام ليشاطركم هذه العواطف وليقوم باسمنا بتهنئة المحتفى به .

ونختم مكررين عليكم وعلى زملائكم الكرام فرداً فرداً اطيب السلام والتحيات والادعية القلبية والتمنيات الصالحة حفظكم المولى الكريم .

الداعي
الكردينال اغناطيوس جبرائيل تبوني
بطريرك السريان الانطاكي

ثانياً

رسالة الاستاذ شارل القرم

Ce Dimanche 25 Fév. 1940

Mon bien cher Philippe,

Vous pensez bien que je dois avoir eu un empêchement sérieux pour n'être pas allé avec Samia vous applaudir et nous réjouir avec vous du juste succès qui vient enfin de couronner une des plus belles carrières libanaises de dévouement et de foi en faveur de la culture de notre pays. La simple et triste raison de cette malchance, c'est que je suis malade Samia est malade et les enfants aussi.

J'arrive à peine à me trainer de mon lit à mon bureau de travail que j'ai fait installer dans ma chambre à coucher ; mais avec le beau temps qui va revenir, j'espère, nous serons tous beaucoup mieux, et j'irai vous embrasser pour le magnifique succès de la cérémonie de Vendredi. Je me console, un peu de

n'y avoir pu être présent, en lisant les journaux qui le commentent si élogieusement, et en entendant mes amis qui m'en rapportent les impressions les plus édifiantes — Bravo !

A vous de tout cœur
CHARLES

تعريب الرسالة

بيروت – الاحد ٢٥ شباط ١٩٤٠

يا عزيزي فيليب

تعلم جيّداً ان امراً هاماً حال دون حضوري وحضور سامية للهتاف لك وللاستمتاع معك بالنجاح العدل الذي توّج مفرقاً من اجمل المفارق اللبنانية المرتكزة على التفاني وصدى العقيدة بثقافة بلادنا. وعذري الوحيد المؤلم اني مريض وزوجتي سامية كذلك مع ولدَينا الصغيرين ،

لا اكاد انتقل من سريري الى مكتبي الذي جعلته في غرفة نومي الا بصعوبة تامة. وارجو اننا متى تماثلنا الى العافية احضر بذاتي اليك واعانقك مهنئاً بما تفردتْ به حفلة يوم الجمعة من الفوز الباهر. ولقد اتسلّى في تخلفي عن حضور تلك الحفلة بمطالعة الصحف التي تحدّثتْ عنها واطرأتها اطراء بليغاً او بالاستمتاع الى ما ينقله اليّ اصدقائي من التأثير العميق. هنيئاً لك !

شارل

ثالثاً

رسالة الاستاذ بطرس معوض اورد فيها ما يلي :

الى سعادة الامير رئيف ابي اللمع امين سرّ لجنة التكريم

« ... لستُ اصف برّ الفيكنت بالادباء وحفاوته بهم وغيرته عليهم. فما من اديب الا ويشهد له بهذا شهادة حقّ ... ولله ما أقدره على الصبر واحتمال المكاره

اذا دري ان في الصبر والاحتمال درأ لِما هو أمرّ واضرّ . وبهذه القوّة الادبيـة اكبّ عـلى الجهاد في سبيل دار الكتب اللبنانية على رغم ما اعترضه من العقبات وما وُجه اليه من اضطهاد وما قوبل به من غمط ونكران . ولولاه ولولا صبره العجيب لمَا رأى جائل في دار الكتب اللبنانية ما يراه اليوم من الروعـة والفخامة والثروة والنظام .

« ان الناظرين الى دار الكتب في بيروت يقفون مُعجبين بالعمل الجبـار التامّ الرائع ويقولون : ما شاء الله ! ولكن المتعمقـين والراجعين الى التقدير الحقيقي متى وعوا ان القائم بذلك المشروع المجيد رجل فرد ادركوا حينئذ مـا يصل اليه صدق العزيمة وقالوا : الله الله ! ! !

« ان هذه الثروة العلمية وهـذه الكنوز الثمينة . . . هي من صنع الرجل الذي تُقام هذه الحفلة لتكريمه وتكريم جهوده الجبارة وللاعتراف بما ادّى الى لبنان عموماً والى عاصمته خصوصاً . فاضاف جوهرة كريمة غالية الى العقد الذي ازدان به عنق عروس الشرق المجلوّة على شاطىء البحر المتوسط :

« اي صديقي الفيكنت النبيل

« لم يبقَ لي بعد الاعتراف بقصوري وبعد ان كرّمك المختارون . وبعـد ان رأت عيناك هذه الثمرة اللذيذة التي انضجها جهادك الطويل وهـذا الفوز الباهر يلقاه مسعاك المتواصل الا ان اسأل الله جـلّ وعز ان يمدك بالعمر المديد المنيء ويكللك بالصحة والكرامة .

بطرس معوّض

بيروت ٢٥ شباط ١٩٤٠

رابعاً

رسالة السيد انيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

سيدي الفيكونت طرازي المحترم

وددتُ لو استطعت الحضور بالذات لاشارك ادباء بيروت في الحفلة التي اقيمت امس لتكريمك . وآسف ان ظروفاً قاهرة حالت دون ذلك . ان العمل المجيد الذي قمتَ به بتأسيسك دار الكتب الوطنية وبتعهدك اياها حتى بلغتْ ما بلغته لجدير بان يخلد اسمك في عداد كبار العاملين الذين دفعوا لبنان في سبيل التقدم الحقيقي . فكيف اذا اضفنا الى ذلك خدماتك العلمية الاخرى التي خدمت بها العلم والتاريخ والثقافة ؟ فاقبل ايها العامل العلمي الكبير تهنئاتي القلبية وتيقن اننا جميعاً نفاخر بامثالك ممّن يقرنون العلم الناضج بالعمل المفيد والتواضع الكريم ودمت للمخلص

انيس المقدسي

بيروت ٢٦ شباط ١٩٤٠

خامساً

رسالة الخورفسقفوس زكريا ملكي رئيس دير الشرفة

دير سيدة النجاة — الشرفة

جونية لبنان — ٢٧ شباط ١٩٤٠

حضرة الوجيه النبيل الفيكنت فيليب دي طرازي

اطال الله تعالى ايام حياته الثمينة .

تحيات عاطرة ممزوجة بادعية واشواق حارّة تبعث بها الشرفة الى اعز ابنائها واكرم محبّيها . . . ما انفتحت ابواب السنة الجديدة الا وهداياكم يا حضرة

الفيكنت تتوافد الى الشرفة متتابعة شأنها في سالف السنين : فهذه مجموعة البشير للعام ١٩٣٩ جاءت حلقة جديدة لسلسلة صاغتها من اوّلها الى آخرها يدكم الكريمة. وهذا مركع جميل بشكله ثمين بقيمته واكثر منه بماضيه الطافح باعذب الذكريات.

اجل لقد عرف الجميع مَن هو حضرة الفيكنت دي طرازي. وقام عالَم الادب اجمع بصحفه ومجلاته يشيد - على رغم تمنعكم - بصوته الجبار باياديكم ومبراتكم. والى مجموعة هـذه الاصوات المتصاعدة من جميع اطراف المعمور يضيف دير الشرفة صوته بالشكر والامتنان مجدداً لمحسنه الكبير عواطف الولاء والدعاء.

غير اننا طمعاً بلطفكم وبكرمكم نتقدم اليكم يا حضرة الفيكنت الجليل بطلبة جديدة طالما تمنيناها وألححنا للحصول عليها. فان مخطوطات دير الشرفة ومطبوعاته باقية يتيمة حزينة تنادي اباها وموجدها. وكلها بصوت واحد تسألكم الا تطيلوا عذابها وتحرموها رسم شخصكم الكريم. فرجائي منكم ايها السيد المفضال ان تضيفوا الى مبرّاتكم السالفة هذه المبرّة الجديدة.
وبينما نحن بانتظار رسمكم العزيز نقدّم لكم فروض الشكر سلفاً مع عاطر تحياتنا واخلص امانينا ودمتم لمن يلهج باسمكم ويقرّ بفضلكم.

الخورفسقفوس زكريا ملكي
رئيس دير الشرفة

سادساً

رسالة القس حنا توميجان استاذ الاداب العربية في الشرفة

سعادة السري المفضال الفيكنت فيليب دي طرازى الافخم

اهدي اليكم تحيات ملؤها الاكرام وعواطف قلبية كلها اعجاب وثناء وشكران. وبعد يسرّني جداً ان اقدم لفخامتكم رسالة انتقيتها بين رسائل

تلامذتي في الادب العربي . وكنت اقترحت عليهم هذا الموضوع بمناسبة الحفلة الاكرامية التي اقيمت لكم في بيروت في ٢٣ شباط الماضي . ووعدتهم بارسال كتاب المبرّز منهم في هذه المباراة الى حضرتكم . وهـذا اليوم ابرّ بوعدي وابعث اليكم بالرسالة على علّاتها دون تنقيح او تصليح .

ولكني وأيمّ الحق قد ترددت كثيراً في اختيار هذه الرسالة بين ستة عشر فرضاً . وكلها حاوية من الابتكارات اللطيفة والشواعر الدقيقة ما ياخذ بمجامع القلب . وكيف لا يجيدون في موضوع كهذا ونصب اعينهم رسمكم الشريف وقد ضاق ذلك الصدر الذي نعهده رحباً باوسمة الشرف والفخار ؟ وبين ايديهم هداياكم النفيسة من مخطوطات ومطبوعات سوى تآليفكم القيّمة التي يرتشفون منها دروساً حيّة في العلم والادب والتاريخ ولاسيا في الغيرة والتفاني في سبيل الامة والوطن !

ايها السيد الكريم الذي ليس يفيه الثناء مهما تمادى
انْ مدحناك نالنا المدح ايضاً كالصدى راجعاً الى مَن نادى

هذه مولاي عواطف تلامذتنا كهنة الغد ومستقبل الطائفة . واملنا وطيد ان تنال الحظوة لدى سعادتكم وان ترمقوا الشرفة دوماً بعين الرضى وتتحفوا اولادكم بشيء مما قيل او كتب بهذه المناسبة ليتلقنوا منها اساليب البلاغة والخطابة فضلاً عن تجديد عهود المحبة لحضرتكم .

تنازلوا فاقبلوا فائق احترامنا وجزيل شكرنا وامتناننا وادامكم المولى .

للمخلص

دير سيدة النجاة ـ الشرفة في ٧ اذار ١٩٤٠ القس حنا توتجان

استاذ الآداب السريانية والعربية

في مدرسة الشرفة الاكليريكية

سابعاً

رسالة متري وهبه الحموي تلميذ الشرفة

ايها السيد الوجيه الفيكنت فيليب دي طرازي الافخم

بلغ مدرسة الشرفة الاقليريكية نبأ مفرّح طربت له القلوب وسكرت به النفوس . الا وهو اجتماع رجال العلم والوطن في حفلة شائقة لتكريم شخصيتكم البارزة . فكم احببنا تلبيةً لداعي القلب ان ننضم الى جملة المكرّمين لنرفع الى مقامكم الاسنى شعائر الاعتبار وعرفان الجميل . ولكن اذ حال الزمان دون نيل المبتغى فهذه رسالتنا نزّفها اليكم راجين ان تنوب عنا في تقديم عواطفنا الخالصة .

ليس من يجهل مناقبكم العالية ومزاياكم السامية . وهيهات ان يُتاح لنا تعدادُها ! انما نكتفي بذكر واحدة منها وهي محبتكم للوطن والعلم . احببتم لبنان فحرصتم على تقدم حضارته . واذ تبين لكم ان لا حضارة دون علم اكببتم على تعزيز الآداب ووضع التصانيف الادبية والتاريخية القيّمة . وأنّى لهمتكم الشمّاء ان تقف عند هذا الحد ! فطمحتم الى جلائل الاعمال ووطنتم النفس على خلق مورد علمي عذْب يستقي منه الادباء والعلماء ما شاؤا . فمن تلك الساعة باشرتم جمع الكتب الثمينة والتصانيف المفيدة على اختلاف لغاتها وتعدّد مواضيعها . وكيما تتوصّلوا باقرب الطرق الى تحقيق نياتكم عقدتم عرى الصداقة والمودة مع رجال العلم واصحاب المكاتب الشهيرة في الغرب . وركبتم متن الاسفار باذلين الراحة والمال شأن التاجر الخبير الذي يبذل كل ماله لاقتناء الدرر اليتيمة . ومما يزيد اكليل مفاخركم مجداً انكم نهضتم وحدكم بعمل جبّار لا ينهض به الا الجماعات . فتوّج الله عز وجل مساعيكم بالفلاح وتكونت في حاضرة لبنان دار علوم شهيرة تكاد تضاهي المكاتب الغربية ثروة وغنى .

وفي ذلك كله كانت النزاهة والتواضع زينتكم في مساعيكم ليس لكم سوى

هدف واحد وهو ازدهار الوطن وارتفاع شأن العلم . وهل يشك عاقل في هذا التواضع وفي تلك النزاهة بعد ان اجحف الزمان بحقكم فأحالكم عن ادارة مكتبة هي وليدة اتعابكم ؟ فانكم عوضاً عن ان تطالبوا بحقوقكم تحملتم مضض الايام صابرين واثقين . ولكن اعلموا يا صاحب الشمم والنبوغ انه ان قصّر البعض في الشكر وعرفان الجميل فجمهرة رجال الامة والادب لا تزداد الا اعتباراً لكم واعجاباً بشخصيتكم الفريدة . وهذه الحفلة الشائقة التي اقيمت لتكريمكم ان هي الا تعويض وطني واقرار عام بما لكم على العلم والوطن من الايادي البيضاء .

وفي هذه الفرصة السعيدة يسرّنا كل السرور ان نجدد لكم عواطف الامتنان والثناء على ما خصصتم به الطائفة السريانية ومدرسة الشرفة الاقليريكية من العطف والكرم . فلا عجب ان تفاخر بكم الطائفة العزيزة وانتم احد اولادها اللامعين . وان يشكركم طلبة مدرستنا لانكم وفّرتم لهم وسائل العلم والتحصيل اذ زينتم مكتبتهم بالكتب الثمينة قديمة كانت او عصرية . واذا صحّ المثل : مَن علّمني حرفاً صرت له عبداً فاننا سنحفظ على صفحات القلوب ذكراً خالداً لذلك الذي جمع امامنا بحراً زاخراً من العلوم وقال لنا : ارتشفوا منه .

ختاماً لهذه الاسطر نسأل المولى الكريم ان يكافئكم خير مكافأة على جهودكم المبرورة في سبيل الوطن والطائفة والمدرسة البطريركية . وان يمدّ في ايام حياتكم الثمينة كي تواصلوا اعمالكم الحميدة وتتمتعوا طويلاً بثمار جهودكم ودمتم للمقرّين بفضلكم

الشماس متري ميخائيل وهبة الحموي

دير سيدة النجاة–الشرفة في ٧ اذار ١٩٤٠ وتلامذة الشرفة

الفصل الرابع

اقوال الجرائد في حفلة التكريم

١

نشرت جريدة « الجامعة العربية » في ٢٢ شباط ١٩٤٠ تحت عنوان « مأثرة خالدة للفيكونت طرازي » ما نصه :

« ... الفيكونت دي طرازي شخصية غنيّة عن التعريف انما نحن بهـذه الكلمة الصغيرة عنه اردنا ان نذكر شيئاً عن بعض الافعال العظيمة التي قام بها في خدمة لبنان بل في خدمة ابناء اللغة العربية جمعاء فنكون قد ارضينا ضميرنا .

انتهت الحرب الكبرى وخرج شبان لبنان المتعلّمون يجولون في الاسواق هائمين شاردين يكتنفهم ظلام قاتم لا يعلمون اين يقضون ساعات فراغهم . وادرك هذه الحالة الفيكونت وهو الرجل الحكيم فتقدم الى الحكومة عارضاً عليها خدماته في سبيل افادة شبان لبنان وشاباته بوضع حواجز بينهم وبين الجهل .

لقد عمل شيئاً لم يعمله احد غيره من قبل . قدّم الى الحكومة مكتبته الكبيرة التي صرف السنين الطوال - زهرة حياته - في جمع كتبها . وصرف المبالغ الطائلة - ثروته - التي ورثها عن والديه في شرائها واعدادها . وبقي سنوات عديدة يصرف من جيبه الخاص لموظفي المكتبة وهو لا يجني من وراء هذا شيئاً...

سافر الفيكنت دي طرازي الى مصر وزار عواصم البلدان وصرف المبالغ الكثيرة في سبيل المكتبة . وقضى سنوات عديـدة حتى بلغ سنّ الشيخوخة

يركض من بلد الى آخر يجمع الكتب الثمينة ويضعها في المكتبة . وبوقت وجيز اصبحت مكتبته الصغيرة مكتبة كبرى للحكومة .

ادركت الحكومة الفائدة الكبرى التي عادت على لبنان واهله بسبب كدّ الفيكونت . فشيّدت داراً للمكتبة دُعيت دَار الكتب الكبرى وعهدت الى الفيكونت الاشراف عليها .

واننا نسمع الثناء والاعجاب من كل شخص يدخل دار الكتب الكبرى ويشاهد الفيكنت دي طرازي الرجل المحسن الكبير .

نعم غداً ستقام له حفلة تكريمية وسيعدّد الخطباء افعاله العظيمة . ولكن لا احد منهم يستطيع ان يفي الرجل حقه . وفي الختام سيعلّقون رسمه بين رسوم رجالات العرب ليشرف على المكتبة التي صرف حياته في جمعها وترتيبها .

اننا نطلب من الحكومة ان تكافىء دي طرازي على اعماله . فلربما يقتدي به الغير وتصبح مكتبة بيروت من اكبر مكاتب الشرق العربي » .

٢

ونشرت الجريدة عينها بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٤٠ ما يلي :

« الحكومة والشعب في لبنان يكرمان الفيكونت دي طرازي .

« اقيم نهار الجمعة الماضي الساعة الخامسة حفلة تكريمية لرجل العلم والادب الفيكونت فيليب دي طرازي برئاسة الوطني الكبير والرجل الاداري حسين بك الاحدب .

وضمّت الحفلة نخبة من كرام القوم وافاضله . ورجالات ادب وسياسة واجتماع لبنانيين وافرنسيين . وكان يتصدّر دار التكريم –دار الكتب الكبرى– فخامة العميد السامي وامين سرّ الدولة اللبنانية عبدالله بك بيهم ومفتي الجمهورية اللبنانية وقنصل مصر العام واميرال البحر الخ .

جلستْ امام الجميع لجنة التكريم المؤلفة من خيرة رجالات لبنان من اداريين ومحسنين وادباء وشخصيات لها مكانتها في العالم العربي (١). وجلس في الجهة الثانية الخطباء بلابل الحفلة. وفي الساعة الخامسة تماماً وصل الفيكنت الى دار التكريم يحيط به آله والمعجبون بادبه. فاستقبله الجمهور بعاصفة من التصفيق واخذ يصافح الشخصيات البارزة من رجال لبنان ودار الانتداب. وبعد ان عزفت الموسيقى بالنشيد الوطني والمرسلياز وقف سكرتير لجنة التكريم وقدّم الخطباء الى المدعوين.

تكلم الخطباء فاجمعوا على ان الفيكونت كما نعرفه رجل علم وادب. بيته محط الشعراء والادباء من مستشرقين ووطنيين. ناضل ستين سنة بجدّ ونشاط في خدمة الادب والشعر. وقدّم ثمرة اتعابه ومناضلته طيلة اعوام عديدة ومكتبته ومؤلفاته ودواوينه الى الامة العربية.

قال احدهم: والذي يعرف الفيكونت تماماً ان الفيكونت لا يزال رغم الشيخوخة مكباً على اوراقه يشتغل بابحاثه.

وفي نهاية الحفلة وقف المحتفى به والقى كلمة بليغة باللغة الفرنسية واخرى باللغة العربية ذكر فيها العوامل التي دفعته الى عمله واتمام مشروعه: اهمها الصدق والاخلاص والتجرد والثبات في العمل. ثم شكر للمدعوّين الذين لبّوا دعوة لجنة التكريم.

وفي اثناء الحفلة نهض مندوب الحكومة اللبنانية وقرأ مرسوماً بتعيين الفيكونت اميناً فخرياً لدار الكتب ليشرف على المكتبة التي صرف حياته في جمع كتبها وترتيبها. وانعمت الحكومة عليه بوسام الارز الذهبي لخدماته.

---

(١) تألفت لجنة التكريم من صفوة رجال لبنان وجاهة وادباً وتفكيراً. وبين اعضائها نذكر خمسة وزراء: حسين بك الاحدب، يوسف بك افتيموس، الامير رئيف ابي اللمع، رامز بك سركيس، حكمت بك جنبلاط.

ونحن نهنىء الفيكونت على اعماله العظيمة طالبين له عمراً طويلاً ليظل العالم العربي يستفيد من ادبه وشعره وابحاثه .

٣

وكتبت جريدة « صوت الاحرار » بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٤٠ ما نصه :

« حفلة رائعة في دار الكتب الوطنية لتكريم مؤسسها الفيكونت فيليب دي طرازي .

« كانت الحفلة التي اقامها اصدقاء الفيكونت طرازي امس الاول تكريماً له من اروع الحفلات التي شهدتها المدينة. فقد جمعت هذه الحفلة الباهرة حول صاحب الفخامة مسيو بيو المفوض السامي وحضرة امين سرّ الدولة عبدالله بك بيهم جمهوراً غفيراً من الشخصيات المدنية والدينية بينهم المسيو بونور مستشار المعارف في المفوضية العليا وصبحي بك حيدر مدير التربية الوطنية . ومسيو كوانته مستشار مديرية التربية الوطنية . وسيادة المونسنيور حيقاري ممثلاً صاحب النيافة الكردينال تبوني . وسماحة الشيخ توفيق خالد مفتي الجمهورية اللبنانية . وحسين بك الاحدب رئيس لجنة التكريم واعضاؤها . وشوهد بين الجمع الغفير مسيو مانديس فرانس من وزراء فرنسا سابقاً وعددٌ من كبار الضباط الفرنسيين والانكليز .

ولما اقبل المسيو بيو حيّته اوركسترا اذاعة الشرق بنشيد المرسلياز كما حيّت الفيكونت دي طرازي بالنشيد اللبناني . وفي اثناء الاجتماع قُرىء قرار امين سرّ الدولة بتعيين حضرة الفيكونت محافظ شرف لدار الكتب الوطنية وقلّد حضرة امين السر المحتفى به مدالية الشرف من الاستحقاق اللبناني وقد منحه اياها فخامة رئيس الجمهورية . وقدمت اللجنة لحضرة الفيكونت صورته الزيتية بريشة الفنان فرّوخ اثارت اعجاب الحاضرين .

وتعاقب الخطباء منوهين بفضل الفيكونت دي طرازي . وقرأ الدكتور

رئيف ابي اللمع امين سرّ لجنة التكريم رسالة بعث بها نيافة الكردينال تبوني الى حضرة حسين بك الاحدب يشكر فيها للجنة عاطفتها النبيلة .

وفي الختام لفظ المحتفى به كلمة بليغة بالفرنسية والعربية شكر فيها الحاضرين وخص بالشكر فخامة المفوض السامي . وبعد ان صافح مسيو بيو الفيكنت دي طرازي واعضاء لجنة التكريم غـادر القاعة وارفض الجمهور يتمنون اطراد النجاح لهذه المؤسسة التي يعود الفضل في انشائها الى الفيكونت دي طرازي .

فنهنىء حضرة الفيكونت وندعو لخلفه حضرة الشاعر الكبير الاستاذ هكتور خلاط بالتوفيق في مهمته الجليلة » .

٤

ونشرت جريدة « لسان الحال » بالتاريخ عينه ما يلي :

« حفلة تكريم الفيكونت دي طرازي – مظاهرة ادبيـة رائعة في دار الكتب الوطنية .

« كانت حفلـة التكريم التي اقيمت مساء امس الاول لحضرة الفيكونت فيليب دي طرازي في دار الكتب الوطنية مظاهرة ادبية رائعة دلّت على مـا للمحتفى به من مكانة ادبية ممتازة . فان لجنة التكريم التي ادّت مهمتها عـلى الوجه الاكمل قد اشركت في الحفلة كبار الشخصيات الرسمية والعسكرية والدينية والدبلوماسية ورؤساء المعاهد العلميـة وباقة من السيدات والاوانس . ونخبة من اهل الادب والصحافة والفن فاسبغت عـلى دار الكتب جواً بهيجاً فخماً . وكان في طليعة الحضور فخامة السيد بيو المفوض السامي . فاستقبـل بالنشيد الفرنسي عزفته موسيقى الاذاعة كما عزفت النشيد اللبناني عند حضور امين سر الدولة عبدالله بك بيهم . اما المحتفي به فتلقاه القوم بالتصفيق الحاد .

افتتح الحفـلة حضرة حسين بك الاحدب رئيس لجنة التكريم بكلمة بليغة

تحدّث فيها عن الخدمات الجلّى التي اداها الفيكونت دي طرازي للعلم والادب . وعن الجهود والاموال التي بذلها في المكتبة الوطنية . وتمنى لو ان الحكومة احتفظت به فتنتفع بخبرته وغيرته لاسيما وهو ما زال في همة الشباب . ثم اثنى على الاستاذ هكتور خلاط امين دار الكتب الجديد متمنياً ان يكون خير خلف لخير سلف . وذكر ان لجنة التكريم اهدت الى دار الكتب رسماً زيتياً للفيكونت بريشة الفنّان مصطفى فروخ . وقد علّق الرسم بين رسوم الشخصيات اللبنانية على جدار القاعة . وختم الخطيب كلمته بالهتاف للبنان ولفرنسا .

وتعاقب الخطباء يقدّمهم الدكتور رئيف ابي اللمع فنوّهوا جميعاً بمآثر المحتفى به وخدماته التي استحق بها تكريم مواطنيه واعجاب الامم الاخرى . وقد عرض الاستاذان بونور وفاخوري طائفة جميلة من آراء كبار الادباء العرب والفرنسيين في « الكتاب » الذي كان الفيكونت ولا يزال اوفى صديق له .

وفي اثناء الحفلة تلا السيد ادمون صابونجي مرسوماً بمنح الفيكونت دي طرازي وسام الارز ولقب امين شرف للمكتبة الوطنية . ونهض عبدالله بك بيهم فقلده الوسام بين عاصفة من التصفيق . وتُلي كذلك كتاب وارد من نيافة الكردينال تبوني يشارك فيه المحتفين بعاطفتهم .

وكانت كلمة ختام للمحتفى به . فتكلم بالفرنسية ثم بالعربية شاكراً لجميع مَن ساهموا في تكريمه عواطفهم الطيبة ومتمنياً لفرنسا النصر المبين . وانتهت الحفلة فاقبل القوم يصافحون الفيكونت مكرّرين له التهانيء الحارة داعين له بطول العمر ليتابع رسالته الادبية الجميلة » .

ونشرت جريدة « اليوم » بالتاريخ عينه ما يلي :

« في حفلة تكريم الفيكونت دي طرازي – معالي السيد عبدالله بيهم يكرّم المحتفى به بوسام وقبلة .

« اقيمت في الساعة الخامسة من مساء امس في قاعـــة دار الكتب الكبرى حفلة تكريم للفيكونت فيليب دي طرازي امــين دار الكتب السابق . وفي الساعة المعينة كانت القاعة قد امتلأت بالمدعوين من كبار رجال الدين ورجـال الوجاهة في البلد و كبار الموظفين .

وفي هذه الاثناء شعر الناس بحركة غير عـاديّة فاذا بفخامة المفوض السامي السيد غبريال بيو يدخل القاعة بمنتهى البساطة لحضور تكريم رجل من رجـــال العلم . وما ان عرفت اللجنة بقدوم فخامته حتى سارعت الى استقباله وقـد ظلّ الناس فترة غير قصيرة في الاعجاب بالرجل الفرنسي الذي برهن في وجوده هنـا عن تقدير للعلم واهله .

وفي الساعة الخامسة وبعض الدقائق وصل معالي امين سرّ الدولة السيد عبدالله بيهم يرافقه مدير ديوانه السيد ادمون صابونجي والسيد شوفلر مستشار الحكومة . فوقف سكرتير لجنة التكريم الدكتور رئيف ابي اللمع وقدم معالي حسين بـك الاحدب رئيس اللجنة . فاعتلى معاليه بهيئته الجليلة المنبر والقى كلمة بليغة نالت استحسان الجميع ودلت على ما يتمتع به صاحب المعالي الى جانب حنكته السياسية وسمعته الادارية من ادب رفيع واطّلاع وافر وحب وتقـدير لمن اقيمت الحفلة لتكريمه .

وقد وردت اشارة في الخطاب كان لها كل الصدى الحسن . فتمنّى معاليه لو ان الحكومة استثنت الفيكونت فيليب دي طرازي من قـــانون بلوغ السنّ

واحتفظت به لدار الكتب اللبنانية وهو الذي عمل على انشائها وتنظيمها ورعايتها. فكان لهذه الاشارة استحسان واسع بين المدعوّين وانهى معالي حسين بك خطابه وودّ الجميع لو انه طال اكثر لِما فيه من دقة وحكمة وادب وافر.

ثم وقف السيد بونور مستشار المعارف في المفوضية العليا فالقى خطاباً باللغة الفرنسية جمع الى نبرات الصوت الصافيـة تقديراً زائداً للفيكونت فيليب دي طرازي فكانت كلمة عالية بما عُرف عن السيد بونور من حبّ لهذه البلاد وتقدير للعاملين في حقل العلم فيها.

ثم القى الاستاذ عمر فاخوري كلمة عالية اعطى فيهـا الاديب الكبير صورة رائعة عن دائرة المعارف السجينة في جنبات نفسه. وتتابع الخطباء بعدئذ فالقى الاستاذ نور الدين بك بيهم خطاباً تحدّث فيه عن الفيكونت رفيقــه في دار الكتب وما عرّف عن مآثره. فكانت كلمة مخلصة جمعت الوفاء والودّ والتقدير. ثم القى الاستاذ حليم دموس قصيدة قوطعت بعض ابياتها بالتصفيق الحاد وقد كان الاستاذ الكبير موفقاً فيها كل التوفيق. والقى بعدئذ الاستاذ الياس ابو شبكة خطاباً جمع الى متانة اللغة ودقة التعبير وجمال الوصف.

وكانت مقايسة صامتة حين اعطي الاستاذ هكتور خلاط امين دار الكتب الجديد الكلام. فالقى خطاباً بالفرنسية تحدث فيه كثيراً ولكنه قال قليلاً. وتساءل الحاضرون بعد هذا اذا كان الاستاذ هكتور يستطيع ان يدير مكتبة عربية. ومن حسن الصدف ان يقوم الفيكونت فيليب دي طرازي على الاثر فيتحدّث بالفرنسية شاكراً لفخـامة المفوض السامي وللمدعوّين تلبيتهم الدعوة وللجنة عملها. ثم تحدّث بالعربية بالمعنى نفسه بكلمة متزنة جامعة وافية فكانت اعلاناً صامتاً عن معارف الفيكونت وادبه واطلاعه.

« اشارة واجبة

وفي اثناء الحفلة تلا سكرتير اللجنة الدكتور رئيف ابي اللمع كلمة واردة من

نيافة الكردينال تبوني بطريرك السريان — والفيكنت دي طرازي احد ابنائه — شكر فيها للجنة عملها التكريمي ولمعالي حسين بك الاحدب جهده . كما ان السيد ادمون صابونجي مدير ديوان الدولة تلا مرسوماً بمنح وسام الارز اللبناني للمحتفى به فوقف معالي السيد عبدالله بيهم فعلّق على صدره الوسام وعانقه .

خرج الجميع في نهاية الحفلة وهم يأسفون لذهاب الفيكونت دي طرازي من دار اسّسها واشرف على تنظيمها وهو خيرُ من يرعاها . ويشيرون باجماع عام الى خطأ من الاخطاء الفادحة التي ترافق هذا المعهد ! » .

٦

ونشرت جريدة « البيرق » بالتاريخ المذكور ما يلي :

« فخامة مسيو بيو وامين سرّ الدولة في حفلة تكريم الفيكونت دي طرازي .

« كان مساء امس الجمعة موعد حفلة التكريم التي اقيمت في قاعة دار الكتب الوطنية لامينها السابق ومؤسسها الفيكنت فيليب دي طرازي . وقد حضرها جمهور كبير من المدعوّين وفي مقدمتهم فخامة العميد السامي مسيو غبريال بيو وحضرة عبدالله بك بيهم امين سرّ الدولة وصاحب السماحة المفتي واصحاب السيادة مطارنة السريان الكاثوليك وبعض العلماء والمديرين وكبار القضاة والموظفين والادباء وامتلأت المقاعد بالحاضرين .

افتتحت الحفلة بالنشيدين اللبناني والافرنسي وعلّق امين سرّ الدولة وسام الارز على صدر المحتفى بـه . وافتتح الحفلة رئيس لجنة التكريم معالي الاستاذ الجليل حسين بك الاحدب بكلمة بليغة . وكان الامير رئيف ابي اللمع سكرتير اللجنة يتولى تقديم الخطباء . وتلا بعض رسائل منها رسالة دقيقة موجّهة من نيافة الكردينال تبوني الى اللجنة . فاجاد الخطباء نثراً وشعراً وقوطعوا بالتصفيق ... وفي نهاية الحفلة اقبل الحاضرون على المحتفى به يهنئونه بهذا التقدير الكبير المجيد في دار الكتب اللبنانية .

وكتبت جريدة « الحديث » بالتاريخ عينه ما يلي :

« تكريم امين دار الكتب السابق - حفلة فخمة يحضرهـا فخامـة المفوّض السامي .

« اقيمت حفلة تكريم لرجل عالم مجاهد خدم امّته ووطنه اجلّ الخدمات في صمت وهدوء حيث ساهم في نشر الثقافة الرفيعة بتاسيسه داراً للكتب كانت الامة في اشدّ الحاجة الى مثلها . يختلف اليها المثقفون ينهلون من موردها العذب ومَعينها الفيّاض مـــا يروي نفوسهم العطشى من دراسات في مختلف العلوم والآداب والفنون .

اقيمت هذه الحفلة لتكريم ذلـك الرجل الذي خلق دار الكتب الوطنية بجدّه واجتهاده . والذي نفخ فيها من روحه وبذل لها من ماله . فجعلهـا محجّة للادباء ومزاراً للمثقفين . ذلك الرجـل العالم هو الفيكونت فيليب دي طرازي امين دار الكتب الوطنية .

ولا ادلّ على رفعة هذا العمل الذي افنى عمره في سبيـــل تثبيت دعائمه من اجماع نخبة من وجهاء هذه البلدة وكرام ادبائها وشعرائها على اقامة حفلة تكريمية ضمت كبار الشخصيات من عربية وفرنسية مدنية وعسكرية . يتقدمهم صاحب الفخامة المفوض السامي وحضرة امين سرّ الدولة عبدالله بيهم واصحاب السماحة مفتي الجمهورية ومفتي الشيعة وقاضي المذهب الدرزي ولفيف من رجال الاكليروس وقنصلا القطرين الشقيقين مصر والعراق وجمهور غفير من ادباء واطبّاء ومحامين ومربّين .

افتتح الحفلة حسين بك الاحدب رئيس لجنة التكريم بكلمة عدّد فيها مناقب المحتفى به وأتى على ذكر جهوده في تأسيس المكتبة وتأليف الكتب التي تنمّ عن

علم غزير وسعة اطلاع . وعقبه مستشار المعارف في المفوضية العليا السيد بونور فاشاد بجهود الفيكونت التي اينعت واثمرت تلك الثمرة التي هي دار الكتب الزاخرة بالكتب والمجلات باللغتين العربية والفرنسية .

وتعاقب الخطباء الواحد بعد الآخر وكلٌّ منهم يُشيد بفضل مؤسّس هذه الدار التي تدلّ على اسمى معاني التضحية والاخلاص . وارتجل الاستاذ هكتور خلاط امين دار الكتب الجديد كلمة رقيقة عاهد فيها سلَفه على حفظ التراث الذي آل اليه .

وهنا تقدّم الفيكونت دي طرازي والقى كلمة شكر فيها فخامة السفير مسيو بيو ومعالي امين سرّ الدولة واللجنة التكريمية والخطباء وجمهور الحاضرين . وتمنّى على فخامة المفوّض السامي ان يرعى هذه الدار رعايته للعلم والادب .

وكأني بالحكومة شعرت بجميل صنعه ونبل عمله فارادت ان تقدر جهود هذا العالم الذي افنى زهرة شبابه في تشييد هذه المكتبة فاصدرت قراراً بتعيينه اميناً فخرياً لدار الكتب .

اننا نهنىء الفيكونت بهذا التعيين الجديد وبهذه الحفلة التكريمية فهو احق الناس بالتهنئة والتكريم .

٨

ونشرت جريدة « الروّاد » في نفس التاريخ ما نصه :

« تكريم الفيكونت دي طرازي

« اجتمعت امس في دار الكتب جمهرة من ادباء البلد ورجال القلم اللبناني لتكريم العصامي الذي اوجد هذه الدار واذاب ثروته وصحته في تغذيتها حتى جعلها تختال في ذروة هذا الكمال .

« اجتمعوا لتكريم اللبناني الكبير والعالم النقّادة الفيكونت دي طرازي وتلوا فصولا شيّقة من جهاده النبيل في سبيل هذه المؤسسة اللائقة بامجاد العاصمة وثقافة اللبنانيين بعد ان اقصّته الحكومة عن ادارتها بذريعة الشيخوخة .

ان هذا الشيخ الذي عمل في هذا السبيل النبيل ما عجزت وتعجز عنه الحكومات هو حريّ بتكريم لبنان . فالفيكونت طرازي وحده بين رجالات هذه الامة اقدم على تضحية شخصية اثمرت لنا هذا المشروع العام بجزيل المنافع . فاذا ما اكرمه رجال القلم فانما يكرّمون به النبل والتضحية والنزاهة .

اننا نضمّ صوتنا الى اصوات الادباء الذين عرفوا مَن يكرّمون راجين ان يبقى هذا العصامي رمزاً الى التضحية الوطنية وامثولة تُلقى على اغنياء لبنان الذين لم تعرف مرافق البلاد ومشاريعها العامة درهماً من ثرواتهم ولا ذرّة من مجهوداتهم » .

٩

وكتبت جريدة « المراحل المصوّرة » بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٤٠ هذه الكلمة البليغة قالت :

« تكريم الفيكنت دي طرازي

« رأى رجال الفضل والمروءة والوفاء من اهل العلم والادب والوجاهة ان يكرّموا الفيكونت دي طرازي مؤسّس دار الكتب الوطنية في لبنان وصاحب الايادي البيضاء على الادب والادباء في الاقطار الناطقة بالضاد . فاقاموا حفلة على شرفه بعد ظهر الجمعة ٢٣ شباط في قلب الدار التي اوجدها من العدم . وانفق عليها من جيبه وقلبه ما قد يضنّ بانفاقه الوالد على وحيده وما قد عجزت حكومة عن انفاقه .

واوّل ما يخطر ببالنا ونحن نكتب هذه الكلمة ان نشكر لجنة التكريم على

صُنعها . فقد برهنت على ان شرف النفس والخُلق ما يزال قائماً في هذه البلاد يدفع بجنوده لتقدير ذوي الفضل مهما تلبّد جوّ النزعات ومهما تضافر بعض العناصر على طوي الفضيلة .

ان لبنان غني بكتّابه وشعرائه ولكنه فقير الى امثال الرجل النبيل الفيكونت فيليب دي طرازي الذي خدم العلم والادب ستين سنة كاملة بكل اخلاص ونزاهة ووداعة ولم يبغِ جزاء ولا شكراً . وابتعد عن التطبيل والتزمير لعمله القيّم مؤثراً العمل المنتج بصمت وتجرّد . واذا كان من رجل في العالم العربي يستحق ثناء الصحافة العربية فهو هذا العامل الرصين الذي وضع تاريخها في اثني عشر جزءاً (ظهر منها اربعة) ضمّت كل شاردة وواردة عنها . وكانت في الوقت عينه تاريخاً للنهضة الفكرية في الشرق ومرجعاً صادقاً وامينا لكل من يهتم لها .

ان عمل فيليب دي طرازي خالدٌ في تاريخ هذه الامّة ومآثره الغراء لن تكون لسان ثناء عليه فحسب بل هي منذ الآن شهادة العلم المغبون على الجهل المحظوظ . وشهادة الانتاج والكرم وصفاء القلب على اضدادها . وعندما يموت جميع الاحياء اليوم ويموت الذين تتّصل اسماؤهم بالثقافة فتموت اسماء [illegible] منهم وتحملها مياه التاريخ الى محيط العدم كما يحمل النهر الصافي جميع ما يُرمى فيه الى البحر، يقف اسم فيليب دي طرازي حين ذاك حياً ناطقاً بطيب المحتد وجليل الاثر .

فيا شيخاً وقوراً عاش ويعيش مثالا للغيرة على الادب ومثالا لخدمته بتجرّد والعطف على ابنائه بوداعة . ان اقل ما تستحقه من اسرته هو هذا التكريم الذي لقيته من كرامها يوم الجمعة . فنرى لزاماً علينا ان نشيد بفضلك وندعو لك بطول العمر ! »

وكتبت جريدة « العالم الاسرائيلي » بتاريخ ٢٩ شباط ١٩٤٠ الكلمة التالية :
« حفلة تكريم رائعة في دار الكتب الوطنية .

« اقيمت مساء الجمعة الماضي حفلة تكريمية لحضرة الفيكونت فيليب دي طرازي مؤسّس المكتبة الوطنية لمناسبة احالته الى التقاعد وتعيينه اميناً فخرياً لهذه الدار

« وقد جمعت هذه الحفلة الباهرة حول صاحب الفخامة المفوّض السامي مسيو بيو وحضرة امين سرّ الدولة عبدالله بك بيهم جمهوراً غفيراً من الشخصيات البارزة في المدينة . بينهم المسيو بونور مستشار المعارف في المفوضية العليا وعدد كبير منها الضباط الفرنسيين والانكليز .

ولما اقبل فخامة العميد حيّته اوركسترا اذاعة الشرق بنشيد المرسلياز كما حيّت الفيكونت دي طرازي بالنشيد اللبناني . وقد قلّد امين سرّ الدولة عبدالله بك بيهم المحتفى به بوسام الارز اللبناني منحه اياها فخامة رئيس الجمهورية .

ثم تعاقب الخطباء الواحد بعد الآخر وكلّ منهم كان يشيد بفضلُ الفيكونت وبـ[illegible] حياته التي تدلّ على اسمى معاني التضحية والاخلاص .

وفي الختام نهض المحتفى به والقى كلمة بليغة اولا بالفرنسية ثم بالعربية شكر فيها فخامة العميد ومعالي امين سرّ الدولة واللجنة التكريمية والخطباء وجمهور الادباء الحاضرين .

فالعالم الاسرائيلي يُهنىء حضرة الفيكونت فيليب دي طرازي بتعيينه اميناً فخرياً لهذه الدار . وبهذه الحفلة التكريمية التي هو اهلٌ لها . وتدعو لخلفه الشاعر المبدع الاستاذ خلاط بالتوفيق في مهمته هذه الجليلة التي انتُدب اليها آملة منه المحافظة على التراث الذي آل اليه متمنّية لدار الكتب الوطنية بايامه دوام الرقي والازدهار » .

ونشرت جريدة « أثوا » اعني « الوطن » بتاريخ ١ اذار ١٩٤٠ الكلمة التالية :
« حفلة تكريم الفيكنت دي طرازي .

« من اجمل وافخم الحفلات التي شهدناها مساء الجمعة الفائت ٢٣ شباط ١٩٤٠ الحفلة التكريمية التي اقامتها لجنة راقية من رجالات لبنان وعلى رأسها معالي حسين بك الاحدب العلامة القدير، للفيكونت فيليب دي طرازي في قاعة دار الكتب الكبرى . وقد حضرها حضرة المفوّض السامي وكبار رجال الدين والدنيــا وموظفي الحكومة تقديراً لمؤلف تاريخ الصحافة العربية .ومؤسس دار الكتب . وكان عرّيف الحفلة الدكتور رئيف ابي اللمع احد اعضاء اللجنة .

وبعد النشيد الوطني « كلنا للوطن » ونشيد المرسليــاز نهض رئيس الحفلة حسين بك الاحدب والقى كلمة طيبة وتلاه المسيو بونور مستشار المعــارف في المفوضية العليا باللغة الفرنسية . وسمعنــا خطاباً ممتعاً من الاستاذ عمر الفاخوري وصف فيه الكتاب وفضل المكاتب في العالم ... ثم تكلم السيــد نور الدين بيهم وذكر اشياء طريفة عن معرفته للفيكنت وجهاده المتواصل في سبيل العلم والادب .

.ونهض على اثره الاستاذ حليم دمّوس والقى قصيدة بديعة كانت درة في [illegible] الحفلة . وتمنّينا لو ان مجال الجريدة واسع ليشترك القراء معنا بلذتها [illegible] مطلعها متغزلا بالكتاب :

هللْ على ذكر الكتاب وكبّرِ   واخشـع امام جلال هذا المظهرِ
وادخـل الى حرَم الثقافة لاثماً   انجيلَ اجيــالٍ ومصحفَ ادهرِ

وبعد ان وصف الكتب والمكاتب وفوائدها في العالم انتقل الى وصف المكتبة وما فيها من النفائس والاثار . واختتم ابياته الجميلة بمخاطبة المحتفى به فقال :

هـذا جزاء المخلصينَ نصوغـه   اكليل مجدٍ نشرهُ من عـنبرِ

فاقبل قوافينا ففي نفحاتها | روح الوفاء الى الكريم العنصرِ
واسمع هتاف المعجبين مردداً | من ارز لبنان لارض المهجرِ
كنت «الامين» على الكثير فصنته | لذوي النهى برعايةِ المتبصرِ
وجعلت آثار العصور بقاعة | وجمعت تاريخ الدهور باسطرِ
كأس من الادب الرفيع سكبتها | فلتشرب الدنيا عصير الاعصرِ !

وقد صفّق الحضور كثيراً لابيات الشاعر واستعادوا عدّة مقاطع منها اعجاباً واستحساناً . وتلاه الاستاذ الشاعر الياس ابو شبكة فالقى خطاباً نثرياً كان له الوقع الحسن .

وبعد الموسيقى نهض مدير دار الكتب الجديد الاستاذ هكتور خلاط فالقى خطبة نفيسة باللغة الافرنسية. وتلا عرّيف الحفلة رسالة عربية من نيافة الكردينال تبوني . وعلّقت الحكومة اللبنانية وسام الارز على صدر المحتفى به الفيكونت طرازي الذي ختم الحفلة بخطابين نفيسَين بالافرنسية والعربية .

وخرج القوم وهم يثنون على اللجنة ويتحدثون عن هذه الحفلة الفريدة في بابها خاصة وان فخامة المفوّض السامي حضرها بالذات بالرغم من مشاغله الكثيرة » .

١٢

وكتبت جريدة « الصاعقة » بتاريخ ٢ اذار ١٩٤٠ هذه الكلمة الوجيزة :

« تكريم الفيكونت طرازي .

« حالت موانع قاهرة دون حضورنا الحفلة التكريمية التي اقيمت لحضرة الفيكونت فيليب دي طرازي امين دار الكتب السابق وصاحب اليد الطولى والاولى في انشاء تلك الدار .

ولقد علمنا ان الحفلة كانت رائعة ألقيت فيها خير الدرر شعراً ونثراً. وشكر

الفيكونت مَن كرّموه بخطاب لطيف انطوى على مثل ما عهدناه وعرفناه عن أدبه الغالي . اطال الله تعالى بحياته الثمينة ذخراً للادب واللغة والوطن » .

١٣

وكتبت جريدة « الاتحاد العربي » بتاريخ ٤ اذار ١٩٤٠ ما نصه مخاطبة الفيكنت دي طرازي قالت :

« رفعتَ منار العلم في الوطن الذي تريد له حقاً رفيعَ المراتبِ
ومكتبة انشأتها وطنية لها شأنها ما بين ارقى المكاتبِ
بها يبلغ المامولَ كلّ معلّمٍ ويرشفِ من خيراتها كل طالبِ
سهرتَ عليها والكثيرون نوّمٌ وحققت بالمشروع جلّ الرغائبِ
اذا غبتَ عنها كارهاً لفراقها فذكرك باق عندها غير غائبِ

ان اول ما يخطر ببال « الاتحاد العربي » بالاجماع والاسلامي بالاخص ونحن نحرّر على قرطاس صحيفتنا الحرة هذه الكلمة العالية التي نشكر بها لجنة التكريم على صنعها . فقد برهنت على ان شرف النفس والنباهة والخلق ما يزال قائماً في هذه البلاد العامرة . يدفع بذويه وحرّاسه لتقدير ذوي الفضل تلبّد جوّ النزعات فوق رؤوسهم وقبعاتهم وعماماتهم .

رأى رجال العلم والادب ورجال الوفاء والمروءة، رجال الوجاهة والكرامة ان يكرموا صاحب الايادي البيضاء على العلم والادب : الفيكونت فيليب دي طرازي الاديب الكبير بين الادباء والعالم العلامة بين العلماء والوجيه النبيل على الوجهاء في الاقطار الناطقة بالضاد . فاقاموا حفلة على شرفه بعد ظهر الجمعة ٢٣ شباط في قلب العرين الذي اوجده ذلك الاسد الهمام . وانفق عليه من جيبه الخاص ومن قلبه الفياض ما قد يضنّ بانفاقه الوالد على ولده وحنان الام على وليدتها .

لقد ادّى ذلك النبيل الكريم مشقات عديدة في رحلاته الى الديار الاوربية والى الديار المصرية . فهناك جمع ما استحسنه من التآليف النفيسة والكتب العلمية على اختلاف مواضيعها وفنونها. هكذا رفع اسم لبنان عالياً اينما حلّ وسار.

فيا شيخ العلم الوقور ويا كريم النفس الغيور : عشت وعاشت امثالك للعلم والادب والكرم .

اننا نجهر بفضلك ونلهج بفضل علمك وندعو الى الله تعالى بطول عمرك ! » .

١٤

وكتبت « المراحل المصوّرة » تحت عنوان « لبنان وفرنسا يكرّمان الاخلاص » :

« تجلّى الوفاء والتقدير والولاء الصادق في الحفلة التي اقامها لبنان المثّقف للعالم الجليل الفيكونت دي طرازي بعد ظهر الجمعة ٢٣ شباط في دار الكتب اللبنانية . ومثّلَ لبنان بجميع طبقاته ومذاهبه فيها . واحبّ فخامة المفوّض السامي ان يشمل حضرة المحتفى به برعايته الخاصة فتلطف وترأس الحفلة بشخصه الكريم تحيط به اعوانه اركان المفوضية العليا ومعالي السيد عبدالله بيهم امين سرّ العام والمستشار شوفلر وكولونيل يمثّل الجنرال جونو القائد الاعلى للطيران الذي منعه شغل مستعجل من الحضور، وقناصل الدول الشرقية وكبار الموظفين اللبنانيين . وكان منظر الرؤساء الروحيين المحيطين بعلامتنا الوقور من مسلمين ومسيحيين يزيد في جلال الحفلة .

وفي بدء الاجتماع تُلي قرار الحكومة اللبنانية بتعيين الفيكونت « محافظ شرف » لدار الكتب وقلّد وسام الارز المذهب . وتُليت رسالة من نيافة الكردينال تبوني يثني فيها على مكرّمي المحتفى به ويوفد احد السادة الاساقفة لتمثيله في عيد الثقافة .

وافتتح الحفلة السيد حسين الاحدب رئيس لجنة التكريم فشكر الحاضرين وأتى على بعض مآثر الفيكونت فاجاد ووفى. ومما قاله : « ... ان تاليفه تاريخ الصحافة لفريد في بابه . وغيره من تصانيفه العديدة المبتكرة ادلّ دليل على جهوده وتفانيه في خدمة العلم . وعما قريب سيتحفنا بسفر عظيم من ابداعه سيكون له اثره وصداه في الخافقين ... » .

وكانت خطبة المسيو بونور البليغة انبل شهادة في الجهود العظيمة والخدمات الجلى التي ادّاها المحتفى به لبلاده . وتكلم الاستاذ نور الدين بيهم عن الفيكونت دي طرازي في حياته الخاصة فصوّر العمل المثمر اصدق تصوير . ومما قاله : « ... فحياة الفيكونت في بيته كما عرفتُها حياة عمل متواصل يسودها الهدوء والسكينة : يثابر مثابرة عجيبة غريبة على العمل . وفي كل وقت تزوره تراه مكباً على مكتبته بين اوراق مبعثرة وكتب مشتتة تحيط به القواميس يشتغل بابحاثه بكل سكون . وله في جملة تآليفه ديوان شعر رقيق مبتكر في معانيه يتضمّن قصيدة في مدح المغفور له الملك فؤاد الاول مرصوفة باطار ثمين معلقة في احدى قاعات قصر عابدين . وقد اصبح بيت الفيكونت مقصد العلماء والشعراء من عرب ومستشرقين . وترتبط الفيكونت بملوك العرب وامرائهم صداقة متينة وله معهم مراسلات وديّة تبرهن على مكانته الكبيرة ... » .

وانشد الاستاذ حليم دمّوس قصيدة هي من عيون شعره وصف بها المكتب وصفاً موفقاً وختمها بقوله للفيكونت :

لو تملك الكتب الكلام لرفرفت واتتكَ بين مهلّلٍ ومكبّرِ ...

وشكر الفيكنت دي طرازي الحاضرين بوداعته المعروفة وادبه العالي . فكان عنوان الوفاء ولسان حاله يقول : « الفضل يعرفه ذووه » امدّ الله عمره ذخراً للعلم ! »

١٥

وكتبت جريدة (اوريان) الفرنسية بتاريخ ٢٤ شباط ما نصة :

UNE RÉUNION A LA BIBLIOTHÈQUE NATIONALE EN L'HONNEUR DU VICOMTE PHILIPPE DE TARRAZI

Les nombreux amis du vicomte Philippe de Tarrazi ont organisé, hier soir, à la Bibliothèque nationale, une réunion, en son honneur, à l'occasion de sa mise à la retraite.

Cette brillante manifestation groupait autour de M. Puaux et de M. Abdallah Beyhum de nombreuses personnalités civiles et religieuses dont notamment M. Bounoure, Conseiller à l'Instruction publique du Haut-Commissariat, M. Soubhi Haïdar, Directeur de l'éducation nationale et des Beaux-Arts, M. Cointet, Conseiller à la Direction de l'Education nationale, Mgr. Hikari, représentant de S. Em. le Cardinal Tappouni, le Cheikh Toufic Khaled, Mufti de la République libanaise, M. Hussein Ahdab, président du Comité d'honneur, Mme Evelyne Bustros, M. Bayard Dodge, président de l'A. U. B., M. Habib Trad, M. Omar Daouk, M. Hikmat Djoumblat, ancien ministre, M. [illegible] M. Amine Beyhum, M. Ramez Sarkis, M. Hector Klat et [illegible]ges Baz, membres du Comité et de nombreux représe[illegible] la presse libanaise.

A son arrivée, M. Puaux fut reçu par *La Marseillaise* exécutée par l'orchestre de Radio-Levant.

Au cours de la réunion, lecture fut donnée du Secrétaire d'Etat nommant le Vicomte Philippe de Tarrazi Conservateur d'honneur de la Bibliothèque Nationale M. Abdallah Beyhum remit à M. de Tarrazi la médaille d'honneur du mérite libanais que lui a décernée M. le Président de la République.

Tour à tour, MM. Hussein Ahdab. Bounoure, Omar Fakhouri,

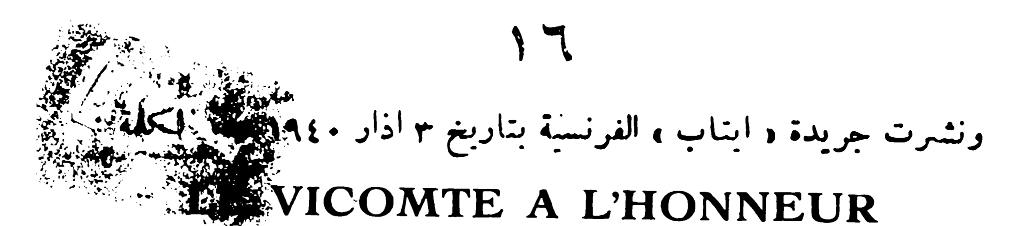
Noureddine Beyhum, Halim Dammous, Elias Abi Chabké et Hector Klat ont rendu hommage à l'inlassable dévouement et à la ténaçité du fondateur de la Bibliothèque Nationale.

Le Dr. Raïf Bellama, secrétaire du Comité donna lecture d'une lettre de S. Em. le Cardinal Tappouni à M. Hussein Ahdab approuvant la belle initiative du Comité et exprimant la bienveillante sympathie du Patriarche syriaque-catholique au Comte de Tarrazi.

M. de Tarrazi remercie en termes émus l'assistance et notamment M. Puaux et M. Abdallah Beyhum qui ont bien voulu l'honorer de leur présence.

Il rend hommage à ses anciens collaborateurs qui l'ont assisté dans sa tâche et souhaite à son successeur, M. Hector Klat, de contribuer à l'essor constant de la Bibliothèque.

Après avoir serré la main du Comte de Tarrazi et des membres du Comité, M. Puaux se retire suivi de la nombreuse assistance venue rendre hommage au fondateur et à l'animateur d'un établissement d'utilité publique qui fait honneur au pays.



١٦

ونشرت جريدة « ابتاب » الفرنسية بتاريخ ٣ اذار ١٩٤٠ الكلمة

VICOMTE A L'HONNEUR

17 heures... La grande salle de lecture de la Bibliothèque Nationale est littéralement envahie. M. Hectore Klat qui a déjà rudement mal à la main — à force de serrer toutes les autres — est essoufflé.

Les nombreux amis du vicomte de Tarrazi — et tous ceux qui n'ont jamais vu le Libanais qui est parait-il le plus décoré — sont réunis pour rendre hommage au devouement de l'ancien conservateur de la Bibliothèque Nationale à l'occasion de sa mise à la retraite.

M. Puaux a voulu s'associer, en personne, à cet hommage. Il est entouré des Hauts fonctionnaires de l'Instruction Publique. La présence de M. Kieffer fraîchement débarqué à Beyrouth, est notamment remarquée. Avalanche de discours. Tous les orateurs — et les poètes — qui se succèdent à la tribune sont d'accord pour regretter la mise à la retraite du Vicomte de Tarrazi, tellement d'accord que M. Abdallah Beyhum et M. Hector Klat — l'heureux successeur — sont tout de même un peu gênés.

Mais tout finit très bien.

Et le vicomte de Tarrazi qui devient conservateur d'honneur de la Bibliothèque Nationale, reçoit la médaille d'or du mérite libanais. Une de plus !...

Au départ tous les assistants défilent pour serrer (cette fois-ci) la main au vicomte. Ils sont très nombreux qu'à l'arrivée — car il y a les retardataires.

M. Hector Klat resprire... Il est définitivement dans son fauteuil...



الفصل الخامس

بعض زجليات لبنانية نظمت تكريماً للفيكنت

١

زجلية ابي فارس زهير

فيكونت فضلك عم كل القارئين من طالبين علوم والمتعلمين
اوجدت مجموعات علم مجلدات وكنت الى دار الكتب خير الامين
« « « « بحزم ودراية وفن مع صبر وثبات
واقدمت عالاسفار ورجعت بهبات من نفيس الكتب ذو قيمة وثمين
من نفيس الكتب تا نلت المنى وفضلك سما عا من بالعلم اعتنا
وكرست من مالك بعد جمع وجنا وما كنت يوماً ما في بذلك ضنين
وما كنت يوماً ما تبخل بالمواد تا كل من يمّم لهلدار استفاد
حتى الشيوخ حتى الشباب حتى الولاد من كل سكان الوطن ومهاجرين
من كل سكان الوطن والهاجروا مش بس اهل العلم بل التاجروا
عا هل البنا الاعيان هبو تخابروا يكافو جهودك للنبوغ مقدرين
يكافو الجهود مقدرين سعي الحميد افضل عمل منو العقول بتستفيد
واتعبت جسمك في قصد سامي مجيد وايمان قلبك كان مدعوم بيقين
وايمان قلبك كان مؤمن بالنجاح ويا ما ليالي سهرتها حتى الصباح
وبقيت تجلي الغيم حتى النور لاح وتممت دار الكتب عا طول السنين
وتممت دار الكتب باعلى مرتبي وبرهنت انك انت هو الشهم الابي
وحيثك بقيت ريس شرف للمكتبي ولو كانت بيد الشباب الناهضة
لا تهمل الغرس الغرستو باليمين

(ابو فارس)

وقال الاستاذ يوسف بشارة الباحوط صاحب مجلة « الزجل اللبناني » ما يلي :

الفيكونت طرازي ما بين الامم ناشر لواء المجد من فوق العلم
لولا جهادو ما انوجد دار الكتب ولولاه ما كان اليراع ولا القلم

وقال الاستاذ يوسف باحوط ايضاً :

جاء الادباء الى دار الكتب والادب واللغة منـــذ مدة لتكريم رب الادب ومنقذه وحاميه الفيكونت فيليب دي طرازي اعترافاً بفضله وحمايته وعطفه على الاداب والعلم واللغة .

فالزجل اللبناني كلمة اعتراف خالصة يرفعها الى ابي الادب اعترافاً بنصرتـه للغة العربية التي كادت تصل الى درجة تدمي القلب وتدمع العين لولا جهـــاده وحبه العميم وسهره الليالي الطوال في سبيل انقاذ اللغة العربية من براثن الجهل .

لقد وُجد الفيكونت دي طرازي في زمن لولاه لما شاهدنا بالعاصمة اللبنانيـة في ساحة المعرض بيتاً كبيراً للكتب ليحفظها .

لعمري ان هذا النوع من الرجال لقليلون في بلادنا مع الاسف الشديد .

رجل يفدي باعز شيء لديه من مال وتعب وشقاء حتى يحمي ما جـــاهد في سبيله الاجداد وحاربوا اجيالا لنقرأه نحن ونحافظ عليه .

رجل يفدي بنفسه لغة اجداده بينما مواطنوه ينعمون ويسرحون ويمرحون ، حتى توصل الى شيء يفرح له القلب ويسر له الخاطر .

ان عمل الفيكونت دي طرازي سيسجله له التاريخ بمـاء الذهب وستعترف له بهذا الفضل العظيم الاجيال القادمة والتي سيليها الى ما شاء الله .

فالزجل اللبناني يقدم الى صاحب الادب وحاميه كلمته هذه راجياً منه قبولها ومعذرته على قصوره امامه ان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً .

بيوم تكريمك لبنان نال الارب   بوجه ساطع ونور باهر ما غرب
كرموا الفاضل على اللغة والفضيل   بتكريم شخصو بتكرموا السان العرب
كرموا الفاضل على اللغة والفضيل   رب الفصاحة وصاحب القدر الجليل
هذا عمل ببلادنا باهر جميل   وتقدير ارباب العلوم عز وطرب
تقدير ارباب العلوم واجب على   اهل العلوم يسجلوا اصحاب العلى
اجروا فروض مبادلي من والى   عن كل ناطق ضاد ينزاح الكرب
عن كل ناطق ضاد ينزاح الكدر   والعلم يجمع بكر مع زيد وعمر
ونور الحقيقه يبان ساطع كالقمر   افراد يختالوا على النور وسرب
افراد يختالوا على النور وجموع   وعود الفصاحه والذكا يطيب ويضوع
عش يا فيكونت وبالهنا تبقى ولوع   ما غرّد الطائر تقول العرب فيك
ناثر وشاعر مثل شعرك ما انعرب

٣

زجلية الشحروري

يا فيليب لبنان بيناديك   يا رمز مجدي وفي خلودي شريك
في جبلنا الناس بيهنّوك   ونحن منهني جبلنا فيك
في جبلنا الناس بيهنّوك   وزهور حشيش قلوبهم يهدوك
وان الزمت برواحهم يفدوك

نبراس بارز في جبلنا بزز   والهدايه طيبة مباديك
نبراس بارز في جبلنا برز   ودارز بيارق جهادك درز
بخيوط اخلاصك تجاه الارز

بتنم عن وجد ووفا واخلاص   كل ما زدت الدراري فيك
بتنم عن وجد ووفا واخلاص   وانشهر ما بين عام وخاص
قلبك انقى من فضة الروباص

عشقك غرامك حب اوطانك   ومقت الظلم لو ضجّت نواديك
عشقك غرامك حب اوطانك   رافع شعار ومجد لبنانك
وبيقدّر عطفك وامكانك

بتضم تسعى في نجاحو الدهر   وبالنجاح الدهر بيكافيك

شحروري
فايق اسطا مع فرقته

فهرس

الجزء الثاني

تكريم الفيكنت فيليب دي طرازي

		صفحة
توطئة		١٢١٦
الفصل الاول – ترجمة الفيكنت فيليب دي طرازي		١٢١٧
اولا	نشأته – معيشته – اخلاقه	١٢١٧
ثانياً	مساعيه الخيرية	١٢١٨
ثالثاً	تآليف الفيكنت وآثاره الادبية	١٢٢١
رابعاً	القاب الفيكنت العلمية	١٢٢٧
خامساً	القاب الفيكنت الفخرية واوسمته	١٢٢٩
سادساً	مآثر الفيكنت الوطنية	١٢٣١
سابعا	جهود الفيكنت في تاسيس دار الكتب	١٢٣٢
الفصل الثاني – تكريم الفيكنت فيليب دي طرازي		١٢٣٥
اولا	لجنة التكريم واعمالها	١٢٣٥
ثانياً	حفلة التكريم	١٢٣٧
ثالثاً	احتفاء الفيكنت بلجنة التكريم في داره	١٢٣٩
رابعاً	خطبة الافتتاح لحسين بك الاحدب رئيس اللجنة	١٢٤٠

صفحة

خامساً	خطاب السيد بونور مستشار المعارف	١٢٤١
	ترجمة خطاب السيد بونور مستشار المعارف	١٢٤٤
سادساً	خطاب الاستاذ عمر فاخوري	١٢٤٨
سابعاً	كلمة الاستاذ الياس ابو شبكه	١٢٥٠
ثامناً	قصيدة الاستاذ حليم دموس	١٢٥١
تاسعاً	خطاب الاستاذ هكتور خلاط امين دار الكتب	١٢٥٤
عاشراً	خطاب المحتفى به في اللغة الفرنسية	١٢٥٥
حادي عشر	خطاب المحتفى به في اللغة العربية	١٢٥٦

الفصل الثالث – رسائل بعض الائمة والاصدقاء في حفلة التكريم ١٢٦٠

اولا	رسالة غبطة الكردينال اغناطيوس جبرائيل الاول بطريرك السريان الانطاكي	١٢٦٠
ثانياً	رسالة الاستاذ شارل قرم	١٢٦١
ثالثاً	رسالة الاستاذ بطرس معوض	١٢٦٢
رابعاً	رسالة السيد انيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية	١٢٦٤
خامساً	رسالة الخورفسقفوس زكريا ملكي رئيس دير الشرفة	١٢٦٤
سادساً	رسالة القس حنا توحجان استاذ الاداب العربية في الشرفة	١٢٦٥
سابعا	رسالة متري وهبه الحموي تلميذ الشرفة	١٢٦٧

الفصل الرابع – اقوال الجرائد في حفلة التكريم ١٢٦٩

١ –	جريدة الجامعة العربية	١٢٦٩
٢ –	الجريدة عينها	١٢٧٠

		صفحة
٣ –	جريدة صوة الاحرار	١٢٧٢
٤ –	جريدة لسان الحال	١٢٧٣
٥ –	جريدة اليوم	١٢٧٥
٦ –	جريدة البيرق	١٢٧٧
٧ –	جريدة الحديث	١٢٧٨
٨ –	جريدة الرواد	١٢٧٩
٩ –	جريدة المراحل المصوّرة	١٢٨٠
١٠–	جريدة العالم الاسرائيلي	١٢٨٢
١١–	جريدة « اثرا » اعني « الوطن »	١٢٨٣
١٢–	جريدة الصاعقة	١٢٨٤
١٣–	جريدة الاتحاد العربي	١٢٨٥
١٤–	المراحل المصوّرة	١٢٨٦
١٥–	جريدة اوريان	١٢٨٨
١٦–	جريدة ايتاب	١٢٨٩
	الفصل الخامس – بعض زجليات لبنانية نظمت تكريماً للفيكنت	١٢٩١
١ –	زجلية ابي فارس زهير	١٢٩١
٢ –	زجلية الاستاذ يوسف بشاره الباحوط	١٢٩٢
٣ –	زجلية الشحروري	١٢٩٣